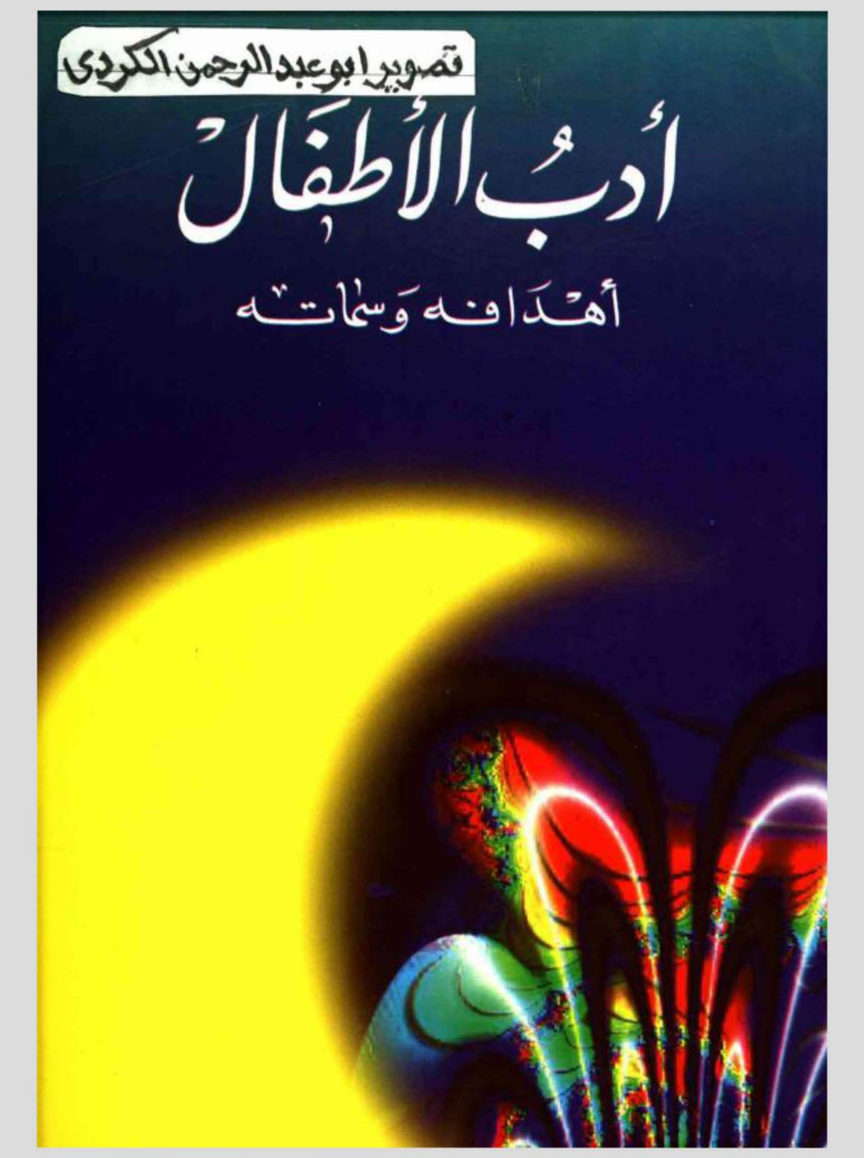

تصوير ابو عبد الرحمن الكردي
أدب الأطفال
أهدافه وسماته

أدب الأطفال

أهدافه وسماته

بقلم

محمد حسن بريغش

مؤسسة الرسالة
ناشرون

أدبُ الأطفالِ

أهدافه وسماته

بسم الله الرحمن الرحيم

غاية في كلمة

مؤسسة الرسالة
للطباعة والنشر والتوزيع
وطى المصيطبة
شارع حبيب أبي شهلا
بناء المسكن
تلفاكس: (٩٦١١)
٨١٥١١٢ ـ ٣١٩٠٣٩ ـ ٦٠٣٢٤٣
ص.ب: ١١٧٤٦٠
برقياً: بيوشران
بيروت ـ لبنان

الطبعة الثالثة
١٤١٩هـ / ١٩٩٨م

Al-Resalah
PUBLISHERS
BEIRUT
LEBANON
Telefax: (9611)
815112 - 319039 - 603243
P.O. Box: 117460
E-mail:
Resalah@cyberia.net.lb
Web Location:
Http://www.resalah.com



مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

لقد صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في عام ١٤١٢ هـ الموافق ١٩٩٢ م، وأعلمني الناشر أن الكتاب نفد في سنته الأولى ـ تقريباً ـ وهذا فضل من الله عز وجل.

وحين عدت إلى هذه الطبعة رأيت كثيراً من الأخطاء المطبعية التي وقعت في الكتاب، ويتصدر هذه الأخطاء آية قرآنية في الفصل الأول، لم تضبط بشكل صحيح أثناء الطباعة. بل لقد كانت هناك أخطاء فنية كثيرة، حيث دمجت بعض العناوين مع أخرى، فعنوان الفصل الأول (الطفولة: أهميتها ونظرة الإسلام لها) دمج مع عنوان أول فقرة في هذا الفصل وهي (أهمية مرحلة الطفولة)، وهكذا حدث مع بقية الفصول، إيثاراً لتوفير الورق، وتقليل عدد الصفحات.

ولهذا آثرت طباعة الكتاب من جديد، مع تلافي هذه النواقص والأخطاء، والاستفادة من الملاحظات التي قدمها بعض الإخوة الفضلاء بعد قراءة الكتاب.

لقد زاد يقيني بأهمية الكتابة والبحث في أدب الأطفال بعد أن شاركت في المهرجان الوطني للتراث والثقافة الذي انعقد في (الجنادرية) بالرعام، في عام ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م، حيث كان أدب الأطفال هو موضوع الندوات الثقافية المتخصصة.

وكان مثار الانتباه في هذه الندوات اشتراك عدد كبير من المهتمين في أدب الأطفال في العالم العربي، الذين صدرت لهم كتب، ودراسات، وإبداعات كثيرة في أدب الأطفال.

وكذلك، أثار الانتباه في المهرجان، أن الندوات الثقافية هذه، التي قدّم أوراقها عدد من المشهورين في الكتابة للأطفال بالوطن العربي، واشترك في مناقشتها كثيرون أيضاً قد تطرقت إلى عدد من الجوانب والموضوعات والأساليب لهذا النوع الأدبي دون أن تلتفت إلى اهتمام الإسلام بالطفولة ونظرته للطفل، ومنهجه في تربيته، ووسائله ـ ومن ذلك الأدب ـ في التربية.

لقد طرحت موضوعات (السيرة الشعبية في أدب الطفل) و (نظرة مستقبلية إلى أدب الطفل) و (القصة والمسرح في أدب الطفل) و (الطفل ووسائل الإعلام) و (الشعر والأغنية في أدب الطفل) و (المنعطفات الرئيسية في تطور أدب الطفل).

وكانت أكثر الموضوعات تنطلق من فكرة شائعة أن أدب الطفل أدب غربي حديث، ولذلك فقد سرنا على منواله، ونسعى لبناء أدب للأطفال على سنن ما لدى الغرب من هذا اللون.

ولا غرابة في هذا فلقد ظهر واضحاً أن كثيراً من الذين يهتمون بأدب الطفل، تزودوا بما لديهم من معلومات، وأخذوا تصورهم عن هذا الأدب مما قرؤوه عند الغربيين، ولذلك كنا نسمع بعضهم يتحدث عن أدب الطفل في الغرب وأمريكا، ويستعرض الأسماء، والإحصاءات ويعرف دور النشر والمؤسسات المهتمة بهذا الأدب أكثر مما يعرف أي اسم عربي.

وإن المتتبع للدراسات التي صدرت في العربية عن أدب الطفل يلحظ اعتمادها في أكثر معلوماتها على نظرة الغرب لهذا الأدب.

من هنا تأتي أهمية البحث في أدب الطفل من واقع هذه الأمة، من

تاريخها وتراثها، فأدب الطفل أدب إسلامي، لأنه لا أحد في الدنيا ـ في مجال الاعتقاد أو التشريع، أو الاهتمام، أو الواقع ـ أعطى الطفولة حقها، واهتم بها، كما اهتم بها الإسلام والمسلمون.

وإذا كان واقع العالم الإسلامي ـ اليوم ـ متخلفاً في هذا الشأن، فهو متخلف في كل الشؤون، بل هو بعيد عن دينه وعقيدته، حائر ممزق الفكر والمشاعر بين الأفكار والأنظمة المتصارعة في العالم، فلا غرابة أن ينسى الطفولة وأدب الطفل. وفي هذا الكتاب أحاول توضيح الصورة، ابتداء من النظر في عناية الإسلام بالطفولة، واهتمامه بتربية الأطفال، وانتهاء بالأدب الإسلامي للطفل.

وسوف يلحظ القارىء أنني لا أتهيب الخروج عن منهج الآخرين في النظرة إلى هذا الأدب، ولا أتهيب تصحيح المسار الخاطىء لأدبنا، ونظرته للحياة ـ بعامة ـ وللطفولة ـ بصورة خاصة ـ.

بل سيلحظ أيضاً أن الكتاب سوف يطرح كثيراً من الآراء والاجتهادات في أدب الطفل، في مضامينه وموضوعاته، وأساليبه.

إن هيمنة الغرب، وتقدمه المادي، وجبروت أمريكا وتألهها، جعلت بعض الناس يستصغرون ذواتهم وقيمهم أمام ما يأتي من الغرب وأمريكا، وينهزمون أمام تصوراتها.

ولكن الحق أقوى، والله غالب على أمره. والله ـ عز وجل ـ هو أحكم الحاكمين، وهو الذي أوضح لنا الصراط المستقيم، وبين لنا خطوط النفس الإنسانية، وسبل تربيتها. وهو ـ سبحانه وتعالى ـ وضع لنا قواعد التعامل مع الطفل، أي طفل، لأن الطفولة كلها ـ مسلمة بالفطرة ـ وأدبنا الذي نريده، أدب هذه الفطرة السليمة، أدب الإسلام.

وأسأل الله عز وجل أن يسدد خطانا، ويلهمنا الرشد، ويغفر لنا

زلاتنا، ويكفر خطايانا والحمد لله رب العالمين.

في ذي الحجة ١٤١٤ هـ

المؤلف

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى صحبه وآل بيته، وعلى التابعين، ومن سار على دربه واتبع منهجه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الطفولة مرحلة مهمة من مراحل العمر، كالأرض البكر المعطاء التي يمكن أن نستنبت فيها ما نريد، فإذا حظيت بالرعاية والعناية، وتعهدتها الأيدي الأمينة نشأت صالحة خيّرة، وأصبحت تبني وتعطي كما تعطي الشجرة الطيبة.. وإذا لم تنل الرعاية المطلوبة، بل تركت بين يدي الشياطين والمفسدين نشأت شريرة سيئة، وأصبحت تهدم وتفسد كما تعطي الشجرة الخبيثة.

لهذا اهتم المربون بالأطفال، وبذلوا لهم كثيراً من الرعاية لكي ينشؤوا كما تريد لهم الأمة، ولكي تغرس في نفوسهم وعقولهم العقائد والأفكار والعادات والاتجاهات التي يريدونها لهم. وفي هذا العصر الذي تصطرع فيه الأفكار والعقائد، لا بد للمسلمين من العودة إلى أصولهم لكي يتعرفوا على ركائز التربية الإسلامية للطفل، ولا بد لهم من العناية الحقيقية بالطفولة لكي يواكبوا مراحل الصحوة الحديثة، ويسيروا في طريق البناء الواعي، ويحموا أجيالهم من عوامل الانحراف والانحلال والفساد.

والأدب الإسلامي عنصر هام في هذا المجال، ووسيلة أساسية مهمة لتربية الطفل، وبناء شخصيته، واستنبات نوازع الخير وأفكار الصلاح لديه.. ولهذا كان لا بد له من الإسهام في إعداد الطفل المسلم وتربيته

على أسس قويمة وفق منهج سليم، مستفيداً من الخصائص الأساسية للأدب، ومراعياً العناصر الضرورية للتربية.

الفصل الأول

الطفولة
أهميتها، ونظرة الإسلام لها

أهمية مرحلة الطفولة

تمهيد:

الطفولة هي المرحلة الأولى من مراحل العمر للإنسان، تبدأ من الولادة وتنتهي عند البلوغ، يقول الله عز وجل: **﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾**[1].

ويقول: **﴿ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم﴾**[2].

والطفل: هو الولد حتى البلوغ، ويستوي فيه الذكر والأنثى، والجمع: أطفال[3] والطفل والطفلة: الصغيران، والطفل: الصغير من كل شيء[4].

وقال الأصمعي: يقال: غلام طفلٌ وجارية طفلة، ثم هو شَدَخٌ صغير إذا كان رطباً، فإذا نما شيئاً وظهر سِمَنُهُ قيل: قد تضبَّبَ وتحلَّمَ[5]. ولقد أسمت العرب كل مرحلة من مراحل الطفولة باسم، حتى إذا كبر الغلام ولم يبلغ الحلم قيل عنه: غلام يافع. وقال أبو عبيد: قال بعضهم الحَزَوَّر، واليافع والمُتَرَعْرِع واحد[6].

---

(١) سورة النور: الآية ٥٩.
(٢) سورة الحج: الآية ٥.
(٣) المعجم الوسيط.
(٤) لسان العرب/ جـ ١١.
(٥) كتاب خلق الإنسان عن أبي محمد ثابت بن أبي ثابت، ص/ ١٥.
(٦) المصدر السابق/ ١٦.

وإذا احتلم قيل: محتلم وحالم. وحينها يقال: قد ترعرع. ثم بعدها ناشىء، فإذا خرج [شعر] وجهه فهو طارٌّ.. إلخ[1].

ومرحلة الطفولة من أهم مراحل الحياة عند الإنسان، وأكثرها خطورة، فهي تتميز عن غيرها بصفات وخصائص واستعدادات، وهي أساس لمراحل الحياة التالية، وفيها جذور لمنابت التفتح الإنساني: ففيها تتفتق مواهب الإنسان، وتبرز مؤهلاته، وتنمو مداركه، وتظهر مشاعره، وتتبين إحساساته، وتقوى استعداداته، وتتجاوب قابلياته مع الحياة، سلباً أو إيجاباً، وتتحدد ميوله واتجاهاته نحو الخير أو الشر، وفيها تأخذ شخصيته بالبناء والتكوين، لتصبح ـ فيما بعد ـ متميزة عن غيرها من الشخصيات الأخرى...

وتتميز طفولة الإنسان بأنها أطول من طفولة الحيوان، وبأن مطالب رعاية هذه الطفولة لا تقتصر على مجرد الغذاء والوقاية ـ كما هي الحال في الحيوان ـ بل إنها تحتاج إلى رعاية عقلية ونفسية واجتماعية تتلاءم مع طبيعة الإنسان بوصفه أكرم مخلوقات الله ـ عز وجل ـ ومن هنا عُنيت البحوث والدراسات في كثير من مجالات المعرفة النظرية والتطبيقية بالطفولة.

وتدل دراسات كثيرة أجريت في مجالات علم النفس والتربية، على أن نسبة كبيرة من مقومات شخصية الفرد المعرفية والوجدانية والسلوكية تتشكل في السنوات الخمس أو الست الأولى من عمره[2]؛ لأن الطفولة كالكتاب المفتوح الأبيض الصفحات، يسجل فيه كل ما يود صاحبه، أو يرد عليه من حوادث وأحداث تعرض عليه أو تقع في محيطه، أو انطباعات ترتسم في مخيله وذاكرته.

---

(١) المصدر السابق/ ١٨، ١٩.

(٢) المرشد التربوي لمعلمات رياض الأطفال بدول الخليج العربية/ ١١ د. خضير سعود خضير.

والطفولة أرض صالحة للاستنبات، فكل ما يُغْرس فيها من مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، وكل ما يبذر فيها من بذور الشر والفساد، أو الغي والضلال يؤتي أكله في مستقبل حياة الطفل، ولذلك فهو يكتسب من بيئته العادات السارة والضارة، ويأخذ السبل المستقيمة أو المنحرفة[1]، وهذا مصداق حديث رسول الله ﷺ بأن أبويه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه.

---

(1) الطفل المثالي في الإسلام: للأستاذ عبد الغني الخطيب/ ٧، ط ١، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

نظرة الإسلام للطفل

لقد اهتم الدين الإسلامي ـ وهو المنهج الشامل المتكامل للحياة ـ بالطفل، واعتنى به عناية كبيرة، وامتدت هذه العناية إلى فترة كبيرة، تبدأ من المرحلة المبكرة ـ مرحلة الاستعداد لتكوين الأسرة قبل ولادة الطفل ـ وإلى أن يصبح رجلاً.

الاهتمام بالبيئة التي ستحتضن الطفل:

فقبل أن يكون هناك طفل وولادة، أوصى رسول الله ﷺ باختيار المنبت الحسن الذي سينبت فيه الطفل، ثم يخرج وينشأ ويتربى في أحضانه، فقال عليه الصلاة والسلام: «تخيَّروا لنطفكم وزوجوا الأكفاء» وفي رواية أخرى: «تخيّروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن» وكذلك في رواية ثالثة: «اختاروا لنطفكم المواضع الصالحة»[(1)].

ثم اهتم الإسلام برضاعته ورعايته، وكفل له حقوقه ـ على الوالدين والإخوة والأقارب ـ وضمن له التربية الصالحة والتعلم المطلوب.

ففي حضانته يقول الله عز وجل: **﴿والوالدات يُرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة، وعلى المولود له رزقهن**

---

(1) انظر: منهج التربية النبوية للطفل: للأستاذ محمد نور سويد/ ٣٠، ط ٢، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م، ورحمة الإسلام بالنساء: للشيخ محمد الحامد ـ رحمه الله/ ٤٠، ٤١، ودور الأم في تربية الطفل المسلم: تأليف خيرية حسين طه صابر/ ٥٤ ط ٢، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

وكسوتهن بالمعروف، لا تُكَلَّف نفس إلا وسعها، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده، وعلى الوارث مثل ذلك، فإن أرادا فِصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما، وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف، واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾[1].

بهذا الوضوح، وهذا التحديد والتفصيل حدد القرآن الكريم قضية الرضاعة والحضانة، ثم ربط ذلك كله بتقوى الله ومخافته، والتذكر الدائم بأن الله عليم بصير يرقب الإنسان ويعلم ما تكنه الصدور، حتى لا يقصر في واجبه نحو الطفل الصغير، بل ليقوم بما عليه في الرعاية التي تكفل له السلامة والاستقامة.

وكذلك حض الإسلام على رعايته والعطف عليه، قال عليه الصلاة والسلام: «من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا»[2]، وقال تعالى: **﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾**[3].

وكذلك أمر الله عز وجل بكفالة الطفل وتأديبه وتعليمه والحفاظ على حياته وأمواله، يقول عليه الصلاة والسلام: «من عال جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه أي كهاتين[4].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»[5]، ويقول: «ما نَحَلَ والد ولده أفضل من أدب حسن»[6].

وقال سبحانه وتعالى: **﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾**[7]، ويقول

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.
(٢) رواه البخاري، وأبو داود، وصححه السيوطي، انظر فيض القدير ٦/ ٢٢٤.
(٣) سورة الضحى: الآية ٩.
(٤) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٢٨.
(٥) رواه ابن ماجه ٢/ ١٢١١.
(٦) رواه الترمذي، والحاكم في المستدرك.
(٧) سورة الإسراء: الآية ٣١.

أيضاً: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً﴾[1].

ولقد كان اهتمام الإسلام بالطفولة اهتماماً واسعاً، بل «لم يسعد الأطفال في العالم كما سعدوا في ظل الحضارة الإسلامية، لأن عناية الإسلام بالنشأة الأولى تفوق كل عناية، باعتبارها حجر الزاوية في بناء المجتمع الإسلامي، وفي تاريخنا الإسلامي ارتبطت وضعيّة الطفل المسلم بمدى التطبيق العملي لتعاليم الإسلام، فكلما ساد العدل الاجتماعي، واطمأن المسلمون إلى أنفسهم كان أطفالهم بمنجاة من عوامل الضياع وأسباب الفساد»[2].

وإذا كانت الأمم المتحدة التي تمثل المجتمع العالمي قد أعلنت حقوق الطفل في ١٩٥٩/١١/٢٠ م، فإن الإسلام قد أعلن حقوقه قبل أربعة عشر قرناً ونظر إليه نظرة شاملة عميقة متكاملة، وتجاوز في ذلك كل ما ادّعته المدنيات المعاصرة، والفلسفات الحاضرة.

ولقد أُلّفت في موضوع الطفولة كتب كثيرة، ويكفي أن نشير إلى واحد منها يجمع أحكام الطفولة في الفقه وهو «جامع أحكام الصغار» لمحمد بن محمود الأشروشي المتوفى ٦٣٢ هـ، والذي نشر محققاً بأربعة مجلدات كبار[3].

ولم تكن عناية الإسلام بالطفولة عن طريق التشريعات والقوانين والنصوص، فقط ـ كما تفعل المدنية المعاصرة ـ بل كانت تطبيقات وممارسات

(١) سورة النساء: الآية ٢.

(٢) جامع أحكام الصغار: لمحمد بن محمود الأسروشي، تحقيق عبد الحميد عبد الخالق البيزلي/ ٩.

(٣) المصدر السابق، ولقد نشر بمناسبة الاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر للهجرة في العراق. وهناك كتب كثيرة منها قديم ومنها جديد، ولعل ثبت المصادر والمراجع يشير إلى بعضها الآخر إن شاء الله تعالى.

واهتمامات بدأها رسول الله ﷺ، قدوة المسلمين، ورسول رب العالمين، فلقد كان ـ عليه صلاة الله وسلامه ـ يلاطف الصغار ويلعب معهم ويرعاهم ويوجههم، ويبين للناس كيف ينبغي أن نرعاهم ونوجه العناية لهم مع كثرة همومه ومشاغله. كان يقول للطفل الصغير وهو يداعبه ويسأله عن عصفوره: «يا أبا عمير ما فعل النُّغَيْرُ» فيشعر الطفل بأهميته عندما يسمع هذا السؤال من رسول الله ﷺ عن شؤونه، ويرى مشاركته لاهتماماته وهمومه.

وفي الصلاة يطيل السجود حتى يظن المسلمون أن شيئاً قد حدث له، وعندما سئل بعد انتهاء الصلاة عن سبب الإطالة قال: «إن ابني قد ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان ﷺ أرحم الناس بالصبيان والعيال»[2] وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء صبي فأتجوَّزُ في صلاتي لما أعلم من وَجْدِ أمه من بكائه»[3].

وروى الطبراني عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فدعينا إلى طعام فإذا الحسين يلعب في الطريق مع صبيان، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يده فجعل يفر ههنا وههنا فيضاحكه رسول الله ﷺ حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه، والأخرى بين رأسه وأذنيه، ثم اعتنقه وقبله ثم قال: «حسين مني وأنا منه، أحبَّ الله مَنْ أحبَّه، الحسن والحسين سِبْطانِ منَ الأسباط»[4].

«ولما قدم رسول الله ﷺ إلى مكة استقبله أُغيلمة بني المطلب،

---

(١) أخرجه النسائي، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.
(٢) صحيح الجامع رقم/ ٤٧٩٧، الألباني ورواه مسلم.
(٣) رواه الخمسة إلا أبا داود.
(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي وابن ماجه والحاكم. وانظر: منهج التربية النبوية للطفل/ ١٨١.

فحمل واحداً بين يديه وآخر خلفه»[1].

بل إن عمر بن الخطاب الذي كان يُعرفُ بقوته وشدته قال: «ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي، فإذا التُمِسَ ما عنده وُجِدَ رجلاً»[2] وقد عزل أحد عماله عن عمله لأنه وجده قاسيَ القلب عندما قبَّل عمر صبياً له فقال له الرجل: تقبِّلُه وأنت أمير المؤمنين؟ لو كنتُ أنا ما فعلته. فقال عمر: فما ذنبي إن كان نزع من قلبك الرحمة، إن الله لا يرحم من عباده إلا الرحماء، ونزعه عن عمله وقال له: «أنت لا ترحمُ ولدك فكيف ترحم الناس»[3].

بل إن رسول الله ﷺ يبين للناس أهمية الطفل، ومسؤولية تربيته، وأثر ذلك على الطفل وعلى الأبوين وعلى الأسرة والمجتمع في الدنيا والآخرة فيقول: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[4].

وهذا يشير إلى أثر التربية في نمو المجتمع، ونمو العلم.

ويقول في حديث آخر: «إن الطفل يجرّ بأبويه إلى الجنة». وفي بعض الأخبار «يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك»[5]، وفي خبر آخر: «إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة: اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة، فيقفون على باب الجنة فيُقال لهم: مرحباً بذراري المسلمين، ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون: فأين آباؤنا وأمهاتنا؟ فيقول الخزنة: إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم، إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون. قال: فيتضاغون

---

(١) انظر المصدر السابق/ ١٨١ ـ ٢٠٥.

(٢) كنز العمال ٥٧٣/ ١٦.

(٣) كنز العمال ٥٨٣/ ١٦.

(٤) رواه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان بعد وفاته.

(٥) بعضه رواه البخاري ومسلم.

ويضجّون على أبواب الجنة ضجة واحدة، فيقول لهم سبحانه ـ وهو أعلم بهم ـ ما هذه الضجة؟ فيقولون: ربنا أطفال المسلمين قالوا: لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا، فيقول الله تعالى: تخلّلوا الجمع فخذوا بأيدي آبائهم فأدخلوهم الجنة».

وفي صحيح مسلم: عن أبي هريرة: عن رسول الله ﷺ: «صغارهم دعاميص الجنة، يتلقّى أحدهم أباه ـ أو قال أبويه ـ فيأخذ بثوبه ـ أو قال بيده ـ كما آخُذُ بِصَنَفَةِ ثوبك هذا، فلا يتناهى ـ أو قال: فلا ينتهي ـ حتى يُدخِلَه وأباه الجنة»[1].

قال الله عز وجل: **﴿ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾**[2] أي ما أنقصناهم من أعمالهم شيئاً، وجعلنا أولادهم مزيداً من حسناتهم[3].

والإسلام يعدّ الأطفال من جمال الحياة الدنيا وزينتها، يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾**[4]، ويقول رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين رضي الله عنهما: «ريحانتاي من الدنيا».

ويجعل الرزق بالولد من البشارات التي يسعد لها الإنسان: **﴿وبشرناه بغلام حليم﴾**[5]، **﴿يا زكريا إن نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سَمِيّاً﴾**[6]، ولذا أصبحت البشارة بقدوم الولد من سنن الإسلام.

---

(١) الخبر في إحياء علوم الدين ٢/٢٧، والحديث في صحيح مسلم رقم (٢٦٣٥). والدعاميص: واحد دعموص، أي صغار أهلها. ولا يتناهى: أي لا يتركه.

(٢) سورة الطور: الآية ٢١.

(٣) الطفل المثالي في الإسلام/ ٨٧ ـ ٨٨.

(٤) سورة الكهف: الآية ٤٦.

(٥) سورة الصافات: الآية ١٠١.

(٦) سورة مريم: الآية ٧.

ووضع الإسلام أحكاماً وسنناً خاصة بالأطفال بعد الولادة، وتدل كلها على عناية هذا الدين بالطفولة، واهتمام المسلمين بشأنها، ونذكر من هذه الأحكام والسنن بعضها على سبيل التذكير مع الإيجاز:

- التهنئة بالمولود.
- الأذان والإقامة في أذن المولود.
- تسمية المولود.
- تحنيك المولود.
- حلق شعر المولود والتصدق بوزنه ذهباً أو فضة.
- عقيقة المولود.
- ختان المولود.
- حضانة المولود.
- إرضاع الطفل.
- نفقة الطفل.
- تربية الطفل.
- تعليم الطفل.
- حقوق الأطفال في الكفالة والميراث.

وغير ذلك من الأحكام التي فصلت في كتب الفقه وغيرها.

ويحسن هنا أن نذكر دليلاً على عناية أجدادنا وعلمائنا بالأطفال بعض أسماء الكتب التي تناولت الطفولة بأبحاث وموضوعات متخصصة ومستفيضة، وهي تدل على النظرة الشاملة التي تفرد بها الإسلام نحو الطفولة، تلك النظرة التي تهتم بكيانه الإنساني كله من قيم وعقيدة وصحة ورياضة وجد وعلم... إلخ، وذلك مثل:

- إحياء علوم الدين للإمام الغزالي.

- أيها الولد للإمام الغزالي.

- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

- تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيِّم الجوزية.

- جامع أحكام الصغار لمحمد بن محمد الأسروشي - أربعة مجلدات.

- تدبير الحبالى والأطفال والصبيان للبلدي أحمد.

- كتاب أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر المغربي المكي.

- العقد الفريد لابن عبد ربه.

- آداب المعلمين لابن سحنون.

- تذكرة السامع والمتعلم في آداب العالم والمتعلم لابن جماعة الكناني.

- مقدمة ابن خلدون لابن خلدون.

- اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم لزكريا الأنصاري.

- بيان مسألة وقف الأولاد لشمس الدين أحمد بن سليمان (ابن كمال باشا) مخطوطة.

- رسالة في أحكام أطفال المسلمين لجلال الدين السيوطي - مخطوطة.

- سياسة الصبيان وتدبيرهم لابن الجزار (أحمد بن إبراهيم القيرواني) تونس.

- كتاب العيال: للحافظ ابن أبي الدنيا.

- تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال، لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي.

- تذكرة الآباء - لابن العديم الحلبي.

- تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين لابن عبد ربه.

وهناك دراسات حديثة كثيرة بدأت تعنى بالطفل المسلم مستندة إلى أحكام الإسلام وسننه وآدابه في ذلك، وهي تهدف إلى الوصول بالطفل للحياة الإسلامية التي أرادها الله لعباده.

فالإسلام قبل أي نحلة أو حضارة أو أمة اعتنى بالطفولة ورعاها رعاية شاملة، ووضع لها أسساً ستظل معالم هدى لنا في تعاملنا ورعايتنا للأطفال.. ولكن المؤسف حقاً أن الحديث عن الطفل والطفولة في هذا العصر عند كثير من الباحثين، أصبح حكراً على الغربيين والعلمانيين، وأن الطفولة - كما يدّعون - لم تلق الرعاية إلا بعد الإعلان عن ميثاق الطفولة في الأمم المتحدة... وهو ادعاء ينقصه الدليل.. بل هو افتراء على الحقيقة والواقع، وتجاهل للإسلام والمسلمين.

الإسلام وتربية الطفل

إن البحث في أدب الطفولة لن يكون موضوعياً وعلمياً إن لم ينطلق من مفاهيم الإسلام وأحكامه التي اهتمت بالإنسان ـ عموماً ـ والطفولة ـ بشكل خاص ـ، وأدب الطفل لن تتحدد معالمه وسماته بحق إن لم نتعرف على رأي الإسلام في تربية الطفل، وتنشئته، لأن هذا الدين منهج للإنسانية، من أهم سماته التكامل والشمول، ينظم حياة الإنسانية، ويتعهدها منذ الولادة حتى الوفاة. . . فالدين ليس مناسك وشعائر فقط، بل هو نظام وتشريع وتربية. . هو وجدان وعمل، لأنه ينبع من أعماق الفطرة التي تتطلع إلى اكتشاف سر الوجود وكنه الكائنات[١].

وأدب الأطفال ـ عند كل الشعوب مرتبط بالتربية ارتباطاً وثيقاً، لأن هدف التربية الأخذ بيد النشء إلى أفضل الطرق لتنميتهم جسدياً وعاطفياً وعقلياً واجتماعياً، ومعرفة ومهارة[٢]. . وهي تهدف إلى اتخاذ العبودية الخالصة لله تعالى هدفاً نهائياً، أو غاية للتربية، ولهذه الغاية فروع وأهداف جزئية، منها ما يتعلق بالجسم، أو اللسان، أو العقل، أو المهن، أو الشعور، أو المجتمع، أو الإنسانية[٣].

---

(١) وحدة لتنمية الشعور الديني عند الأطفال: تأليف د/ عواطف إبراهيم محمد، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م. وانظر أيضاً: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته/ ١ ـ ٢ للأستاذ سيد قطب رحمه الله، دار الشروق، وكذلك: هذا الدين: لسيد قطب، دار الشروق.

(٢) المرشد التربوي لمعلمات رياض الأطفال بدول الخليج/ ٣٦.

(٣) مدخل إلى التربية: للأستاذ عبد الرحمن الباني/ ٧١، ٧٢.

والإسلام ـ كما أسلفت ـ كان سابقاً ورائداً في توضيح معالم التربية للطفل. . ويقوم الأساس التربوي للأطفال على مفهوم المسؤولية أمام الله عز وجل ـ والقيام بأداء الأمانة عملاً بقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾**[1].

وعملاً بقوله ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته»[2].

وقوله ﷺ: «علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم»[3]، وقوله: «أدبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم»[4].

وأقوال كثيرة له ﷺ في حمل هذه المسؤولية التربوية؛ لأنها أساس بناء المجتمع الإسلامي.

ولقد فهم ذلك أجدادنا، وقَدَّروا المسألة قدرها ـ ولذلك نشَّؤوا أبناءهم تنشئة صالحة، فكان منهم الأمراء والقواد والفرسان والعلماء والقضاة والأدباء. . . إلخ، وكلهم ضمن هذا المجتمع الإسلامي الفاضل.

عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في قوله عز وجل: **﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً. . .﴾** قال: علموا أنفسكم وأهليكم الخير. .

وقال مقاتل: أن يؤدب المسلم نفسه وأهله فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر. ويقول ابن القيم: قال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه وتعالى

---

(١) سورة التحريم الآية: ٦.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه عبد الرزاق، وسعيد بن منصور.
(٤) رواه ابن ماجه.

يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده، فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً، فللابن على أبيه حق ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾[1] ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾[2] فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم، ومن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سُدىً، فقد أساء غاية الإِساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قِبَلِ الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً. كما عاتب بعضهم والده على العقوق فقال: يا أبت إنك عققتني صغيراً، فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً، فأضعتك شيخاً[3].

ولا بد من تحديد الركائز الأساسية لتربية الطفل المسلم، حتى نتبين فيما بعد المعالم التي يسير على أساسها أدب الطفل المسلم أيضاً.

إن الدارس لفلسفات التربية الحديثة في الشرق والغرب يدرك أنها تقوم على أساس معتقدات، بعضها يعود إلى معتقدات الفلاسفة القدماء عند اليونان، أو إلى معتقدات النصارى، أو إلى معتقدات الفلاسفة المحدثين في الغرب... لأن التربية تستند إلى نظرة الإنسان إلى الكون، وإلى القوة التي تُسيِّر هذا الكون، وإلى علاقة الإنسان بهذه القوة وبالكون.. وبالتالي تعمل التربية على تهيئة الإنسان ليتحمل مسؤوليته، وللقيام بما عليه في هذا الكون وفق هذه المعتقدات.

ولهذا فإن التربية في المجتمعات البدائية كانت في جوهرها تدريباً آلياً تدريجياً على معتقدات الزمرة الاجتماعية وعاداتها وأعمالها[4].

---

(1) سورة العنكبوت: الآية ٨.
(2) سورة التحريم: الآية ٦.
(3) منهج التربية النبوية للطفل، وهذا رأي الغزالي رحمه الله، وليس هذا شأناً مضطرداً، ولكنه يشير إلى مسؤولية الوالدين أمام الله سبحانه في تربية الأولاد.
(4) التربية عبر التاريخ: د/ عبد الله عبد الدايم، ط/ ٦، ١٩٨٧.

وكذلك كانت التربية في المجتمعات الحديثة تقوم على اعتقاد فلسفي وضعي له نظرته الخاصة للكون والإنسان، وعلاقة الإنسان بالكون، وعلاقة الإنسان بخالق الكون..

وقد تتقارب الفلسفات أو تتباعد ولكنها تتفق في كثير من الغايات والأهداف؛ لأنها تنبع من التفكير المادي النفعي.

ولهذا فإن الناقد الذي يرى النتائج التربوية المزعومة في العالم الغربي، ثم يقوّمها تقويماً موضوعياً ـ علمياً وتاريخياً وفنياً ـ لا يجد ما يبرر هذه الادعاءات والحماقات التربوية المعاصرة في توجيه الإنسان توجيهاً يجعله لا يتعارض مع مكانته في هذا الكون، الذي له رب وخالق ومدبر.. وإن لم يكن كذلك، فلماذا امتلأت الدنيا اليوم ـ دنيا التربية ـ بالأفراد والجماعات والدول ترعب وتعتدي وتعلن الظلم وتبيح الغش والحرام وتحلل المنكرات، وتحمي الشذوذ والمفاسد، وتشعل نيران الحروب وتغتصب حقوق الشعوب، وتسوق السموم إلى الناس باسم الروح، والمشروبات الروحية، وتنشر أنواع الموضات والموديلات في الميوعة والإفساد، وكل ذلك لطمس معالم الإنسان وقهره، ليصبح ـ حقيقة ـ مثالاً للإنسان الذي وصفته نظرية التطور[1].

وها هي ذي أوروبا بدأت تنقض غزلها، وتثور على واقعها بصور مختلفة، وكلها تنبىء عن فساد التصور الذي بنيت عليه التربيات الحديثة حتى مُسخ الإنسان ودثرت قيمه الحقيقية.

* ولهذا فإن الإسلام، والتربية الإسلامية تعنى أول ما تعنى بالعقيدة والتصور، كأساس أهم في تربية النشء، وبناء الشخصية الإسلامية..

* ولذلك كان الأساس العقدي أهم أساس في التربية الإسلامية،

---

(١) انظر: مقال في تصور التربية الإسلامية: محمد بن محمد الأمين الأنصاري ط/ ١، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م.

ولقد أشارت آيات وأحاديث كثيرة إلى هذا، وأقتطف من ذلك كله هذه الآيات التي وردت على لسان لقمان ـ عليه السلام ـ وهو يتوجه إلى ولده الصغير بالوصية: **﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير. وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما، وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون. يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير. يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور. ولا تُصعِّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾**[1].

هذه الآيات تبرز لنا أموراً مهمة في تربية الطفل من خلال هذه الوصايا الأبوية الممزوجة بصورة الأب القدوة، والمربي المثل، ومن خلال الأسلوب الحاني الرفيق، الذي يستثير العقل والوجدان معاً.

* وأول الأمور التي تبرزها الآيات هي ترسيخ العقيدة الصحيحة، لا بالتلقين والجدل والفلسفة، بل بالربط بين العقيدة والحياة، والعبادة، واستثارة كافة الحواس التي تستشف حقائق العقيدة مما تسمع أو تبصر أو تحس... **﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾** لأن توحيد الله عز وجل ونفي الشرك، بلْهَ الكفر، بدهية من بدهيات الوجود الإنساني.. ولأن كل شيء شاهد على ذلك دالٌّ عليه.

بل تشير الآيات إلى تبصير الطفل بخطورة الشرك على النفس والمجتمع في الدنيا والآخرة. ومن آثار هذه العقيدة، بل من آثارها على

---

(١) سورة لقمان: الآيات ١٣ ـ ١٩.

المرء أن يتجه الطفل بصدق ومرحمة واحترام إلى الوالدين.. يتجه بالشكر والطاعة فيما لا يغضب الله عز وجل.

ثم تتعمق حقائق العقيدة بالصورة المجسمة التي تناسب الطفل، التي توضح عظمة الله وقدرته وعلمه بطريقة مُمَثَّلة: **﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأتِ بها الله إن الله لطيف خبير﴾**.

ثم تربط الآيات العقيدة بالسلوك... والعبادة بالمعاملة والتطبيق العملي والتعامل مع الناس[1].

وهكذا فإن العقيدة وترسيخها وتوضيحها بالطرق والأساليب المناسبة من أهم الأسس للتربية الإسلامية، وتأتي العقيدة عن طرق كثيرة، لا عن طريق التلقين الآلي وحفظ النصوص الجاهزة فقط بل بطرق عديدة، مثل ربط الطفل بالعبادة، وبتلاوة القرآن الكريم، وتعويده على ارتياد المساجد، وعلى ذكر الله والتوجه إليه بالدعاء، والتقرب إلى الله بالنوافل، والالتجاء إليه في الملمات، وفتح بصره على آثار قدرة الله في الكون وفي الإنسان، وتنبيه القلب والعقل لمراقبة الله تعالى في السر والعلن، وبيان الصفات التي تصور الله ـ عز وجل ـ في حالة قريبة من الإنسان بحيث يراه ويرعاه، واستخدام الأدلة البديهية في الإقناع، واستخدام الحقائق والمكتشفات العلمية الحديثة أيضاً، وتكوين العاطفة الإيمانية القوية... إلخ...[2].

والإيمان يقوى بالسلوك والتطبيق العملي، ولذلك ربط الإسلام بين الاعتقاد والعمل: **﴿والعصر. إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾**.

---

(١) المرأة المسلمة الداعية: للمؤلف/ ١٢٧، ط ٥، ١٤٠٥ هـ.

(٢) جوانب التربية الإسلامية الأساسية: د/ مقداد يالجن/ ١٤١ ـ ١٧٥، ط ١، ١٤٠٦ هـ، تربية الأولاد في الإسلام: للشيخ عبد الله علوان ـ رحمه الله ـ ٢/ ٨١٩، ط ٣، ١٤٠١ هـ.

وهكذا فالتربية عملية شاملة متكاملة، وليست أوامر وفلسفات نظرية. . وترسيخ العقيدة من أهم الأسس التربوية التي ترتبط بالحياة عامة.

* ومن الأمور الأساسية في التربية غرس حب الله تعالى. وحب رسوله ﷺ، وتعليم الطفل القرآن الكريم[1]، وقد وردت في ذلك نصوص كثيرة. . . منها:

- روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إلٰه إلا الله، ولقنوهم عند الموت لا إلٰه إلا الله».

- وروى عبد الرزاق أنهم كانوا يستحبون أول ما يفصح الولد أن يعلموه لا إلٰه إلا الله سبع مرات، فيكون ذلك أول ما يتكلم به.

- وكان رسول الله ﷺ: «يأمر أصحابه بأن يؤذن أحدهم في أذن المولود اليمنى ويقيم في اليسرى».

وفي الحديث: «أذَّن ﷺ في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة»[2].

- وروىٰ البيهقي في الشعب من حديث الحسن بن علي عن النبي ﷺ قال: «من ولد له مولود فأذَّنَ في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رُفِعت عنه أم الصبيان».

ويقول ابن القيم عن ذلك: «وسر التأذين والله أعلم: أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته. والشهادة التي هي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كتلقينه شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل/ ٨١.

(٢) رواه الترمذي وأبو داود وقالا: حديث صحيح.

مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به، وإن لم يشعر مع ما في ذلك من فائدة أخرى، وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه أول أوقات تعلقه به.

وفيه معنى آخر وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته، سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقة على تغيير الشيطان لها ونقله عنها ولغير ذلك من الحكم[(١)].

ويقول الإمام الغزالي حول الاهتمام بعقيدة الطفل وتلقينه إياها منذ صغره: «اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه ليحفظه حفظاً لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً، فابتداؤه الحفظ، ثم الفهم، ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق، وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان، فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوئه للإيمان من غير حاجة إلى حجة أو برهان»[(٢)].

وكان رسول الله ﷺ يعلِّم الأولاد ذلك. فقد روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يَوْماً فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف».

وورد في الحديث أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام: «أَدِّبوا أولادكم

---

(١) تحفة المودود/ ١٦، وانظر إلى هذه النظرات المبكرة في تأثير المسموعات على الطفل وعلى أثرها في تربيته وترسيخ بعض المعاني والمشاعر لديه..

(٢) إحياء علوم الدين ١/ ٩٤.

على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن»[1].

* ولم تقتصر تربية الطفل على أمور العقيدة والعبادة، بل كانت تربية شاملة تربط بين العقيدة والحياة.. ولم تكن نظرة التربية الإسلامية إلى الناحية الروحية نظرة فلسفية، أو نظرية، وإنما كانت نظرة واقعية عملية تهدف إلى تكوين شخصية إنسانية متكاملة من جميع النواحي: الروحية، والأخلاقية، والعقلية، والجسمية.

* وهدف التربية الروحية بالدرجة الأولى حماية الشخصية الإنسانية وبالذات شخصية الطفل مما يشوّه جوهرها ويسبب مرضها، إضافة لتنميتها بمختلف وجوهها وجوانبها بأساليب مختلفة، مع ترقية هذه الشخصية لتستطيع التقرب من خالق الكون عز وجل، والانسجام بين السر والعلن عن طريق الشعور الداخلي الراسخ بالصلة المستمرة برب العالمين... وبهذا تستمد هذه الشخصية من الله ـ عز وجل ـ العون والثقة والإشراق والطمأنينة، مما يعطيها قوة دافعة راسخة واعية للحياة، بصورة متوازنة تتحمل المشقات، وتواجه الصعوبات بشجاعة وصبر، وتتسلح بالوقاية ضد الأمراض النفسية، والقلق والاضطراب الذي يصيب البعيدين عن الله ـ عز وجل[2] ـ.

* ومثل هذه التربية تجعل العبادة في نظر الطفل رحلة روحية مشوقة.. لأنه يؤدي العبادة بروح العبادة لا بشكلها، ولا بدافع الخوف والعادة. ولهذا فلقد حرصت التربية الإسلامية على تنشئة الأطفال على عبادة الله من المراحل الأولى عن طريق الترغيب والتشويق والاعتياد، وكذلك حرصت على الربط بين العبادات وتزكية النفس وتطهيرها من الرذائل والسلوك السيىء، وتحليتها بالفضائل الأخلاقية المختلفة، «من لم

(١) أخرجه الطبراني والديلمي.
(٢) جوانب التربية الإسلامية الأساسية: د/ مقداد يالجن/ ٢٤٠، ط ١.

تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً»[1] ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾[2].

* وتوجه هذه التربية الطفل ليربط بين العبادة والحياة.. وأن تتطابق أعماله بين السر والعلن، وأن يكون في كل عمله على صلة بربه عز وجل:

- «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى»[3].

- «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[4].

- «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[5].

وهناك نصوص كثيرة جداً ترسخ هذه المفاهيم، وتنمِّي شخصية الطفل على منوالها[6]، وكلها تؤدي إلى تكوين الشخصية المتكاملة المتوازنة التي تدرك قيمة الحياة الروحية وضرورتها للحياة الإنسانية.

* وكان المربون المسلمون يدركون ذلك، ويعلمون أهمية التربية وشموليتها، ويعرفون الأسس الركيزة التي ينبغي أن تقوم عليها... ولهذا كانت وصاياهم تؤكد ذلك في شتى المناسبات والأحوال.

يقول الإمام الغزالي في هذا الشأن: «الطريق في رياضة الأطفال من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش عليه، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمَه نشأ عليه، وسعد

---

(١) رواه أحمد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢/ ٣٢ - ٣٨.
(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٣.
(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي.
(٤) أخرجه مسلم، كتاب البر والأخلاق...
(٥) أخرجه البخاري ومسلم، كتاب الإيمان.
(٦) جوانب التربية الإسلامية الأساسية: للدكتور مقداد يالجن/ ٢٤٠ - ٢٦٢.

في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِّدَ الشر وأُهمل شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيِّم عليه وولي أمره، وعلى الولي أن يصون الصبي عن الآثام بأن يؤدِّبَه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعوِّده التنعُّمَ، ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر».

«وينبغي أن يتذكر الولي أن تربية الصبيان ليست مقصورة على تعليمهم، وإنما تشمل ألواناً أخرى لا تقل أهمية عن التعليم، فيجب أن يراقبه الولي من أول أمره، لا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال... وينبغي أن يحسن مراقبته، وأن يقوي فيه خلق الحياء عند ظهوره فيه، وأن يعلمه الطريق المستقيم في تناول الطعام والمشاركة فيه».

«ويُحفظ الصبي عن الصبيان الذين عُوِّدوا التنعم والرفاهية، ولبس الثياب الفاخرة.. وكذلك الصبيان الذين ساءت أخلاقهم».

«ويُرسَل إلى المكتب مبكراً، فيتعلم القرآن، وأحاديث الأخبار، وحكايات الأبرار، وأحوالهم، ليغرس في نفسه حب الصالحين، ويُحفَظُ من الأشعار التي فيها ذكر العِشق وأهله، ويحفظ من مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع، فإن ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذور الفساد»[1]. انتهى كلام الغزالي.

* وكذلك بدأت الدراسات الحديثة تلتفت إلى أسس التربية الإسلامية وتعنى بها، وتبحث عن أسس التصور الإسلامي في هذا المجال، وتدرك أهمية الانطلاق والاعتماد على هذا التصور في قضايا التربية والتعليم بعامة، وفي تنشئة الأطفال وتربية الشباب بخاصة، لأن

---

(١) إحياء علوم الدين ٥٧/٣، وانظر كتاب: التربية والتعليم في الفكر الإسلامي: د/ أحمد شلبي، الباب الرابع/ ٢٨٩ ـ ٣٥٩.

ذلك يتعلق بعقيدة الأمة، وسلامة المجتمع، وبناء المستقبل.

ولا يمنع هذا استفادتنا من كل الدراسات التي تلتزم الحقيقة والموضوعية وتتفق مع حقائق الحياة، لأنها حينذاك سوف تلتقي مع التصور الإسلامي الذي انبثق من خالق الحياة ـ سبحانه وتعالى ـ.

ويحضرني في هذا المجال كلمة للشيخ محمد الخضر حسين في كتابه: «السعادة العظمى» حيث يقول:

«أيها الكفيل، إذا ألقيت مسؤولية الطفل في مراتع وخيمة، أخشى أن يضاعف لك العذاب ضعفين، تُعذب على تشويه تلك الجوهرة المكرمة عذاباً نُكْراً، وتحوز من تلك الجناية العامة نصيباً مفروضاً»[1].

ويقول في هذا الشأن أيضاً:

«لا يدري كثير من الناس أن الطفل واحد من رجال الأمة،إلا أنه مستتر بثياب الصبا، فلو كشف عنه وهو كامن تحتها لرأيناه واقفاً في مصاف الرجال القوَّامين، لكن جرت سنة الله ألا يتفق زوال تلك الأستار إلا بالتربية شيئاً فشيئاً، ولا تؤخذ إلا بالسياسات الجيدة من التدريج»[2].

من هذا كله ندرك أهمية التربية للطفل لينشأ نشأة سوية متكاملة، وليكون عنصر خير وبناء، يعطي ويبدع بثقة وطمأنينة واقتدار، دون أن تفقده صعوبات الحياة ومزالق الأيام توازنه، ودون أن تحرفه عن أهدافه الأساسية في الحياة كمخلوق مكرم.

ومن هنا ندرك أيضاً أهمية الأطفال لأنهم عدة المستقبل، والنبت الذي تنتظر منه الأمة على الدوام الثمر والعطاء، ونرى فيه التجدد والنماء، وهم القوة التي تبث في روح المجتمع الأمل والاستمرار، وهم السبيل

---

(١) السعادة العظمى: محمد الخضر حسين/ ٩٠.

(٢) المصدر السابق.

الذي يمكن عن طريقه أن تنهض الأمة بحق، وتسمو وترتفع.

والإسلام هو الذي وضع المعالم الواضحة الراسخة التي تضيء الطريق لتربية الأطفال، وتوضح السبل أمام الباحثين لمعرفة خطوات الدرب، وأساليب التربية، بل لمعرفة الأساس في التربية والأهداف الثابتة لها، بالنظر إلى حقيقة الطبيعة الإنسانية المكرمة، المخلوقة المسؤولة عن أمانة عظيمة.

الفصل الثاني

أدب الأطفال
أهميته وتاريخه

أدب الأطفال

قبل الحديث عن أدب الأطفال لا بد من التوقف عند الأدب عامة؛ لأنه ـ في نظري ـ وسيلة من أهم الوسائل التي ينبغي استغلالها والتعامل معها بشكل إيجابي وخاصة في تربية الأطفال.

ولقد اهتم الأوروبيون بالأدب ونظروا إليه نظرة أبعد وأوسع مما نتصور، فهو في رأي بعضهم يأخذ مكان أشياء عديدة «مكان الترحل أو الإقامة في بلاد غريبة، مكان الخبرة المباشرة، وبديل وهمي عن الحياة، ويمكن أن يستعمله المؤرخون كوثيقة اجتماعية»[1].

ويعدون الأدب أيضاً «نظاماً غير خاضع لاعتبارات الزمن»[2].

«وأنه مؤسسة اجتماعية، أداته اللغة»[3] «وأنه شكل من أشكال الفلسفة»[4].

ولقد فطن أسلافنا إلى الأدب وعرفوا مكانته وتأثيره، واستخدمه المسلمون في ساعات الشدة أحسن استخدام. ففي القادسية جمع سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ القرّاء وذوي الرأي وأصحاب النجدة والمروءة، وكذلك جمع معهم الشعراء والخطباء، مثل: الشماخ،

---

(١) نظرية الأدب: رينيه ويليك، وأوستن دارين، ترجمة محيي الدين صبحي/ ٣١، ط ٣.

(٢) المصدر السابق/ ٤٠.

(٣) المصدر السابق/ ٩٧.

(٤) المصدر السابق/ ١١٥.

والحطيئة، وأوس بن معزاء، وعبدة بن الطيب، ودفعهم إلى ساحات القتال وقال لهم: «انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم، ويحق لهم عند مواطن البأس... إنكم شعراء العرب وخطباؤهم، وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم، فسيروا في الناس فذكّروهم وحرضوهم على القتال، فساروا فيهم»[1].

وروى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: «كانت الشعراء عند العرب في الجاهلية بمنزلة الأنبياء في الأمم»[2].

وتمثلت معجزة الإسلام ـ القرآن الكريم ـ في أسلوب فني أدبي معجز، نفذ كالسحر في قلوب الناس، وفي قلوب أرباب الفصاحة والبيان وفرسان البلاغة والكلام فخضعوا لسلطانه، ووقعوا تحت تأثيره، واستجابت له نفوسهم وقلوبهم، فغيَّر حياتهم، وبدَّل أفكارهم، وقلب موازين الأمور عندهم[3].

«ومن هنا كانت الكلمة أمانة.. إنها موقف ومسؤولية، وهي شرف والتزام ليست للدعابة، أو التسلية، أو تزجية أوقات الفراغ...»[4].

فالأدب في هذا العصر من أهم الوسائل المؤثرة في مسيرة الأجيال، وتربية النشء، وإدخال الأفكار، وتشكيل الوجدان. ولقد استفاد من هذه الوسيلة أصحاب المعتقدات الوضعية والفلسفات المادية حتى نقلوا عن طريقه إلى شعوب الأمة الإسلامية كل آرائهم وفلسفاتهم، وأدخلوا في نفوس الناشئة كل ما يريدون من معتقدات ومذاهب عن طريق الأقصوصة

---

(١) الطبري ٣/٥٣٣، وانظر كتاب: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد: للدكتور عبد الرحمٰن الباشا رحمه الله/ ٨٦.
(٢) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ١/٩٥، نقلاً عن كتاب: النظرة النبوية في نقد الشعر: الدكتور وليد قصاب/ ١٠.
(٣) المصدر السابق/ ٢٤ ـ ٢٥.
(٤) المصدر السابق/ ٢٤ ـ ٢٥.

والرواية، والمسرحية، والشعر، والمقالة، والنقد، وباسم الفن، والمذاهب الفنية والأدبية.

وكان تقصير المسلمين في هذا الشأن واضحاً كبيراً، حتى غدوا عالة على غيرهم، يأخذون ويقلدون، ويتأثرون ويتابعون بمعرفة وغير معرفة، وكان نصيب أدب الطفل من هذا التأثر والتقليد كبيراً.

أهمية أدب الأطفال:

وأدب الأطفال مهم جداً في هذا المجال، لأنه يؤثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة في عقل الطفل ووجدانه، ومثل هذا التأثير الذي يستجيب له الطفل بسهولة يحقق أهدافه المبتغاة منه، ولا سيما أن عقل الطفل في هذه المرحلة خامة ليّنة يمكن تشكيلها بالصورة التي نريد، ولأن نفسية الطفل ـ أيضاً ـ كالصفحة البيضاء يمكن أن نخط عليها ما نشاء. والطفل في مراحله الأولى يقنع بكل جواب، ويصدق كل ما يسمع من والديه وبيئته، كما أنه يقلد ما يراه من حركات وتصرفات، ولهذا كانت مسؤولية الوالدين أولاً، والمربين ـ ومن بينهم الأدباء ـ كبيرة لتأثيرهم على الطفل.

ولا ينكر أحد أن أدب الأطفال يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأسرة[1]، فالجدة والجد، والأم والأب كانوا ينشدون لأطفالهم، لأن هذه الأناشيد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمهام التربية، فهي وسيلة وغاية في وقت واحد. . . وكذلك كانت الحكايات والقصص المأخوذة من تاريخ الأمة، أو تقاليدها، وهي ترمز إلى بعض القيم، أو تستثير خيالات الأطفال. . كانت هذه الحكايات والقصص جزءاً من شخصية الجد والجدة والأب والأم في الأسرة بالنسبة للأطفال، ولا سيما أن تربية الأطفال عند المسلمين لا تقف عند تعليمهم، وإنما تمتد إلى تربية خلقهم، وبعث الصفات الحسنة، والصفاء في نفوسهم، وتنظيم العادات الطيبة فيهم، وهي ترسم للأطفال الطريق لتكوين

---

(١) أدب الأطفال في ضوء الإسلام: للدكتور نجيب الكيلاني/ ٢١.

الإنسان الناجح الصالح الذي ينفع دينه وأمته وأسرته ونفسه[1].

كيف لا والحديث الشريف يصف الولد بأنه ثمرة القلوب «الولد ثمرة القلوب»[2] ولذا كانت النساء تغني للأطفال، وترقصهم، وتبث من خلال هذه الأغاني أسمى المعاني وأطيب الأخلاق، إضافة لإمتاعهم بهذا الغناء المنبعث من صدق الأمومة.

كانت فاطمة رضي الله عنها تُرقِصُ الحسين بن علي - رضي الله عنه - وتقول:

وا بأبي شبهَ النبي ليس شبيهاً بعلي[3]

وفي هذا ما فيه من دفع الصبي للسمو، والاقتداء برسول الله ﷺ جده. وكذلك كان المسلمون يفعلون بأولادهم، فالزبير - رضي الله عنه - يُرقِصُ ابنه عروة ويقول له:

أبيضُ من آل أبي عتيقِ مباركٌ من ولد الصِّديقِ
ألذُّه كما ألذّ ريقي[4]

من هذا كله نرى كيف اهتم الإسلام بالطفولة، وكيف وضع الأسس الواضحة لتنشئة الأطفال تنشئة صالحة، والأدب أو الكلمة الطيبة كانت وسيلة مهمة، منذ أن اختار الله عز وجل كتابه الكريم ليكون معجزة رسول الله ﷺ للعالم إلى يوم الدين. فهل كان الأدب بعيداً عن الطفولة؟ إن ذلك من الأمور التي لا يعقل أن يهملها المسلمون، لأنهم كانوا يقبلون على قراءة كتاب الله، ويحثون أطفالهم على سماعه وتلاوته وحفظه، وفي

---

(١) التربية والتعليم: د/ أحمد شلبي/ ٢٩٢.

(٢) الهيثمي في مجمع الزوائد/ ٨ - ١٥٥، كتاب البر والصلة، رواه أبو يعلى والبزار عن أبي سعيد.

(٣) العقد الفريد: لابن عبد ربه/ ١ - ٢٧٨، وفي رواية «إن بني شبه النبي ليس شبيهاً بعلي».

(٤) تأديب الناشئين/ ١١٨.

هذا ما فيه من تأثير شامل في الأذواق والسلوك والفكر والتجارب، فيه قصص الماضين، في إمداد الخيال إلى ما بعد الحياة، فيه رحلات عبر الكون وفي أعماق النفس، فيه استحثاث العقل الصغير على التفكير والإبداع والتخيل، والفهم والتدبر، فيه تربية وإعداد وسلوك. . .

وكذلك هناك الجلسات التربوية لسماع رسول الله ﷺ في أحاديثه المتنوعة. . في تلك الحكم البليغة والأحاديث العظيمة وهناك الشعر، وقصص الماضين، وهناك حديث الإسراء والمعراج التي كانت أسبق من أي نص في إثارة العقل ودفعه للتخيل، والتفكير.

وهناك القصص الكثيرة على ألسنة الحيوانات: على لسان الطير والنمل، وحديث عن النحل، وحديث عن البقرة، إلخ.

ثم ألم يخرج الأطفال مع الكبار لاستقبال رسول الله ﷺ عندما هاجر إلى المدينة، وانتظروا ثم انتظروا حتى أحرقتهم الشمس، ولما وصل بعد طول انتظار استقبلوه بهذا النشيد العذب:

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع
وَجَبَ الشكر علينا   ما دعا لله داع[1]

ثم ألم يخرج الصبيان لملاقاة جيش مؤتة العائد، الجريح الذي فقد ثلاثة من قواده الأبرار العظماء: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنهم ـ فلما وصل الجيش ضربوه بالحصى وقالوا للجند: يا فرّار؛ لأنهم عادوا ولم يستمروا في القتال. . ولم يقنعهم شيء إلا تأكيد الرسول ﷺ بأنهم كُرَّار إن شاء الله، وليسوا فراراً.

الأدب عند أطفال المسلمين، أو أدب الطفل عند المسلمين عاش

---

(١) انظر في أدب الأطفال: د/ الحديدي/ ٢١٩، ط ٥، وانظر كتاب: تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين/ ١١٨، تحقيق محمد إبراهيم سليم، وكتاب: أدب الأطفال ومكتباتهم: سعيد أحمد حسن/ ٦.

مع الأدب الإسلامي جنباً إلى جنب، لكنه لم يعرف هذه المصطلحات والتقسيمات التي كَلِف بها العصر الحديث، إنه الأدب الذي عاش مع كتاب الله، وسنة رسوله، ومع سيرة الدعوة وأسهم في إعداد الأجيال المتعاقبة.

«فأدب الأطفال هو النتاج الأدبي الذي يتلاءم مع الأطفال حسب مستوياتهم وأعمارهم، وقدرتهم على الفهم والتذوق، وفق طبيعة العصر، وبما يتلاءم مع المجتمع الذي يعيشون فيه... ولا يمكن أن نبحث عن أدب الطفل بالصورة التي يعرفها هذا العصر، كما لا يمكن أن نبحث عن أي لون أدبي، أو عن أي علم بالصورة التي نعرفها اليوم. فكل عصر له سماته وله طبيعته، وله أذواقه وأسلوبه».

أدب الأطفال عبر التاريخ:

لقد اختلفت نظرة الباحثين إلى بدايات هذا اللون من الأدب، فعدّه كثير من الباحثين أدباً جديداً، لم يعرف إلا منذ قرنين من الزمان[1] ولكن آخرين يرون أن أدب الأطفال قديم مع قدم الأمومة والطفولة «فحيثما توجد أمومة وطفولة آدمية يوجد بالضرورة أدب الأطفال بقصصه وحكاياته

(١) بحث مخطوط: أدب الأطفال الإسلامي ـ واقعه وهمومه: للدكتور عبد الباسط بدر، وأدب الأطفال: بقلم فرجينا هافيلاند، عرض: محمود علي، مجلة الفيصل العدد/ ٦٤ شوال ١٤٠٢ هـ، الموافق (أغسطس) ١٩٨٢ م ص/ ٨٣ وما بعدها. . حيث ترى الباحثة أن تاريخ هذا اللون لا يزيد عن قرن من الزمان، وكتاب: أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه: بقلم هادي نعمان الهيتي/ ٧٢، ٧٣ حيث يقول الكاتب: «وأدب الأطفال لم يكن طارئاً على الأدب العربي فحسب، بل هو طارىء على الآداب العالمية كلها، لأن الإنسان لم يقف على سلوك الطفل وقفة علمية إلا في السنين الأخيرة» ص/ ٧٢ وواضح من هذه النظرة أن المؤلف لم يطلع على شيء مما كتبه العلماء المسلمون عن الأطفال وسلوكهم وتربيتهم. ولذلك بنى رأيه على ما لديه من ثقافة غربية. وكتاب (ثقافة المجتمع وعلاقتها بمضمون كتب الأطفال) تأليف د/ عواطف إبراهيم محمد، دار المطبوعات الجديدة ط ١٩٨٤ م.

وترانيمه وأغنياته وأساطيره وفكاهاته، لا يخرج على هذا القانون الطبعي لغة، ولا يشذ عنه جنس»[1].

والواقع أن أدب الأطفال كغيره من الأجناس الأدبية والفنون الأخرى كانت له صور معروفة منذ القديم تتلاءم مع طبيعة العصر وثقافته، وطبيعة المجتمعات ومعتقداتها وأفكارها، وعاداتها وتقاليدها. فكما أن النقد الأدبي، والقصة، والشعر، والمقالة، والأدب عامة، كان قديماً، ولكن صوره في القرون البعيدة لم تكن كصورته اليوم، ووضوحه وقواعده لم تكن كما عرفها العصر الحديث الذي بدأ يقنن، بل افتن في التقسيم والتبويب والتخصيص، فكذلك كان أدب الأطفال.. فهو قديم، ولعله أقدم من جميع الأجناس الأدبية الأخرى، لأنه يواكب ظهور اللغة ذاتها، وارتباطها بصور التعبير عن الحياة الإنسانية، والتعبير البسيط هو الذي يمثل الحياة الفطرية، ويصور العاطفة الإنسانية، عاطفة الأمومة والأبوة نحو الطفل بتعبيرٍ واضح، وصورٍ مأخوذة من البيئة ذات دلالات وإشارات إلى القيم والعادات والمعتقدات، وهذا أمر طبيعي جداً، لأن أدب الأطفال يختلف عن أدب الكبار، بلغته وصوره وأساليبه، أدب يخص عالم الصغار، عالم البراءة.

ولهذا يرى بعضهم أن أدب الأطفال يرتبط (بالفلكلور)، و (الفلكلور) موجود لدى كل الشعوب منذ القديم[2]، ولقد دلت الكتابات القديمة على أن الإسبرطيين كانوا ـ على سبيل المثال ـ يربون أبناءهم تربية عسكرية خشنة، وكذلك سجلت الحضارة الفرعونية بعض الآثار التي ترمز إلى أدب

---

(١) في أدب الأطفال: د/ علي الحديدي/ ص ٧٩ ط/ ٣، ١٩٨٢.
وانظر: الاتجاهات الجديدة في ثقافة الأطفال: صبيحة فارس/ ١١، النادي الثقافي العربي/ ١١ الناشر مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة.

(٢) أدب الأطفال ومكتباتهم: تأليف سعيد أحمد حسن/ ٢١، ط ١، ١٩٨٤ م، منشورات مركز هيا الثقافي.

الطفل، ومثال ذلك ما كانت تقصه الجدة العجوز على الصغار في الليل وكانت الأم تملأ وقت طفلها باللعب والحكايات، ولذلك سجل الفراعنة ما كان يحكى للصغار من قصص، ولعلها أقدم القصص التي سجلت في التاريخ وهي في معظمها تقوم على الخرافة، ومنها «قصة جزيرة الثعبان» وقصة «التاج والفيروز» وقصة «النسر المسحور» وهي تدل على أسلوب حسن ملائم للأطفال فيه تكرار وحسن انتقال بين الأحداث، وأسلوب مؤثر للأطفال، إضافة إلى بعض القصص المصورة على الجدران[1].

وإذا عدنا إلى تراثنا العربي والإسلامي فإننا نجد ألواناً كثيرة تدل على هذا الأدب، وهذه الألوان تمتزج بأساليب التربية التي كانت تستخدم مع الأطفال.. وتمتزج بمحبة الولد عند العرب. ومن مظاهر هذا الحب أنهم كرهوا أن ينام الطفل وهو يبكي؛ ولذلك كانوا يرقصونه ويغنون له.. ويؤثر عن ليلى الأخيلية الشاعرة أنها أجابت الحجاج عندما سألها عن ولدها وقد أعجبه ما رأى من شبابه فقالت: «إنني والله ما حملته سهواً، ولا أنمته مَئِقاً»[2].

وذكرت المصادر التاريخية والأدبية، والثقافية عدداً كبيراً من الأشعار

---

(1) المصدر السابق/ ٢٢، ٢٣، وانظر أيضاً كتاب: في أدب الأطفال: للدكتور علي الحديدي/ ٣٩ ـ ٤٥، ويبدو أن المصدر السابق أخذ عن هذا الكتاب أكثر معلومات هذا الفصل.
ويرى الأستاذ عبد التواب يوسف «أن أصالة أدب الأطفال عندنا ربما تمتد إلى نصائح (امحتب) وإلى كتاب: ألف ليلة وليلة، والسير الشعبية، وكليلة ودمنة». انظر كتاب: كتب الأطفال في عالمنا المعاصر/ ١٠، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني.

(2) لسان العرب مادة (مأق)، وكتاب: المرأة في الشعر الجاهلي/ ١٢٢: أحمد الحوفي، وكتاب: أغاني ترقيص الأطفال عند العرب/ ٤٨ دار العلم للملايين، ط ٢، ١٩٨٢ م. وكتاب (الطفولة في الشعر العربي الحديث) ولا سيما الفصل الثاني منه.
وتقصد «وما أنمته باكياً». وينسب هذا القول لأميمة، ولأم الشاعر تأبط شراً.

في الجاهلية وفي الإسلام كلها تعدّ من الأناشيد أو الأشعار والأغاني الخاصة بالأطفال، وكانت هذه الأغاني تحتوي على كثير من المعاني الخاصة بعاطفة الأبوين نحو الأطفال، أو المعاني المتعلقة بالصورة التي يتمناها الآباء لأطفالهم، أو بالمثل التي يريدون تَنْشِئَةَ الأولاد عليها، ولقد عدَّد مؤلف كتاب «أغاني ترقيص الأطفال» هذه المعاني مع الأمثلة التي تشير إليها وتدل عليها، وهي «بث الطفل الحب وإظهار التعلق به، والتعبير عن العواطف المكنونة تجاهه من حنوٍ وشفقة وفداء وتضحية بالروح والمال من أجله من مثل:

«يا حبذا ريح الولد ريح الخزامى في البلد
أهكذا كل ولد أم لم يلد مثلي أحد»[1]

وكذلك تعبر هذه الأغاني عن مدح الولد والإعجاب به والدعاء إلى الله بأن يمتع به أهله، روي أن سلمى بنت صخر أم أبي بكر الصديق كانت تغني لابنها فتقول:

يا بأبي يا بأبي يا بأبي كأنه في العز قيس بن عدي
في دار قيس ينتدي أهل الندي[2]

وورد أن امرأة كانت تغني لولدها وتشير إلى الصفات الجميلة التي تريدها له فتقول:

إن بنيَّ سيد العشيرة عفٌّ صليبٌ حسن السريرة
جزلُ النوال كفّه مطيرة يعطي على الميسورِ والعسيرة[3]

---

(1) المصدر السابق/ ٥٩، وكذلك: تذكرة الآباء: لابن العديم الحلبي، تحقيق علاء عبد الوهاب محمد ص/ ٢٣ واسم الكتاب الأصلي: الدراري في ذكر الذراري، وانظر كتاب: الغناء للأطفال عند العرب: للدكتور أحمد عيسى/ ٦١ مطبوعات ج م ت العالمية.
(2) كتاب: أبناء نجباء الأبناء/ ٤٤ ـ ٤٥، وكتاب: أغاني ترقيص الأطفال/ ٦٢.
(3) مجالس ثعلب/ ص ٤٩٣، ٤٩٤، وكتاب: أغاني ترقيص الأطفال/ ٦٣.

ومن هذه المعاني استحسان مشابهة الولد أهله، أو مشابهته لأحد من ذوي المكانة من أبناء قومه.

ومن هذه المعاني تضمين الأغنيات ما يحب الأهل أن يتصف به طفلهم في مستقبله، ويُؤْثَرُ في ذلك أن أم الفضل بنت الحارث ـ رضي الله عنها ـ كانت تغني لابنها عبد الله ـ رضي الله عنه ـ وتقول:

ثكلتُ نفسي وثكلْتُ بكري إن لم يسد فهراً وغيرَ فهر
بالحسبِ العدِّ وبذلِ الوفْر حتى يوارى في ضريحِ القبر(١)

ومن هذه المعاني أن تتمنى الأم لابنها مكانة كمكانة أبيه إن كان قائداً أو شريفاً أو عالماً أو خليفة.. وزعم بعضهم أن هند بنت عتبة كانت تغني لابنها معاوية ـ رضي الله عنهما ـ وتتوقع له مستقبلاً عظيماً فتقول:

إن بُنيَّ مُعْرِقٌ كريمُ مُحبَّبٌ في أهله حليم
ليس بفحَّاش ولا لئيمٌ ولا بطخرور ولا سئيم
صخر بني فهرٍ به زعيمُ لا يخلف الظن ولا يخيم(٢)

ومن هذه المعاني الشكوى من عقوق الأولاد، والمرارة مما يبدر منهم.

ومن هذه المعاني التعريض بالزوج أو الزوجة كل منهما بالآخر، وكذلك المدح أو العتاب أو اللوم أو التبكيت والتقريع، أو التفاخر والاعتزاز.

ومنها ما يخص المداعبة والتفكه فقط، أو إغاظة الأهل أو غيرهم.

ومنها كراهة البنات عند بعضهم، ومحبتهن عند بعضهم الآخر مع

---

(١) الأمالي ٢/ ١٤٧، والمصدر السابق/ ٧٥.

(٢) معرق: عريق النسب. فحّاش: قبيح القول. طخرور: غير جلد، يخيم: يجبن. انظر كتاب: المنمق في أخبار قريش، ط حيدر آباد لابن حبيب ص ٤٣٣، والأمالي ٢/١١٦، ١١٧، وأغاني ترقيص الأطفال عند العرب/ ٨١.

التفاؤل بهن . . وافتدائهن بالنفس.

ومنها وصف محاسن البنت وإبداء المحبة لها . .

ومنها التحسر والتباغض بين الضرائر[1].

وفي الكتب التي تتحدث عن الأبناء في تراثنا العربي الإسلامي كثير من الحكايات والقصص ـ إضافة للشعر ـ التي يمكن إدراجها ضمن أدب الطفل، شريطة أن نخضعها لظروف عصرها وطبيعته وقيمه وعاداته، وأذكر في هذا المجال بعض هذه الكتب: (البيان والتبيين) للجاحظ، و (جمهرة نسب قريش) للزبير بن بكار، و (بلاغات النساء) لأحمد ابن أبي طاهر و (الكامل) للمبرد، و (مجالس ثعلب) لثعلب ـ أحمد بن يحيى ـ و (المحاسن والمساوىء) للبيهقي، و (العقد الفريد) لابن عبد ربه، و (الأمالي) لإسماعيل بن القاسم التالي، و (الأغاني) للأصبهاني، و (مجمع الأمثال) للميداني، و (أنباء نجباء الأبناء) لمحمد بن ظفر الصقلي، و (المستطرف في كل فن مستظرف) للأبشيهي و (عيون الأخبار) لابن قتيبة، و (كليلة ودمنة) لابن المقفع، وغير ذلك من الكتب.

---

(١) أغاني ترقيص الأطفال عند العرب/ ٥٣ ـ ١٠٤، وكذلك: الغناء للأطفال عند العرب في إطار السيرة النبوية العطرة، وكتاب: دراسات في أناشيد الأطفال وأغانيهم: بقلم عبد الفتاح أبو معال ولا سيما ما بين/ ٦١ ـ ٨٨ (الفصلين الرابع والخامس)، وانظر كتاب: أدب الأطفال ـ مبادئه ومقوماته الأساسية جـ١: تأليف محمد محمود رضوان، وأحمد نجيب، للصف الرابع بدور المعلمين والمعلمات بمصر، ط/ ١، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م ص/ ١٧. وانظر فصل: تاريخ أدب الأطفال عند العرب ص/ ٢١ في كتاب: أدب الأطفال في ضوء الإسلام: للدكتور نجيب الكيلاني ط/١، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م، مؤسسة الرسالة.

أدب الأطفال عند المسلمين

ولكننا أيضاً ينبغي أن نبحث عن جذور أدب الأطفال في مصادرنا الأساسية في كتاب الله عز وجل، وحديث رسول الله ﷺ، وفي أحداث السيرة وكتب التاريخ، وفي غيرها من الكتب التراثية الأصيلة.

ولعل بعض الناس يستنكرون أن نبحث عن أصول هذا الأدب في مثل هذه المصادر؛ ويقولون: إن ما فيها من نصوص بعيد عن الأطفال وأدب الأطفال، وهو تشريع وأحكام وتوجيهات ومواعظ، وأحداث وروايات، وأين هذا كله من أدب الأطفال!! إن الذين يستهويهم الغرب بما عنده من تقدم مادي، وبريق صناعي يستنكرون أن يكون في غير الغرب شيء من الفنون أو العلوم، وفي الوقت الذي ينقب فيه الباحثون هناك عن أية مظاهر حضارية أو علمية أو فنية في تاريخهم القديم، ويقبلون أي إشارة تدل على تقدمهم، بالرغم من عدم توثيق هذا التاريخ، في هذا الوقت يرفض أتباع المذاهب الغربية أية إشارة إلى التقدم الحضاري للعرب والمسلمين، ويأبون فهم الدين بغير الصورة التي عرفوها عن الكنيسة.. ولذلك لا يقبلون أن يكون الإسلام منهج حياة، وصانع حضارة، وولادة أمة تحمل أسمى خصائص الإنسانية.

من هذا نرى تفسيراً لاستبعاد كل ما يمت إلى العلوم والفنون والآداب في تاريخنا، ولقد أصبح من الضروري أن نعود إلى هذا التاريخ والتراث ونمضي في التنقيب والبحث للكشف عن كنوزنا ومعالم حضارتنا، ولا يمنعنا هذا من الاستفادة من معطيات المدنية الغربية والتقدم المادي الغربي وغيره شريطة ألا يتعارض ذلك مع عقيدتنا وثوابت حياتنا.

ومن هذا المنطلق ننظر إلى موضوع أدب الطفل، فنرى كثيراً من الآيات الكريمة والسور الصغيرة تناسب سن الطفولة، وتعد نموذجاً رائداً وموجهاً يستمد منه هذا الأدب تصوراته، ويتخذ منه الأديب نبراساً يهتدي بنوره. ولنأخذ بعض الأمثلة على ذلك.

قال الله سبحانه وتعالىٰ في سورة لقمان: **﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير. وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما، وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون. يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير. يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور. ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾**[(١)].

وهل أروع من هذا النص الكريم الذي يحمل أصدق عواطف الأبوة، وأحلى صور المحبة والإخلاص للولد، الذي ينشأ في كنف الأب الصالح ورعايته، فيخاطبه بحنو، ويعلّمه ويمحضه النصح الرفيق، بأسلوب هادىء رقيق وعبارة واضحة شفافة، إنه يخاطب الطفل ويتوجه إليه بالنصح والإرشاد، مرة يأمره، ومرة ينهاه، ولكنه لا ينسى أن يصور له الحقائق الكبيرة بصور مجسمة حِسيَّة ليستطيع إدراكها، فيغرس في أعماقه حقائق العقيدة الراسخة بالتصوير الموحي **﴿يا بني لا تشرك بالله﴾** (**يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض**

---

(١) سورة لقمان: الآيات ١٣ ـ ١٩، وانظر كتاب: المرأة المسلمة الداعية، فصل: الأبناء ومسؤولية الآباء، للمؤلف.

يأت بها الله إن الله لطيف خبير) إن الآية تصور له الفكرة (القدرة الإلهية وعلم الله عز وجل) بهذه الصورة ليدركها فالله عز وجل يدرك كل شيء، ويعلم كل شيء مهما صغر أو كبر، وأين كان وأنى كان، وفي أي ظرف كان.

والولد الذي يعرف الصخرة، ويعرف السماء والأرض يدرك عظمة الله وقدرته من هذا كله.

ثم توجه الآيات سلوكه توجيهاً صحيحاً بطريقة عملية واضحة **﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك﴾**، **﴿ولا تصعر خدك للناس﴾**، **﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾**، **﴿واقصد في مشيك﴾**، **﴿واغضض من صوتك﴾**، وانظر إلى هذه الصورة الحسية التي يشبه فيها الأصوات المنكرة بصوت الحمار **﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾**.

وكذلك لنسمع إلى هذه السورة وما فيها من إيحاءات وصور ومعانٍ: **﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول﴾** معان قريبة، وصور مؤثرة واضحة حية... ومشهد يضع وجدان الإنسان عامة، والطفل خاصة، أمام حقائق الحياة الكبيرة؛ فيعلم أن العبد مهما طغى وبغى واستطال، فهو ضعيف، فإذا بارز الله بالمعاصي والمحاربة قصمه الله فكان كالعصف المأكول. ولكن كيف قصمه؟ بالطيور الصغيرة الناعمة!! الطيور الضعيفة التي لا تملك قدرة ولا قوة ولا عقلاً، ولكنها بإرادة الله تصبح أقوى من جبروت الطغيان.

ولنستمع إلى هذه السورة أيضاً: **﴿تبت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى ناراً ذات لهب. وامرأته حمالة الحطب. في جيدها حبل من مسد﴾**.

ولنتوقف عند هذه الصور البسيطة الواضحة التي توحي بما خلفها من

حقائق ثابتة راسخة ﴿في جيدها حبل من مسد﴾.

وكذلك هناك سور كثيرة ولا سيما في الجزء الثلاثين تناسب مراحل الطفولة، وآيات كثيرة في السور المختلفة، كالآيات التي تقص حكاية الجدل الذي دار بين اليهود ونبيهم عند ذبح البقرة، والآيات الخاصة بنبي الله زكريا، ومريم، ويحيى عليهم السلام. والآيات الخاصة بنبي الله موسى عليه السلام مع فرعون، والآيات الخاصة بحكايته مع اليهود، وقصة موسى والرجل الصالح، وقصة موسى وشعيب عليهما السلام، وقصة صاحب الجنتين، وقصة أصحاب الكهف، وقصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع قومه، وقصة إبراهيم وإسماعيل وأمه ـ عليهم السلام ـ وقصة نوح ـ عليه السلام ـ مع قومه.. إلخ.

سور وآيات كثيرة تناسب مراحل الطفولة والفتوة، وتعد نموذجاً رائداً وموجهاً لأدب الطفل المسلم الذي نريد أن يكون ذا سمات واضحة ومميزة، يراعي اهتمامات الأطفال، ويناسب مداركهم، ولكنه أيضاً يؤدي إلى إعدادهم لحياة إسلامية شاملة.

وإذا عدنا إلى الحديث الشريف رأينا نصوصاً كثيرة جداً تناسب مراحل الطفولة المختلفة، وتُعد من الأدب الإسلامي الرفيع، والنماذج الرائدة والموجهة لهذا الأدب. ولنقف عند بعض هذه النصوص:

أخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ فقال: «يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

وفي رواية أخرى: «واعلم أن ما أخطأك لم يكُن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع

الكرب، وأن مع العسر يسراً»[1].

مع بساطة العبارات، ووضوحها، ومع شفافية المعنى وإيحاءاته وعلاقته بالواقع، وبحياة الطفل خاصة، والإنسان عامة، مع هذا نلاحظ التكرار في الألفاظ، بل والعبارات ليزيد الأمر وضوحاً ورسوخاً لتثبيت المعنى المقصود من الحديث، وللتأكيد على أساسيات ينبغي أن يتربى عليها الطفل.

ولنقف عند هذا الحديث أيضاً:

عن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولَّني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذلّ مَنْ والَيْت، تباركت ربنا وتعاليت»[2].

وهناك نماذج كثيرة جداً من الأحاديث النبوية التي رواها صغار الصحابة وفهموها وهم في مرحلة الطفولة (أقل من ١٥ سنة) ووعوها عن رسول الله ﷺ، ولما تتجاوز أعمارهم سن الطفولة ما بين السابعة والخامسة عشرة، وهي بحاجة إلى من يجمعها في مجموعات، ويعرضها للأطفال بصورة مناسبة.

وهناك نصوص من الشعر والنثر في كتب السيرة والتراجم، وكتب التاريخ، والعلوم الإسلامية المختلفة يمكن إدراجها ضمن أدب الأطفال، أو وضعها في مجموعات خاصة بالأطفال، ونتوقف في هذا المجال عند كلمة سماحة الأستاذ الشيخ أبي الحسن الندوي في كتابه «نظرات في

---

(١) رواه الإمام أحمد، والترمذي وغيرهما وهو صحيح.
(٢) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، وهذا الحديث رواه الحسن وكان صغيراً عندما سمعه من رسول الله ﷺ؛ لأن رسول الله توفي وهو أقل من عشر سنوات.

الأدب» حيث يقول: «إن هذا الأدب الطبيعي الجميل القوي كثير وقديم في المكتبة العربية، بل هو أكبر سناً وأسبق زمناً من الأدب الصناعي في كتب الرسائل والمقامات، ولكنه لم يحظ من دراسة الأدباء والباحثين وعنايتهم بما حظي به الأدب الصناعي... ونأخذ كتب الحديث والسيرة - كمثال لهذا الأدب الطبيعي - أولاً فنقول: إنها اشتملت على معجزات بيانية وقطع أدبية ساحرة تخلو منها مكتبة الأدب العربي على سعتها وغناها...»[1].

وما دام الأدباء يفتشون في زوايا الحياة، وفي الأساطير وغيرها عما يرونه مناسباً لأدب الأطفال، فمن الأفضل أن يبحثوا في هذا التراث الحي الذي يصنع الحياة والمجتمعات ويربي الأجيال على بصيرة. أليس غريباً أن يعودوا إلى الأساطير، والسير الشعبية لأخذ صور وموضوعات للأطفال، ويتركون مرجع العربية (كتاب الله وسنة رسوله)؟

وقبل أن نكمل صورة أدب الأطفال في تاريخنا العربي والإسلامي لا بد من الوقوف عند ظاهرة معينة في كثير من الكتب التي بحثت في موضوع هذا الأدب؛ وهي أن أكثر المؤلفين والباحثين تجاهلوا ما في تراثنا الإسلامي والعربي مما له علاقة بهذا الأدب، بينما توقف كثيرون ممن كتب في هذا الموضوع عند جذور أدب الأطفال عند الغربيين، والشرقيين على حد سواء. ولم أر إلا النادر من الكتّاب قد توقف عند شيء من إنتاج الغرب بالتقويم الموضوعي، والنقد العلمي البناء، ليعرف هل يصلح ما كتبوه للأطفال أم لا يصلح. وهل يتناسب مع فطرة الطفل وعقله ومدركاته أم لا يتناسب. ولذلك لا نجد إلا إشارات عاجلة إلى ما في تراثنا من هذا الأدب؛ وهذه الإشارات لا تتعدى الوقوف عند «ألف ليلة وليلة» وبعض القصص الأخرى، التي كانت لها غايات لا يجهلها العاقل. لذلك لم

---

(١) نظرات في الأدب: الشيخ أبو الحسن الندوي ٢٢، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، دار القلم.

يجرؤ كتابها ـ الباطنيون ـ على الظهور والوضوح والإعلان عن أنفسهم، بل راحوا يروِّجون مثل هذه الكتابات ويدسون الأخبار، وينسجون من خيالاتهم خيوط القصص والمؤامرات لتشويه الإسلام وأهله. لقد رأى الغربيون في هذا بغيتهم، لأن الذين صنعوا هذا من حلفائهم من اليهود ومن شايعهم وسار وراءهم بعلم أو بغير علم؛ ولذلك احتفوا بمثل هذه الكتب، وألفوا حولها المؤلفات وعملوا الدراسات، ومنحوا الألقاب العلمية لأصحابها، وكأنها التراث الأسمى للمسلمين. وهذا ما دفع أكثر الباحثين لذكرها كأهم مصدر عربي لأدب الأطفال[1].

ويتوقف الدكتور علي الحديدي عند الحديث عن كتاب (ألف ليلة وليلة) فيرى رأياً آخر حيث يقول: «أما سيد مصنفات التسلية «ألف ليلة وليلة» وعشرات المجموعات التي ألفت على شاكلته وحكاياتها عن الجن والأساطير والمغامرات وأسفار البحار وما فيها من (الفابولات) والنوادر التي أمتعت العالم وأسعدته، فلا يصلح منها للصغار إلا النادر القليل كقصة «علاء الدين والمصباح» وقصة «علي بابا والأربعين حرامياً» وبعض مغامرات «السندباد».

ثم يقول: السبب في ذلك أنها تحوي «حكايات الليالي من معالجة سافرة للجنس، ومن أحاديث مباشرة عنها، ولما في قصصها من طول مفرط، وحكايات مركبة أو معقدة لا يتسنى لعقلية الأطفال إدراكها أو متابعتها»[2].

---

(١) انظر مثلاً: (أدب الأطفال ـ مبادئه ومقوماته الأساسية): تأليف محمد محمود رضوان وأحمد نجيب لطلبة دور المعلمين والمعلمات ص/ ١٧، وكتاب: أدب الأطفال ومكتباتهم: تأليف هيفاء شرايحة/ ٢٧، وكتاب: في أدب الأطفال: د/ علي الحديدي/ ٤٥، وكتاب: أدب الأطفال في ضوء الإسلام: د/ نجيب الكيلاني/ ٢٧، وكتاب: أدب الأطفال ـ فلسفته وفنونه ووسائطه: تأليف هادي نعمان الهيتي/ ١٠٤.

(٢) في أدب الأطفال/ ٤٥ ـ ٤٦. وكذلك/ ٢١٩ ـ ٢٢٩، وكثير من القصص التي =

أما مؤلف كتاب (أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه)، فإنه ينظر إلى أن كتاب (ألف ليلة وليلة) حكايات وضعتها مخيلة القصاصين لأبناء الشعب في عهود كان فيها الشعب قليل المعرفة، يؤمن بوجود الجن والعفاريت ويجد متعة في أخبار الكنوز المطمورة والقصور المسحورة التي تنقله إلى عالم خيالي رحيب ينسيه مرارة الواقع ومتاعب العيش»[1]، بل يرى أن هذا جزء من الأمر الذي يسود في كل مكان، حسب النظرية الماركسية التي يؤمن بها المؤلف والتي بنى كتابه على أساسها، وينهي نظرته هذه بأن مثل هذه الحكايات التي يرد فيها ذكر العفاريت والجن والسحر، كان نوعاً من الزاد الأدبي الذي يتناوله الشعب وأنه «كان كثيباً لما ينطوي عليه من حكم ومواعظ وأمثولات قاسية»[2].

ثم يقرر أيضاً بأنه لا يوجد أدب للأطفال العرب «إلا أن أدباً للأطفال العرب لم يتبلور بعد» برغم تزايد الاهتمام بأدب الأطفال في أكثر بقاع الدنيا، وسبب ذلك فيما رأى المؤلف «طغيان النظريات التربوية التقليدية، وأن المجتمع كان مجتمع رجل قبل كل شيء؛ وأن الاهتمام بالثقافة والإعلام هو ظاهرة حديثة».

= ذكرها الدكتور حديدي لا تصلح للصغار، وهي مليئة بالدس والافتراء والتشويه لتاريخنا الإسلامي وبعض الصحابة رضوان الله عليهم. وكذلك انظر بحث السير الشعبية وأدب الأطفال للشاعر أحمد سويلم وهو بحث مقدم إلى مهرجان التراث والثقافة بالجنادرية عام ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م.

(١) أدب الأطفال ـ فلسفته، فنونه، وسائطه: تأليف هادي نعمان الهيتي/ ١٠٣. ونلاحظ كثرة التركيز على (ألف ليلة وليلة) من قبل المستشرقين وغيرهم ممن يحملون الدعوة إلى تقليد الغرب واتباعه، والباحث المنصف يتوقف عند السبب الذي جعل مؤلف هذا الكتاب أو مؤلفيه يخفون أنفسهم، ولكن التدقيق في الأمر يشير إلى تلك الحركات الباطنية وغيرها التي كانت تعمل في الخفاء لتهديم حكم الإسلام، والكتاب إسهام في تشويه الإسلام والمسلمين.

(٢) المصدر السابق/ ١٠٣.

بل يصل الحد بالمؤلف إلى إنكار كل أدب الأطفال الذي يخرج عن النظرية الماركسية فيقول: «فإن ما قدم ويقدم للأطفال وفق النظريات التربوية القديمة لا يمكن اعتباره أدباً للأطفال»!!

وكل أدب لا يرتبط بالمستقبل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للأمة لا يعد أدباً[١]!! أي لا يرتبط بالتفسير المادي للحياة. ولهذا يرى أن الحكايات والأقاصيص التي استمدت من تاريخنا هي وليدة عصور العبودية والإقطاع[٢]: «وعليه من الخطأ أن نعتبر جميع هذه الأقاصيص والحكايات التي تعبر عن واقع غير واقعنا زاداً رئيسياً لأدب الأطفال»، ولأنها «من تركات المجتمعات المتخلفة في طفولتنا»[٣].

وهذا المؤلف الذي يتجاهل أبسط مقومات العقل، وكبريات الحقائق، ويرمي بحقد كل ما ضمه تاريخنا من حضارة علمية وأدبية وثقافية وسياسية كانت بادية واضحة كالشمس، نشرت آثارها حتى الصين شرقاً وحتى الأطلسي غرباً، وسارت حتى ضربت في وسط أوروبا أوتاد الخيام العربية.. وها هي ذي اليوم تبدو لكل الشعوب، الحضارة التي يمكن أن يلجأ إلى فيئها الهاربون من جحيم الحضارات المادية، والمنقذ الوحيد من الصراعات والصرعات المختلفة.

هذا المؤلف الذي ينكر بشكل واضح ومبطن كل ما دعت إليه عقيدة المسلمين، ويتنكر لكل ما أعطته هذه الحضارة، يتجاهل ويتغافل عما يراه في العالم الشيوعي من كوارث لا يصدقها عاقل.. وها هي ذي الدول الشيوعية تنهار واحدة إثر أخرى، ويخرج الإنسان ليدافع عن إنسانيته، ويزيل هذا الكابوس، حتى يقف زعماؤهم وهم يعلنون خطأ ما اعتقدوه، وجريمة ما ارتكبوه، بل يلعنون زعماءهم الذين كانوا رواد هذا المذهب.

---

(١) المصدر السابق/ ١٠٥.

(٢) المصدر السابق/ ١٠٦.

(٣) المصدر السابق/ ١٠٦.

نعم يتجاهل هذا المؤلف ما يحدث في روسيا وألمانيا ورومانيا، وغيرها من البلدان، ولا يستحق هذا الوطن الذي أظله ـ فتنكر له ـ غير صفحات أربع يتحدث بها في كتابه عن «أدب الأطفال في الوطن العربي»[1].

بينما يسهب في الحديث عن أدب الأطفال في البلدان الاشتراكية، وأدب الأطفال الصهيوني بأسلوب كله إعجاب وإكبار، وإن كان يتوارى خلف نقد مادي للأدب الصهيوني.

نخلص من هذه الجولة إلى تسجيل التقصير الذي وقعنا به إزاء تراثنا وأدبنا، وإلى الأحكام المسبقة التي هيمنت على كثير من المؤلفات والدراسات الخاصة بأدب الأطفال نتيجة التقليد، أو الانخراط في الولاءات الحزبية والفكرية الوافدة.

هذا التقصير جعلنا نكسل عن النظر في هذه الكنوز الثمينة، والآثار الكثيرة التي ضمت ما يصلح لأدب الأطفال، لجمعه، ونشره، أو لترتيبه وإعادة صياغته من جديد ليتلاءم مع هذا العصر، وليقدم بالصورة المناسبة لأطفالنا.

---

(١) المصدر السابق/ ١٠٣ ـ ١٠٧، والمؤلف لا يترك مجالاً يتصل بالإسلام إلا ويحاول أن يسيء له في كتابه هذا.

أدب الأطفال في العصر الحديث

لقد ظهرت العناية والاهتمام بأدب الأطفال في القرنين الماضيين في أوروبا وأمريكا، وكثير من بلدان العالم بشكل واضح.

ففي فرنسا: وقد كانت في طليعة الدول الأوروبية في العلوم والثقافة، بدأ أدب الأطفال في الظهور في أواخر القرن السابع عشر عندما ظهرت مجموعة «حكايات ماما وزّة» عام ١٦٩٧ م، وهي تضم عدداً من القصص منها: «سندريللا والجميلة النائمة»... و «الجنية والقط في الحذاء الطويل» التي كتبها «تشارلز بيرو Charles Perrault» الشاعر الفرنسي الكبير وعضو الأكاديمية الفرنسية؛ ولكنه مع شهرته خشي على مجده الأدبي فلم ينسب هذه المجموعة له، بل استعار لها اسم ابنه «بيرو دار مانكور».

وبعد أن نالت هذه المجموعة شهرة واسعة وإقبالاً كبيراً، أخرج المؤلف مجموعة أخرى أسماها «أقاصيص وحكايات الزمان الماضي» ونسبها لنفسه هذه المرة. وكانت هذه المجموعات أول مراحل التكوين الحديث لأدب الأطفال، وكان لها تأثير كبير في حكايات الأطفال والقَصص الشعبي في كثير من البلدان الأوروبية الأخرى بعد ما ترجمت لهذه اللغات[1]. ولم

(١) في أدب الأطفال: د/ علي الحديدي/ ٤٧، ٤٨، ويرى أن انتشار القصص الشعبي العربي وحكايات ألف ليلة وليلة كان له تأثير كبير في أدب الأطفال الغربي/ ٤٦ ـ ٤٧، وانظر: أدب الأطفال: تأليف محمد محمود رضوان وأحمد نجيب/ ١٠، وأدب الأطفال ومكتباتهم: تأليف هيفاء شرايحة/ ٢٠، ط ٢.

ينتشر أدب الأطفال بعد وفاة (بيرد) إلا في القرن الثامن عشر بعد ظهور «جان جاك روسو» وانتشار آرائه في تعليم الأطفال وتربيتهم، ثم بدأت الكتابة للأطفال تنتشر متأثرة بترجمة كتاب (ألف ليلة وليلة)[1] وبآراء الفلاسفة الغربيين في التربية والنفس الإنسانية وبناء المجتمعات، وبعدها ظهرت أول صحيفة للأطفال في فرنسا ما بين عامي (١٧٤٧ ـ ١٧٩١) ورمز صاحبها لاسمه بعبارة (صديق الأطفال)، وامتازت الكتابات المنشورة بهذه الصحيفة بالسهولة والرشاقة، وكانت تنشر قصصاً متنوعة من بلدان ولغات متعددة، وسدت فراغاً كبيراً عند الأطفال، وانتشرت بعدها حركة التأليف والنشر في فرنسا بشكل واضح.

أما في إنجلترا: فلقد كانت الكتابات للأطفال ممزوجة بالنصح والإرشاد، وتحديد الواجبات والاهتمام بالتهذيب والإصلاح أكثر من اهتمامها بإيقاظ عقل الطفل وإثارة اهتماماته. ولذلك نُشر عدد من الكتب مثل «وصية لابن»، و «التحدث للأطفال»، و «كتابات للبنين والبنات»، و «الرموز المقدسة»، ورافق ذلك ازدهار الحركة البروتستانتية، فظهرت الكتب الدينية وكانت تميل للتخويف والترهيب، إضافة للمواعظ والحكم.

وكان هذا اللون من الكتب غير مرغوب فيه، بل شجبه بعض الفلاسفة آنذاك حتى ترجمت قصص «حكايات أمي الأوزة» للإنجليزية فأثرت في تأليف كتب جديدة للأطفال، واقترن ذلك باسم «جون نيوبري John Newbery» صاحب المكتبة الشهيرة باسمه، التي خصصها للأطفال. وأخرج (نيوبري) حوالي مائتي كتاب صغير للأطفال تضم القصص

---

(١) يبدو لي أن تأثير كتاب (ألف ليلة وليلة) قد بولغ فيه، فمن جهة أراد الغربيون التمجيد بهذا الكتاب كمثل عن التراث لما حواه من أمور تخالف الإسلام وتسيء للمسلمين. ولتشجيع مثل هذه الصور في المجتمع الإسلامي، وكذلك أخذ العلمانيون العرب هذه المقولة وبدؤوا يشيعونها وينسجون حولها الأخبار والدراسات.

والأساطير والحكايات والخرافات في إنجلترا وأمريكا، مما أكسبه لقب الأب الحقيقي لأدب الأطفال في اللغة الإنجليزية؛ ثم أنشأ قبل وفاته مشروعاً تجارياً لكتب الأطفال ظل حتى القرن العشرين.

وظهرت «ماريا إدجوورث Maria Edgeworth» (١٧٦٧ ـ ١٨٤٩) كأحسن راوية لحكايات الأطفال، وكتبت الحكايات التهذيبية التي مهدت للحكايات الواقعية.

ثم كان لنشوء حركة مدارس الأحد في بريطانيا أثر في ازدهار القصص الدينية للأطفال هناك.

وفي أوائل القرن التاسع عشر ظهر الكاتب «تشارلز لامب Charles Lamb» (١٧٧٥ ـ ١٨٣٤) فثار على الأسلوب التعليمي في كتب الأطفال وبدأ في عام ١٨٠٦ م بكتابة قصص مسلية وممتعة للأطفال.

وفي عام ١٨٦٥ م ظهرت أشهر مجموعة قصصية كتبت بالإنجليزية للأطفال: «أليس في بلاد العجائب» للكاتب «لويس كارول». وكانت منطلقاً للحكايات الخرافية، حيث انطلق أدب الأطفال إلى عصره الذهبي في القرن العشرين[(١)].

أما في ألمانيا: فقد بدأ ظهور نوع من الخطابات الخرافية في القرن الثامن عشر. ولكن هذه الحكايات كانت تصلح للكبار أكثر من صلاحيتها للصغار.. وعندما جاء الأخوان «يعقوب ووليم جريم» قدّما كتباً خاصة

---

(١) في أدب الأطفال: للدكتور علي الحديدي/ ٥٢ ـ ٥٣، وانظر كذلك: بحث (الصغار في ذاكرة الكبار) بقلم محمد العربي الخطابي ـ مجلة الفيصل عدد شهر رجب ١٣٩٩ هـ الموافق (يونيو) حزيران ١٩٧٩ م ص/ ٢٩، وكذلك بحث: (أدب الأطفال) بقلم يوسف أبو عواد، بمجلة المنهل العدد (٤٣٤) جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ الموافق (فبراير ومارس) شباط وآذار ص/ ٨٩ ص/ ١٩٥ وما بعدها، وانظر كذلك: (أدب الأطفال) رحلة في كتاب عرض وتحليل محمود علي مجلة الفيصل العدد/ ٦٤ شوال ١٤٠٢ هـ الموافق (أغسطس) آب ١٩٨٢، ص/ ٨٤ وما بعدها.

بالأطفال، فكتبا في عام ١٨١٢ «حكايات الأطفال والبيوت» وبقي لهذه المجموعة مكانتها رغم مرور عقود كثيرة عليها حتى أصبحت أشهر كتاب في ألمانيا بعد الكتاب المقدس لأنها تتعلق بعيد ميلاد المسيح، وترجمت هذه المجموعة إلى عدد من اللغات الأوروبية، وأهم ميزاتها أنها تدوِّن الحكاية كما يحكيها الشعب دون إضافات تشوِّهها، ودون اللجوء إلى الرموز أو اصطناع الحكم الخفية[1].

وفي الدانمرك: ظهر رائد أدب الأطفال في أوروبا «هانز كريستيان أندرسون Hans Christian Andrson» (١٨٠٥ ـ ١٨٧٥) الذي نشأ نشأة فقيرة معدمة في طفولته، ولكن موهبته الفنية جعلته من مشاهير الكتاب، ومن المترفين. فرحل إلى بلدان عديدة في ثلاث قارات، وتعرف على الفقراء والمساكين، والأغنياء والمترفين، واستزاد من تجارب متنوعة في هذه الرحلات.

تتميز كتاباته الأسطورية بالنزعة الإنسانية، وبالمضمون الواقعي، مع القالب الفني الجميل، وتظهر الكفاءة من الملاحظات الدقيقة للأحداث والعالم.

وكان (أندرسون) أكثر الكتاب إحساساً بجمال الطبيعة، وإبرازاً للصبغة المحلية من خلال أسلوبه الرشيق. ومن كتبه الشهيرة (البطة القبيحة) و (فتاة المباراة الصغيرة) و (ثياب الإمبراطور الجديد)[2]، واكتسب أندرسون بميزاته الكثيرة شهرة عالمية كبيرة، وأصبح من رواد كتاب أدب الطفل في العالم[3].

---

(١) انظر كتاب: (الحكاية الخرافية) ترجمة د/ نبيلة إبراهيم، وفي أدب الأطفال: د/ حديدي/ ٥٣ وكتاب: أدب الأطفال ومكتباتهم: تأليف هيفاء شرايحة/ ٢٣.

(٢) في أدب الأطفال: د/ حديدي/ ٥٤ ـ ٥٥ وانظر ما كتبه عبد الله حسين في كتابه: مذاهب وشخصيات عن أندرسون، وكتاب: أدب الأطفال ومكتباتهم: هيفاء شرايحة/ ٢٣.

(٣) نال هذا الكاتب جائزة من بلاده على إحدى رواياته عام ١٨٣٢ م، وانظر مجلة النهضة الكويتية العدد (٤٧٨) السنة التاسعة ١٩٧٦ م ص ٦٢.

وفي روسيا: اعتنت البلدان الشيوعية عناية كبيرة بثقافة الأطفال، وأرادت من ذلك تنشئتهم تنشئة جديدة توافق الفكر والمعتقدات الماركسية، وتفصل هؤلاء عن التراث العقدي والفكري والأدبي الذي سبق الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧ م.. ولذلك أصبح تعليم الأطفال وتربيتهم من أولى مهام الحزب والدولة، حتى تنشأ أجيال شيوعية بعيدة عن كل المعتقدات المنافية لها. وكان (مكسيم غورغي) يقول عن الأطفال: (القوة الكبرى) وفي عام ١٩١٧ م أرسل هذا الكاتب رسائل إلى أصدقائه يتحدث فيها عن أهدافه في نشر سلسلة من كتب الأطفال[١].

وأنشأت روسيا والدول الاشتراكية منظمات خاصة بالأطفال أسموها (الطلائع) وخصوها بكثير من البرامج والكتب والجهود لإخراج جيل يناضل ـ حسب زعمهم ـ من أجل الاشتراكية، ولذلك أنشأت روسيا منذ وقت مبكر منظمة أسمتها (منظمة الرواد الشباب) أو (الطلائع) في عام ١٩٢٢ م[٢].

ومن أهم الذين كتبوا للأطفال في روسيا (بوشكين) و (تولستوي) و (ماياكوفسكي) الذي ألف ١٦ مقطوعة شعرية للأطفال. واهتم (إيفان كريلوف) الشاعر المشهور بالكتابة للأطفال على ألسنة الحيوانات[٣].

وكذلك اهتمت بقية دول أوروبا الشرقية الشيوعية بأدب الأطفال وأنشأت مؤسسات متخصصة لكتب الأطفال، ومنظمات متخصصة لتربيتهم تربية شيوعية، وقدمت لهم أدباً خاصاً بهم.

وفي أمريكا: كانت عنايتها بأدب الأطفال بعد أن وصلتها مجموعات

---

(١) أدب الأطفال: تأليف هادي نعمان الهيتي/ ١٠٩.

(٢) المصدر السابق، ومن المعروف أن عدداً من الدول العربية التي تبنت الاشتراكية أنشأت مثل هذه المنظمات ولا سيما في سوريا والعراق (منظمة الطلائع).

(٣) أدب الأطفال ومكتباتهم/ ٢٥. وكذلك: في أدب الأطفال، د/ الحديدي/ ٥٦، ٥٧.

من أدب الأطفال من دول أخرى. ولكنها طوّرت هذا الأدب ووصلت به إلى المكانة التي لم يصل إليها بلد آخر، ولقد كان تطوير الكتابة للأطفال على يد «صمويل جودريتش» الذي نشر «حكايات بيتر بيلي» في عام١٨٢٧م وكتب أكثر من مائة مؤلف للأطفال عن التاريخ الأمريكي.

وبعد الحرب العالمية الأولى أصبح الاهتمام بأدب الأطفال واضحاً في أمريكا حيث زادت المخصصات الفيدرالية للمدارس والمكتبات، وظهر عدد كبير من الكتاب الذين اهتموا بأدب الأطفال، وظهرت مجموعات كبيرة من كتب الأطفال الشعبية والخيالية، والتاريخية وغيرها[1]، ويكفي للدلالة على هذا الاهتمام والزيادة المطردة في أدب الأطفال بأمريكا، أن عدد الناشرين بلغ (٤١٠) ناشراً عام ١٩٣٠ م، ثم وصلوا إلى (٥٨٩٥) عام ١٩٦٥ م، وأن بعض الكتب قد بلغ توزيعه أكثر من خمسة ملايين نسخة[2].

وفي إيطاليا: زاد الاهتمام بكتب الأطفال ونشأت اتجاهات جديدة لبعث التراث من الأساطير والقصص الشعبية، واهتم (ايتالو كالفينو) بمثل هذه القصص. وكذلك امتاز أدب الأطفال الإيطالي بارتباطه الوثيق بالواقع[3].

وفي اليابان: اهتمام بالغ بكتب الأطفال، ونشرت السيدة (كيوكو إيواسكي) كثيراً من الكتب عن الحيوانات والطيور والأزهار والريف بجماله الخلاب والطبيعة بوجه عام[4].

---

(١) رحلة في كتاب أدب الأطفال: بقلم فرجينا هافيلاند، عرض وتحليل محمود علي مجلة الفيصل العدد/ ٦٤ شوال ١٤٠٢ هـ (أغسطس) آب ١٩٨٢ م ص/ ٨٣ وما بعدها.

(٢) في أدب الأطفال، د/ الحديدي/ ٥٧ ـ ٥٨.

(٣) أدب الأطفال ومكتباتهم: هيفاء شرايحة/ ٢٦.

(٤) المصدر السابق.

في البلدان الأفريقية:

لا شك أن عناية أفريقيا بأدب الأطفال كان متأخراً لفقر هذه القارة، ولوقوعها تحت سيطرة الغرب، ولا سيما فرنسا وإنجلترا، ولذا فإن نشوء أدب الأطفال هناك كان صدى لما عند الغرب في أكثره، ولكن ذلك لم يمنع من ظهور أدب للطفل يناسب البيئات المحلية، ويأخذ من عادات هذه الشعوب في عدد من البلدان الأفريقية.

ففي غانا: مثلاً أُنشئت أول مكتبة للأطفال في عام ١٩٤٩ م، وبعد عشر سنوات وصل عدد المكتبات إلى خمس عشرة مكتبة وأصبح هناك سبع دور نشر تهتم بأدب الأطفال، وقد صدر عام ١٩٧٥ م سبعة وأربعون كتاباً للأطفال بالإنجليزية والغانية[١].

وفي نيجيريا: تكوّن اتحاد لكتاب الأطفال في عام ١٩٦٤ م، ثم عقدت دورة تدريبية للكتاب الجدد وللأطفال بواسطة مؤسسة فرانكلين الأمريكية، وأنشأت منظمة (اليونسكو) مكتبة نموذجية للأطفال في لاغوس. واشتهر في نيجيريا بعد ذلك عدد من الكتاب والكتب[٢].

وكذلك بدأت محاولات لكتابة أدب الطفل عن طريق التعاون بين عدد من البلدان الأفريقية الناطقة بالإنجليزية مثل (كينيا وتنزانيا وأوغندا).

وتكونت في سيراليون مكتبات للأطفال في المدارس حتى شملت أكثر من ٦٠٠ مدرسة ابتدائية، وفي الوقت الذي يهتم العالم بقضايا الطفل لأنه رمز المستقبل، فإن هناك عملاً قائماً في مجال أدب الأطفال ومكتباتهم على أساس عنصري في كل من جنوب أفريقيا وزامبيا، وزمبابوي[٣]..

---

(١) كتب الأطفال في عالمنا المعاصر: عبد التواب يوسف، دار الكتاب المصرية/ ٣٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق/ ٣٢. ولم تتحدث عن أدب الأطفال في مصر وغيرها من الدول العربية، لأننا أفردنا فقرة خاصة بها.

وهذا انعكاس لسياسة الاستعمار الغربي وتطبيق لفلسفته ومبادئه حينما يطبقها خارج أوروبا.

أما بقية الدول الأفريقية فلا يزال أدب الأطفال في بداياته، ولا تزال هذه الدول بعيدة عن مثل هذه المجالات نتيجة لأوضاعها المتأخرة، وفقر مواردها المادية، وعدم قدرتها على تدبير الحاجات الأساسية للناس.

ولا بد من ملاحظة أمر مهم وهو أن الدول الاستعمارية ولا سيما إنجلترا وفرنسا وأمريكا قد حرصت على تنشئة أطفال هذه القارة على العقائد الغربية، والفلسفات المادية.. ولذلك قام كثير من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية الغربية بإنشاء مكتبات، وترجمة عدد من الكتب للدول الأفريقية، واهتمت بشكل خاص بالدول ذات النسبة الإسلامية العالية كنيجيريا، والسنغال، وشمال أفريقيا وأوغندا. لذلك نرى شركة مكميلان البريطانية، ومؤسسة فرانكلين الأمريكية، ومؤسسة فورد الأمريكية، وغيرها من الشركات والمؤسسات الغربية، قد عملت برامج ومكتبات، وترجمت عدداً من الكتب لهذه الشعوب، إضافة إلى السياسة الرسمية التي اتبعتها الدول الأوروبية لكي تطبع هذه الدول بالطابع الغربي العلماني المادي.

في بعض البلدان الإسلامية:

لقد تأثرت الدول الإسلامية بأوضاعها الاقتصادية المتأخرة من جهة، ورزوحها تحت الاستعمار الأوروبي على ترابها من جهة ثانية، ولذلك تأخر انتشار أدب الأطفال فيها. بل كان في بعضها صورة من صور الأدب الغربي لاعتمادها على الترجمات، ولكن ذلك لم يمنع نشوء أدب خاص يحمل طابع هذه الشعوب الإسلامية هنا وهناك.

ففي باكستان: بُذلت جهود لمواجهة النقص في كتب الأطفال فتكونت لجنة وطنية للكتاب عام ١٩٦٥ م وبدأت تصدر فهارس وإحصاءات عن الكتب عامة وعن كتب الأطفال خاصة، حتى تجاوزت

كتب الأطفال أربعة آلاف كتاب، وزاد عدد دور النشر النشيطة في هذا المضمار عن عشرين. ولكن عدد النسخ المطبوعة من الكتب قليل إذا قيس بعدد السكان، وهذا ناتج عن الفقر والأمية المنتشرين في هذا البلد الإسلامي.

ومع ذلك فإن تاريخ أدب الأطفال في باكستان ليس حديثاً، لأنه عندما كتب (لويس كارول) في أوروبا روايته الثانية «إليس في المرآة» كتب (مولاي نزار أحمد) روايته «مرآة للعروس» التي تعتبر أول عمل روائي للأطفال في باكستان باللغة الأوردية.. وكذلك كان (مولاي محمد حسين أزاد) يكتب سلسلة من كتب الأطفال. وقد جاء في رسالة عن أدب الأطفال ما يلي:

«إن كاتب الأطفال يجب أن يرتدَّ طفلاً، يشطب ويصحح، ويمسح ويعيد الكتابة كما يفعل الأطفال.. نعم إن كتبهم ابتدائية، لكنها تحتاج إلى جهد جهيد، فصاحبها في نومه وصحوه، في غدوه ورواحه، شهراً بعد شهر وعاماً بعد عام، لا بد وأن يعايش أفكاراً طفلية»[1].

ومثل هذه الكتابة تدل على تفهم واضح لخصائص أدب الأطفال. وهي كتابة مبكرة لأنها نشرت في منتصف هذا القرن.

وكذلك نشر (مولاي محمد إسماعيل) مجموعة من كتب الأطفال من بينها أشعار وقصص..

ثم نشأت دور نشر خاصة بكتب الأطفال وأصدرت بعض المجلات الخاصة لهم.

في تركيا: يبدو أن أدب الأطفال في تركيا قديم في هذا العصر، إذ بدأ في الظهور كما يقول (كمال ديميراي) في دراسة له عن أدب الأطفال

(١) المصدر السابق/ ٤٥.

هناك، في القرن الثامن عشر حيث صدر ديوان الشاعر (نابي) ثم ديوان الشاعر (سمبولزا دمنهمبي)[1] وكان طابع شعرهما هو الطابع الإسلامي التربوي، ثم ظهرت في القرن التاسع عشر عدة مجلات، ولكن في أواخر الدولة العثمانية، بدأت تظهر الهجمة التغريبية العلمانية باسم التحديث والتنظيم، وبدأت الترجمات تغزو هذا البلد المسلم حيث قدم الناشر (أجاها أفندي) ترجمات لكتب الأطفال عن الفرنسية ولا سيما عن (لافونتين) وكان الشاعر (سيناسي) قد عاد من فرنسا متأثراً بالغرب فانعكس هذا التأثر فيما كتبه للأطفال، وكذلك أسهم الشاعر (ناظم حكمت) في هذا الاتجاه العلماني.

وزاد الاهتمام بأدب الطفل بعد إلغاء الخلافة، خاصة وأن ذلك مرتبط بتغيير الكتابة بالحرف العربي للكتابة بالحرف اللاتيني، لإبعاد تركيا عن الإسلام، ولتربية الأجيال تربية غربية محضة، ولذلك كانت العناية بالأطفال أكثر من أي بلد آخر خارج نطاق العالم الغربي، وصدرت مجلات كثيرة، وعملت برامج عديدة في الإذاعة (والتلفزيون) ونشط دعاة التغريب نشاطاً كبيراً، ولقوا دعماً هائلاً من البلدان الأوروبية. ولذلك أصبح في استانبول وحدها أكثر من مائة دار نشر لكتب الأطفال، وتقول بعض الإحصائيات: إن في تركيا أكثر من (٢١٠٠) دار للنشر، وإن كتب الأطفال التي صدرت في عام واحد أكثر من (٦٠٠) كتاب. وهناك حوالي (٣٠٠) مكتبة للأطفال فيها حوالي (٧٠٠) ألف كتاب[2].

ومع ذلك فلقد بدأت الصحوة الإسلامية في هذا البلد تهتم بالأطفال والشباب، وصدر كثير من الكتب الإسلامية الخاصة بالأطفال، وظهر عدد من كتاب أدب الطفل هناك، وظهرت (مجلة الأدب

---

(١) المصدر السابق/ ٤٧.

(٢) المصدر السابق.

الإسلامي) التي بدأت العناية بالأدب الإسلامي عامة، وأدب الطفل بصورة خاصة... وعقدت رابطة الأدب الإسلامي مؤتمرها العام الثاني في المحرم من سنة ١٤١٠ هـ في مدينة استانبول بتركيا، وكانت الندوة الأدبية التي رافقت هذا المؤتمر عن أدب الطفل في الإسلام. وسوف تثمر هذه الجهود ـ بإذن الله ـ ويصبح أدب الطفل أدباً إنسانياً يأخذ روحه من معين التصور الإسلامي.

في الهند: ليس غريباً أن ينحو أدب الأطفال في الهند منحى غريباً، ومع ذلك فقد نشأ أدب للأطفال له طابع تربوي إسلامي، ومن أبرز الذين كتبوا للأطفال سماحة (الشيخ أبي الحسن الندوي)، حيث أصدر عدداً من الكتب الخاصة بالأطفال، وكانت تعرض لقصص الأنبياء وللسيرة النبوية الشريفة، وبعضها يتكلم عن موضوعات علمية تربوية مثل (كسرة من الخبز). وكذلك كتب إسماعيل (ميرتي) عدداً من الكتب الخاصة بالأطفال ومنها دواوين شعرية، وقصص وحكايات، ولقد ترجمت من الأوردية إلى عدد من اللغات ومنها «أول قطرة للمطر» و «براعة الطفل» و «الخاتم المزيف» وهي قصائد شعرية.

وكذلك ترك الشاعر المبدع (محمد إقبال) عدداً من القصائد الخاصة بالأطفال ومن أهمها: «عنكبوت وذباب» و «جبل وسنجاب» و «بقرة وغنم» و «دعاء الطفل» و «التعاطف» و «طائر ويراعة» و «استغاثة الطير» و «نشيد الأطفال الهنود». وقصيدته (دعاء الطفل) نالت شهرة واسعة لأسلوبها ومعانيها الرائعة، وروحها الإنسانية وترجمتها: «تتردد أمنيتي على شفتيَّ بأسلوب الدعاء، والتضرع إلى الله أن يجعل حياتي سراجاً منيراً، وشمعة لامعة وضّاءة، تزيل الظلام الحالك الذي يسود العالم، وأن يستنير كل مكان من ضيائي، وأن يزدان وطني بوجودي فيه، كما يزدان البستان ويزهو بالورود والأزاهير والرياحين، ويكون جل همي مساعدة الفقراء وحب الضعفاء، وأنقذني يا ربي من كل شر، واهدني سواء السبيل والصراط

المستقيم»[1]. وكذلك أسهمت (ندوة العلماء) في لكنو بالهند، ومدارسها ومعاهدها المنتشرة بالمدن الهندية المختلفة بنشر عدد من كتب الأطفال، وكان للعلامة (سليمان الندوي) ـ رحمه الله ـ دور بارز في هذا المجال.

ومن الأمور الجديرة بالذكر والتنويه اعتماد (ندوة العلماء) في تعليم الأطفال الهنود اللغة العربية على الأسلوب الأدبي، ففي كتاب «القراءة الراشدة»[2] كثير من القصص الجميلة المعبرة ذات الأسلوب السهل والمعنى الجليل، والطريقة المشوقة للأطفال. ومنها على سبيل المثال قصة «سفينة على البر» و «الضيف الجائع» و «من دون أُحد» و «على الخشبة» و «شهامة اليتيم» وقصة «عمير في الحنين للشهادة في معركة بدر»[3].

وهناك كتاب آخرون مثل (شفيع الدين نير) و (حسين حسان ندوي) ممن أسهموا في أدب الأطفال[4].

في بنغلاديش: كان أدب الأطفال في الهند بشكل عام، وفي المناطق الإِسلامية منها مثل (بنغلاديش) ـ فيما بعد ـ رهناً لنشاطات الهندوس ـ والذين تدعمهم الحكومات الغربية ولا سيما بريطانيا؛ ولذلك

---

(١) بحث مقدم لندوة الطفل المسلم، كتبه الدكتور محسن عثمان الندوي، من جامعة جواهر لال نهرو ـ نيودلهي ـ الهند بعنوان: (أدب الأطفال في الهند بين النظرية والتطبيق). وانظر مجلة البعث الإسلامي العدد الثاني المجلد/ ٣٥ شهر شوال ١٤١٠ هـ مايو ١٩٩٠ م ص ٨٥.

(٢) من تأليف سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي.

(٣) بحث عن أدب الأطفال: لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي مقدم لرابطة الأدب الإِسلامي العالمية.

(٤) أدب الأطفال في الهند ـ بين النظرية والتطبيق، بحث بقلم: د/ محسن عثمان الندوي. والأستاذ الشيخ أبو الحسن الندوي كرائد الأدب الإِسلامي للأطفال: للأستاذ سعيد الأعظمي الندوي، وهما من البحوث التي قدمت في ندوة أدب الطفل المسلم في تركيا عام ١٤١٠ هـ.

أنشؤوا صفحة يومية في جريدة (الأنباء) (شنباد) الشيوعية عام ١٩٥٢ م تحت اسم «مجلس اللهو واللعب» (خيلها خر عصر). في مدينة (داكا)، واستطاع هذا المجلس الانتشار والتأثير على مختلف النشاطات الأدبية الخاصة بالأطفال في طول البلاد وعرضها.

ثم بدأت صحيفة (اتفاق) اليومية نشر صفحات للصغار عام ١٩٥٦ م تحت اسم «مجلس الصغار» بهدف تربية الأطفال تربية علمانية. وفي عام ١٩٤٠ م أنشئت منظمة الأولاد التاريخية تحت اسم (جند البراعم) لتربية الأطفال على حب الحرية والشعور بالاعتزاز القومي ضد الاستعمار البريطاني، والعنصرية الهندوسية، وبدأ المحرر الصحفي في جريدة (أزاد) اليومية (محمد مدبر) بتخصيص ورقتين أسبوعياً في الجريدة لأدب الأطفال تحت عنوان (حفلة البراعم)، لإثارة مواهب الأطفال المسلمين، ونشرت في عددها الأول لهذا الباب قصيدة بديعة للشاعر البنجالي القاضي (نذر الإسلام) يقول فيها باسم الأطفال:

«نحن أزهار ورياحين، أنتم أنوار غير متفتحة، تعالوا إلى حفلة الزهور وقبل أن نتهافت على الأرض ننضم إليكم ونمشي معكم مبتسمين. نحن فرقة من الزهور أكلها الدود، ولكن أمنية أنفسنا تزيين هذا العالم كالفردوس.

فتعالوا أيها الصغار والصغيرات متكاتفين، وحققوا أحلامنا التي لم نحظ بتأويلها، وهاتوا بالجنة في محافل هذا الكون. واسألوا الله أيها الأنوار قبل تفتحكم ألا يمس أجسادكم مسيس عبودية الخلق في الحياة.

واعلموا أن درجة الشهادة في سبيل الله أرفع المراتب من العبودية، وأيقنوا أن سيف المجاهد أفضل من وسام الخادم، ولا تسألوا الله أبداً أشياء تافهة، ولا تنكسوا رؤوسكم أمام أحد إلا الله، وقولوا: لا نرضى بأن نكون عبّاداً لأحد إلا لله الواحد، فسترون هذا الكون يهتز ويتزلزل

بمهابتكم» صحيفة (أزاد) اليومية ٧/٨/ ١٩٤٠ م[١].

وأسهم الشاعر الأديب (سيد علي أحسن) والشاعر (جسيم الدين) في تحرير هذه الصفحة الخاصة بأدب الأطفال التي مرّ ذكرها.

وقامت (المؤسسة الإسلامية) بإصدار مجلة شهرية باسم (الورقة الخضراء) للأطفال، ورأس تحريرها الأديب القصاص الأستاذ (شاهد علي) وظلت تصدر ربع قرن.

وكذلك كانت صحيفة (الكفاح) اليومية تنشر صفحة أسبوعية باسم (مخيم الصقور) من عام ١٩٦٩ م. للعناية بأدب الأطفال الصغار. وأنشأت الجماعة الإسلامية في بنجلاديش منظمة خاصة بالصغار تحت اسم (فول كوري عصر) أي (مجلس الزهور) وأصدر هذا المجلس مجلة شهرية للصغار باسم المجلس.

وقامت المنظمة الطلابية للجماعة بإصدار مجلة فصلية تعنى بأدب الأطفال تحت اسم (صوت الصغار).

وهناك صحف أخرى خصصت أبواباً يومية أو أسبوعية للعناية بأدب الأطفال.

ونشأت منظمة علمانية يسارية تحت اسم «النزعة الحرة» لنشر كتب الأطفال، وكانت تعتمد على الترجمة إضافة للكتابات الخاصة لأدباء يساريين من بنغلاديش، وكانت هذه المنظمة تعمل بالتعاون مع (مركز الأدب العالمي للنشر والتوزيع) الذي تدعمه الدول الشيوعية، ثم نشأت (المؤسسة الإسلامية) (بدكا) لتكوين مكتبة حافلة هادفة للأطفال؛ وأصدرت أربع جرائد شهرية مختصة للأطفال؛ في أربع مقاطعات من البلاد[٢].

---

(١) الاتجاهات الأدبية لمستوى الطفل في بنغلاديش: للأستاذ محمد سلطان ذوق بحث مقدم لندوة أدب الطفل الذي أقامته رابطة الأدب الإسلامي العالمية في استانبول عام ١٤١٠ هـ الموافق ١٩٨٩ م.

(٢) المصدر السابق. أما الدول العربية فسوف يأتي الحديث عنها.

هذه لمحة بسيطة عن أدب الأطفال في بعض البلدان الإسلامية. وإذا كانت هذه اللمحة مقتصرة على بعض البلدان، فإن ذلك يدعو الأدباء والباحثين للتشمير عن ساعد الجد في سبيل التعرف على هذا اللون من الأدب في بقية البلدان الإسلامية، ليتمكن الباحث من رسم خريطة متكاملة يتعرف فيها على الواقع، ويستفيد من المعطيات ويستخلص النتائج المبنية على الدراسة الميدانية.

ومهما يكن الأمر، فإن الحاجة ماسة لرسم المنهج الخاص بأدب الطفل على أسس واضحة تهدف لتربية هؤلاء الصغار على القيم الإنسانية الحقيقية، القيم التي لا يعرفها ولا يصونها غير الإسلام، التي تحرر الأجيال من عقدة النقص، والتبعية للغرب المادي؛ في شرقه وغربه.

والعجيب أن نلمس آثار الأفكار الغربية، والمدنية المادية في كل مكان، من التمييز العنصري، والاستغلال، والتكالب على المادة وإثارة النزعات العرقية، والخلافات المذهبية، وإشعال الحروب والنزاعات المحلية، وبذر بذور الشقاق والتناحر في البلد الواحد، واستنزاف طاقات الأمم والشعوب وسرقة خيراتها لصالح الرجل الأوروبي، وتسخير العلم والتقدم التقني لرفاهية أوروبا، ولصناعة آلة الحرب المدمرة لاستعمار الشعوب وإذلالها.

مع كل هذا من العجيب أن يظل المنهزمون داخلياً ينظرون في مجالات الفكر والأدب والفنون إلى الغرب، ينقلون عنه ويقتبسون منه، ويتلمذون على فلسفته ومبادئه!!.

أدب الأطفال في البلاد العربية:

يقول الأستاذ عبد التواب يوسف عن أدب الأطفال المعاصر في البلاد العربية: «إن أدب الأطفال في بلادنا حديث، وإن كانت جذوره تمتد

إلى مصر القديمة»[1].

ويبدو في هذا القول كما درج عليه أكثر الباحثين من تأثر بالصورة الحديثة لأدب الأطفال، والحكم على هذا اللون الخاص بما عرف عنه عند الغربيين، ولذلك أنكر كثير من الباحثين وجود أدب للأطفال قبل القرنين الأخيرين، واستتبع ذلك ـ أيضاً ـ وضع المعايير الفنية لهذا اللون على وفق ما عرف عند الغربيين، ورموا بالتخلف، أو عدم النجاح كل أثر من هذا الأدب يخرج عن هذه المعايير.

وإذا صحت هذه النظرة، فإنه ينبغي إنكار وجود أي علم، أو أدب أو اختراع قبل أن يُعرفَ عند الغربيين، لأن هذه العلوم المدعاة، أو الفنون والآداب والمخترعات القديمة تختلف في مقاييسها، وطرائقها ووسائلها عما عرفه العصر الحديث.

ولكن الواقع غير هذا، فالآداب، والفنون والعلوم عرفت قديماً وحديثاً ونالت الشعوب ـ على أقساط مختلفة من ذلك كله ـ نصيباً ما.

ولكن أوروبا التي هيمنت على مقدرات العالم خلال قرن ونصف من الزمان، واستطاعت أن تسخر كل الطاقات العالمية في مختلف العلوم والفنون لتقدمها ورفاهيتها، أوروبا هذه استطاعت أن تبرز نهضتها وتقدمها، واستطاعت أن تنقِّب عن مآثرها، بل واستطاعت في غيبة الوعي والصحوة، والتحرر الحقيقي للشعوب الأخرى في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية، أن تهيمن على مقدرات الشعوب والأمم وأن تأخذ تراثها، وتستفيد من علومها وفنونها وآدابها، وأن تسرق كنوزها، ثم تخرج ذلك كله بثوب يتلاءم مع أوروبا الحديثة ثم تدَّعي أن كل ذلك من ابتكارها واكتشافاتها!

كم من النظريات العلمية، والقوانين، والبحوث، والاكتشافات

---

(١) كتب الأطفال في عالمنا المعاصر/ ١٠. وفي هذا نوع من العصبية لمصر الفرعونية كما يفعل كثير من كتاب مصر.

والاختراعات التي عرفها العالم الإسلامي قديماً، أخذتها أوروبا وادَّعتها لنفسها في عهود الغياب الإسلامي، أو عصور الانحسار والتفكك الإسلامي؟[1].

لقد تقدمت أوروبا مادياً، ولكن تقدمها كان نتيجة استنزاف مئات الملايين من البشر، وأخذ خيراتهم واستلاب مقدراتهم ونقل علومهم واستغلال كل طاقاتهم المادية والبشرية.

وإذا كانت مثل هذه الحقائق أصبحت واضحة لنا، فكيف بالشعوب الأخرى التي ظلت ترزح تحت نير الاستعمار الأوروبي عقوداً طويلة، حتى فقدت لغتها وهويتها، وصُبغت بالفلسفة الأوروبية، بل ونُقلت إليها الديانة الأوروبية تحت اسم التبشير كما حصل في أفريقيا السوداء وبعض بلدان شرق آسيا. وأدب الأطفال واحد من هذه الألوان التي عرفت قديماً بصور أخرى تتلاءم مع الشعوب والأمم والديانات المختلفة.

وفي البلاد العربية عُرِف أدب الأطفال قديماً، بالقصص، والحكايات الشعبية، والسير المختلفة، والأشعار، ثم في النصوص الإسلامية المختلفة، وإن لم تأخذ التسمية والاصطلاحات الحديثة، وشأنها شأن بقية فروع الأدب وألوان التعبير التي عرفت قديماً دون أن يكون لها السمات التي عُرفت حديثاً في أوروبا.

والغريب أن ينساق إلى هذا الرأي بعض الكتاب الإسلاميين، فيرون أن أدب الأطفال أدبٌ حديث، وأن النصوص التي عرفت عن هذا اللون لا تكوّن تياراً صغيراً أو كبيراً[2].

وفي هذا تسليم بأن الغرب هو صانع الآداب المختلفة، والفنون العديدة لأن منهج هذه الآداب والفنون يختلف عن منهج الأقدمين، فالقصة

---

(١) انظر كتاب: شمس العرب تسطع على الغرب.
(٢) أدب الأطفال واقعه وهمومه: د/ عبد الباسط بدر.

حديثة والمقالة حديثة والشعر ـ ينبغي أن يكون حديثاً ـ وينبغي أن نفتش عن مسمى يتلاءم مع الشعر القديم.

والغريب أن يلتمس هذا الادعاء الأساس الفكري وهو أن المنهج التربوي لدى أسلافنا يختلف عن منهج المعاصرين، فقد كانوا ينظرون إلى الطفل، على أنه مشروع رجل، ويعاملونه على هذا الأساس في التوجيه والتعليم وتربية الذوق والوجدان[1].

وهذا القول غريب في مضمونه لأنه يسلم بوجهة نظر الغربيين وفلسفتهم في التربية بصورة غير مباشرة، ويعيب على المسلمين منهجهم التربوي القائم على الأصول الإسلامية أيضاً. فضلاً عن أن هذا الحكم الذي يطلقه بعض الكتاب بعيد عن الحقيقة، ويتنافى مع ما عرف عن المسلمين في نظرتهم للطفولة، وفي منهجهم التربوي. بل إن هذا الحكم مبني على تجاهل التربية الإسلامية، وتاريخها العريق، حيث تعتمد في النظر إلى النفس الإنسانية على الحقائق الربانية، وعلى ما ورد في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ من الخطوط الأساسية للنفس البشرية[2]. ولا تسلّم بالنتائج التي وصلت إليها دراسات النفسانيين الغربيين.

من هذا نخلص إلى أن أدب الأطفال ـ كغيره ـ قديم في البلاد العربية، وإن كانت صورته تختلف عما عرفه العصر الحديث، حيث لا يمكن أن نرى صورة الأدب الحديث عند القدماء، ولا يمكن أن نرى هذه التقسيمات والسمات التي طبعها الغربيون على أدب الطفل، ونشروها بقوة نفوذهم حتى

---

(١) المصدر السابق وكذلك انظر: أدب الأطفال ومكتباتهم: تأليف سعيد أحمد حسن/ ٣٤.

(٢) هناك قائمة طويلة من الدراسات الخاصة بالتربية الإسلامية وأسسها، وكذلك الدراسات الخاصة بعلم النفس، ولا مجال هنا للخوض في هذا الحديث حتى لا نخرج عن موضوع الكتاب.

أصبحت الصورة المألوفة، المعروفة، وغيرها مستنكر مستبعد[1].

أدب الأطفال في مصر:

أما صورة هذا اللون في الوطن العربي في العصر الحديث فقد كان في بدايته صورة مقتبسة، أو معدلة عما عرف في أوروبا، وهذا أمر طبيعي لوقوع البلاد العربية تحت نفوذ العالم الغربي ثقافياً، وفنياً، وسياسياً، واقتصادياً بل وعسكرياً في زمن ليس بقصير، وبدأ ظهور أدب الأطفال حديثاً في البلاد العربية في زمن (محمد علي باشا) في مصر عن طريق الترجمة، وكان أول من ترجم كتاباً للأطفال عن الإنجليزية هو «رفاعة الطهطاوي» الذي اختير ليكون مسؤولاً عن التعليم في ذلك الوقت، بعد أن عاد من بعثه لباريس وقد افتتن بالحضارة الغربية، فجاء ليبشر بالمدنية الأوروبية، وليكون من دعاتها بلباس شيخ أزهري، فترجم قصصاً باسم «حكايات الأطفال» وأدخل بعض القصص في المناهج الدراسية[2].

وقد طلب رفاعة الطهطاوي في خطاب له إلى وكيل الحكومة المصرية المقيم بلندن (السفير) في ١٦ ربيع ثاني عام ١٢٤٣ هـ بأن «يرسل كتباً مطبوعة ومؤلفة للصغار والتلاميذ بحيث تميل أذهانهم إليها»[3].

---

(١) أدب الأطفال ومكتباتهم/ ٢٦. وانظر أيضاً كتاب (الطفولة في الشعر العربي الحديث) حيث أورد فصلاً كاملاً عن (أدب الطفل عند العرب القدماء) ص ٤٩ ـ ٨٤.

(٢) أدب الأطفال ومكتباتهم: تأليف هيفاء شرايحة/ ٢٧، أدب الأطفال ومكتباتهم: تأليف سعيد أحمد حسن/ ٣٥، أدب الأطفال دراسة وتطبيق: تأليف عبد المتعال أبو معال/ ٢٢، في أدب الأطفال: تأليف د/ علي الحديدي/ ٢٤٠. وانظر تاريخ التعليم في عصر محمد علي: تأليف د/ أحمد عزت عبد الكريم/ ١٧٤.

(٣) في أدب الأطفال: د/ الحديدي/ ٢٤١، وانظر الوثائق التاريخية لعصر محمد علي.

ولكن الخطوة الكبيرة في كتابة أدب الأطفال في العالم العربي الحديث كانت على يد الشاعر المبدع (أحمد شوقي) لأنه كان أول من ألف أدباً للأطفال (باللغة العربية)، واستفاد فيما كتبه للأطفال من قراءاته في الفرنسية ولا سيما حكايات (لافونتين) الشهيرة[1].

ولقد كتب أكثر من خمسين قصة شعرية للأطفال، ونظم أكثر من عشرة أناشيد أو أغنيات، اتسمت كلها بسهولة الأسلوب، وتسلسل الأحداث ووضوح الهدف التربوي إلى جانب التسلية والترفيه[2].

يقول شوقي عن الحكايات والأغنيات التي كتبها للأطفال: «وجرّبت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب (لافونتين) الشهيرة، وفي هذه المجموعة شيء من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين وأقرأ عليهم شيئاً منها، فيفهمونه لأول وهلة، ويأنسون إليه ويضحكون من أكثره وأنا أستبشر لذلك، وأتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المستحدثة، منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة من خلالها على قدر عقولهم»[3].

وكان أحمد شوقي يدرك بذلك أن «أدب الأطفال، أقوى سبيل يعرف به الصغار الحياة بأبعادها المختلفة، وأنه وسيلة من وسائل التعليم والتسلية» لذلك أعطى الأطفال من خلال قصصه الشعرية وأناشيده صورة واضحة لمجتمعهم الذي يعيشون فيه، ولمشكلات حياتهم التي

---

(١) المصدر السابق/ ٢٤٣، والحقيقة أن هناك قصائد نظمت من قبل شعراء سبقوا أحمد شوقي ولكنها في مضمونها متأثرة بالأفكار الغربية، انظر: شعر الأطفال في آخر الكتاب.

(٢) شوقي والطفولة: للدكتور سعد ظلام، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر العدد الرابع ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م ص ٦.

(٣) مقدمة الطبعة الأولى للشوقيات ١٨٩٨ م. طبعة الآداب. وانظر: أدب الأطفال/ ٢٤٢، وانظر: شوقي والطفولة: د/ سعد ظلام/ ٦.

سيواجهونها[1].

واستخدم قصص الحيوانات لما فيها من التشويق والمتعة، مع الحكمة والفائدة وحرص أيضاً على تنمية إحساسهم بجمال الكلمة وقوة تأثيرها.

وكان على وعي بما يكتب، لذلك كان يبتعد عن التعقيد والفلسفة ويجعل كتابته قريبة المتناول من الأطفال، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم[2]، لأنه كان يتمثل الصغار الذين يكتب لهم أمام عينيه، فضلاً عما عُرِف عنه من حبٍ لأولاده، وأحفاده[3].

وفي الحقيقة فإن شوقياً، يُعدُّ بحق رائد أدب الأطفال في العصر الحديث، أخذ من الغرب الخصائص الفنية والأسس والقواعد العامة، لكنه ابتكر مما قرأ من التراث، ومما عرف من التجربة الشخصية موضوعات كثيرة.

لم يستطع أحد أن يكمل ما بدأه شوقي في أول الأمر، وخمد الاهتمام بأدب الأطفال بعد شوقي؛ وإن كانت هناك بعض الإسهامات التي جاءت في هذه السبيل.

فلقد عمد (محمد عثمان جلال) إلى ترجمة كثير من حكايات (لافونتين) في كتابه (العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ) بأسلوب شعري مزدوج القافية؛ ولم يتقيد في ترجمته بالأصل، وإنما حاول إضفاء الطابع المصري على ترجماته، وأن يكتبها على شكل الزجل[4]. وبعده ألّف (إبراهيم العرب) كتاب (خرافات على لسان الحيوان) أسماه (آداب العرب) وقلّد فيه (لافونتين)..

---

(١) المصادر السابقة.
(٢) مقدمة الشوقيات.
(٣) انظر: شوقي والطفولة: د/ سعد ظلام.
(٤) في أدب الأطفال/ ٢٤٢.

وفي عام ١٩١٤ م ترجم (أمين خيرت الغندور) مجموعة قصص (كنوز سليمان) للكاتب الإنجليزي (راندر هاجرد) وقررته وزارة المعارف على طلبة المدارس.

وفي عام ١٩٠٣ م كتب (علي فكري) كتاب (مسامرات البنات) وفيه كثير من الأدب المتخصص ـ للأطفال عامة، وللبنات خاصة[(١)] ـ ثم كتب في عام ١٩١٦ م كتاب (النصح المبين في محفوظات البنين) وضمّنه كثيراً من الحكم النثرية والنظمية وبعض الأناشيد له ولعدد من الشعراء والكتاب كشوقي والرافعي واليازجي[(٢)].

ولكن الخطوة الكبيرة في مسيرة أدب الأطفال في هذا العصر بدأت في العقد الثالث من هذا العصر، عندما ظهر اثنان من الرواد الأوائل لهذا الأدب وهما «محمد الهراوي ـ ١٨٨٥ ـ ١٩٣٩ م» و «كامل الكيلاني ١٨٩٧ ـ ١٩٥٩ م» وعندما بدأ الهراوي بالكتابة للأطفال كان يعلم أن مناخ الأدب والثقافة عامة يرى أنه «لا يهتم بالتأليف للصغار سوى الذين لا يجدون ما يلقونه على الكبار»[(٣)] ولذلك أصبح موضع سخرية وتهكم من بعض الأدباء، ولكنه مضى قدماً في طريقه لتربية نابتة الجيل وتوجيههم وجهة طيبة صالحة[(٤)].

---

(١) المصدر السابق/ ٢٥٧.

(٢) المصدر السابق/ ٢٥٨.
وفي هذا الكتاب أنشودة بعنوان (في طاعة الله والوالدين) يقول فيها:

١ ـ أطع الإله كما أمر	واملأ فؤادك بالحذر
٢ ـ وأطع أباك لأنه	ربّاك من عهد الصغر
٣ ـ واخضعْ لأمك وارْضِها	فعقوقها إحدى الكبر
٤ ـ فإذا مرضْتَ فإنها	تبكي بدمع كالمطر

(٣) زكي مبارك ـ البلاغ في ٨/ ٩/ ١٩٣١، في أدب الأطفال/ ٢٥٩.

(٤) د/ مختار الوكيل في مقال نشره بجريدة منبر الشرق في ٤/ ١٠/ ١٩٤٦ م والمصدر السابق/ ٢٦٠.

وأول ما كتبه الهراوي للأطفال منظومات قصصية بعنوان «سمير الأطفال للبنين» عام ١٩٢٢ م، ثم «سمير الأطفال للبنات» ١٩٢٤ م في ثلاثة أجزاء، ثم «أغاني الأطفال» في أربعة أجزاء.. وكتب قصصاً نثرية كثيرة، وواضح فيما كتبه بروز الهدف وسهولة العبارة، ووضوح المعنى وجمال الأسلوب. يقول في إحدى صوره الشعرية عن التلميذ[١]:

أنا في الصبح تلميذٌ	وبعدَ الظُّهر نجارُ
فلي قلم وقرطاس	وإزميل ومنشار
وعلمي إن يكن شرفاً	فما في صنعتي عار
فللعلماء مرتبة	وللصناع مقدار

ثم جاء «كامل كيلاني» الذي يعده أكثر الباحثين الأب الشرعي لأدب الأطفال في اللغة العربية، وزعيم مدرسة الكاتبين للناشئة في البلاد العربية كلها[٢].

يقول عنه (عبد التواب يوسف) وهو كاتب مشهور من كتاب أدب الطفل: «وأشهد أنه رائد ورائع بكل المقاييس... وخلال رحلتي مع كتبه وأعماله ـ للأطفال وللكبار ـ اكتشفت أننا أمام عملاق بحق وصدق... وأنه صاحب منهج فيما قدم، ولم يعتمد على أدب الغرب فحسب، بل إن أعماله العربية تشهد له بالوعي، كما كان له فضل السبق في تقديم أعمال أفريقية وهندية لأطفالنا جنباً إلى جنب (جاليفر وروبنسون كروزو)»[٣].

واهتم الكيلاني بتحبيب اللغة العربية للأطفال، وكان يتدرج في الكتابة حسب سنوات العمر، ويحاول إيقاظ مواهبهم واستعداداتهم ويقوي ميولهم

---

(١) المصدر السابق/ ٢٦١، وكتاب: أدب الأطفال ومكتباتهم: سعيد أحمد حسن/ ٣٦ وما بعدها.

(٢) في أدب الأطفال/ ٢٦٣، أدب الأطفال ومكتباتهم.

(٣) الطفل والشعر ـ ديوان كامل كيلاني للأطفال: إعداد عبد التواب يوسف/ ٩، ١٠.

وطموحهم وينتهي بهم إلى حب القراءة والمثابرة عليها.

وترك سلاسل كثيرة، فظهرت (مكتبة الطفل) بأكثر من مائتي قصة ومسرحية، وأخذ من التراث العربي والإسلامي، ومن الثقافات الأخرى الغربية والشرقية، وكتب في السيرة النبوية «مجموعة من حياة الرسول ﷺ».

وكان يدرك أن الطفل يحتاج لعقله ومشاعره إلى شتى الطعوم ـ كما يحتاج جسده لأنواع (الفيتامينات) ـ فكتب لتغذية العقول، والتفكير، ولتنشيط الخيال، ولتربية الوجدان والمشاعر، ولتهذيب النفوس، ولإمتاع الصغار.

واهتم بشكل الكلمات واختيار الألفاظ لتزويد الأطفال بثروة لغوية، وتدرج بهم ليصلهم بتراثهم. وكان يسير على منوال المثل الأسباني في قصة (حي بن يقظان) الذي يقول: بأن امرأة أسبانية، كانت تحمل عجلاً صغيراً كل يوم وتصعد به السلم وتهبط، وكبر العجل حتى صار ثوراً وهي على عادتها، تحمله كل يوم دون أن تتأثر لأنها لم تحس بالزيادة الطفيفة التي كانت تزيد كل يوم للعجل، ولذلك كان يحرص على أن تكون اللغة التي يكتب فيها للطفل أرقى من مستواه قليلاً حتى يستفيد بمحاكاتها[1].

ثم ظهر عدد من الكتاب منهم (حامد القصبي) الذي كتب في عام ١٩٢٩ م (التربية بالقصص لمطالعات المدرسة والمنزل) وهي قصص مترجمة مع شيء من التصرف، وكان هدفه تربوياً، لذلك وزعتها وزارة المعارف في مدارسها آنذاك[2].

وظهر أيضاً عدد من الكتب المترجمة على أيدي نصارى ومسلمين.

---

(١) في أدب الأطفال/ ٢٦٥، ٢٦٦، ديوان كامل كيلاني للأطفال/ ١٧، أدب الأطفال ومكتباتهم: هيفاء شرايحة/ ٣١، أدب الأطفال دراسة وتطبيق/ ٢٤.

(٢) في أدب الأطفال/ ٢٦٨، أدب الأطفال ومكتباتهم/ ٣٧.

وأهم ما ظهر في عالم أدب الأطفال ـ كما يقول الدكتور علي الحديدي في هذا العقد (الثلاثينات) ـ كتابات (محمد سعيد العريان)، ويعده «القمة التي لم يسامها أو يدانها أحد من الكاتبين بالعربية للأطفال من قبله أو في عصره، فقد وصل في هذا الفن إلى درجة من الكمال الفني جعلته مثلاً للذين يكتبون للأطفال من بعده»[1].

وللعريان الفضل في نقل الاهتمام بأدب الأطفال للمسؤولين في التربية، ولذلك عمل على توزيع كتب الأطفال على مكتبات المدارس، ورأس تحرير مجلة (سندباد) التي أصدرتها وزارة المعارف لمدة تسع سنوات متوالية. واستطاع أن يحمل (المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية) على تخصيص جائزة من جوائز الدولة لأدب الأطفال[2].

ثم اتسع الاهتمام بهذا الأدب وشارك فيه كثير من الأدباء ومن الكتاب والشعراء والقصاص، أمثال «الشاعر (محمود أبو الوفا) و (عبد الرحيم الساعاتي)» والقصاص (عبد الحميد جودة السحار) و (عطية الإبراشي)، و (سيد قطب) وقدم (عبد التواب يوسف) عدداً كبيراً من الكتب المختلفة في أدب الأطفال[3].

وأسهم عدد كبير من الكتاب أيضاً في هذا المجال أمثال (محمد أحمد برانق، وعبد اللطيف عاشور، ومحمد سليم، وعطية زهري،

---

(١) في أدب الأطفال/ ٢٧٠ ولقد أنصفه الدكتور الحديدي، بينما تجاهله كثير من الكتاب. وانظر: عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي/ ٣٤، فصل: عبد التواب يوسف وتطور الكتابة القصصية للأطفال: للدكتور عز الدين إسماعيل.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر كتاب: عبد التواب يوسف وأدب الطفل، مع قائمة لإنتاجه الفكري، وله عشرات الكتب في أدب الأطفال، ونال عدداً من الجوائز على إنتاجه.

وأحمد مختار البزرة، وإبراهيم عزور، ووصفي آل وصفي، وأحمد نجيب، ونبيلة راشد، وجمال أبو رية، وإبراهيم شعراوي، ونادر أبو الفتوح، وأحمد بهجت) وغيرهم كثير[١].

أدب الأطفال في عدد من الدول العربية:

إن الحديث عن تطور أدب الأطفال في الوطن العربي في العصر الحديث ينصب بشكل رئيسي على مصر، لمكانتها، ولانتشار مطبوعاتها. ولكن بقية البلدان العربية واكبت ـ ولا شك ـ مصر في هذا التطور، وإن لم تكن لدينا المصادر الدقيقة الجامعة التي ترصد هذا التطور، ولكن بإمكاننا ذكر عدد من الكتاب ـ على سبيل المثال ـ في بعض البلدان العربية.

في الأردن وفلسطين: كان الأستاذ (راضي عبد الهادي) من أوائل الذين كتبوا قصصاً للأطفال منها «خالد وفاتنة».

وكتب الأستاذ (عيسى الناعوري) قصة «نجمة الليالي السعيدة». وكتب (إبراهيم البوارشي) مجموعة من أناشيد الأطفال. وكذلك كتب (روكسي العزيزي) عن التاريخ الحديث. وجمع (محمد إسعاف النشاشيبي) مجموعة من أناشيد الأطفال. وأصدر (إسحٰق موسى الحسيني) ورفاقه بعض القصص. وكذلك كَتَبَ (يوسف هيكل، وعبد الرؤوف المصري، وفايز علي الغول) حكايات وقصصاً من التراث والأساطير الشعبية. وكتب (حسني فريز وواصف فاخوري) بعض الكتب.

وتنبّه بعض الدارسين إلى ما ينشر باللغة العبرية للأطفال الصهاينة، مع التركيز على تربية اليهود الأطفال على الحقد والكره للمسلمين

---

(١) من الواضح أن لاتجاهات الدولة أثر في إبراز بعض الكتاب، والتغطية على آخرين، فمن الذين ذكروا كثير ممن له مئات الكتب المتنوعة للأطفال وربما يزيد إنتاجهم وتجويدهم عمّن أبرزوا، أو اختيروا للتفرغ في هذا المجال.

والعرب، وتصويرهم العرب بالأغبياء المغفلين الجهلاء، وتصوير أطفال اليهود بالجبابرة العظماء الذين لا يقهرون. يقول أحد الكتاب اليهود في توضيح هدفه: «إني أريد أن أخلف جيلاً ينتقم لي ويأخذ بثأري»[1]. ويقول آخر: «حين تكون إسرائيلياً يجب أن تتحمل مسؤولية عظيمة، فنحن شعب الأنبياء، ويجب أن تكون مثالاً ونموذجاً، وإن على الطفل أن يكون مثل بطل القصة تماماً».

وتحرص كتب الأطفال اليهودية على إظهار المسلمين عامة، والعرب خاصة بأنهم غير أخلاقيين، وأنهم تافهون حقراء، مناظرهم بشعة، جهلاء، سارقون، كاذبون، أغبياء، وهم دائماً ينهزمون أمام اليهودي الذكي العظيم الذي لا يقهر.

هذه الصورة دفعت عدداً من الكتاب للعناية بأدب الطفل الفلسطيني، وتضمينه للحقائق التاريخية والعملية عن فلسطين والشعب الفلسطيني، فكتبت (روضة الفرخ الهدهد) على سبيل المثال عدداً من القصص لهذه الغاية منها (عز الدين القسام، وسر القنابل الموقوتة، وقافلة الفداء، والزمن الحزين، ورحلة النضال، ومنقذ القرية، وصائم في سجن عكا، وأسد فوق حيفا، وكفر قاسم» وكلها تتحدث عن المجاهدين في فلسطين، ولها عدد آخر من كتب الأطفال.

وإذا كانت هذه الكتابات جيدة كإسهامات في تربية الطفل الفلسطيني لمعرفة الحقائق عن هذه القضية، فإن المرء يتمنى أن يضع الكتاب هذه القضية موضعها الصحيح وأن يلقنوا الأطفال الحقائق التي أتى بها الإسلام حتى ترتبط قضية فلسطين بالعقيدة والحياة نفسها، وليس بالوطنية والتراب فقط.

---

(١) بحث في تجربة الكتابة للأطفال: روضة الفرخ الهدهد، مجلة المنهل ٤٤٦ ذو القعدة، وذو الحجة ١٤٠٦ هـ تموز وآب ١٩٨٦ م ص / ١٦٤ ـ ١٧١.

وللأستاذ (يوسف العظم) عدد من الكتب الخاصة بالأطفال، وهي تهدف لتربية الطفل على العقيدة الصحيحة، والسلوك الإسلامي، ومعرفة تاريخه وواقعه. ومنها «أناشيد وأغاريد».

وكتب (نبيل صوالحة وكمال رشيد) قصصاً وأناشيد للأطفال. وهناك عدد آخر أسهموا في الكتابة للطفل في فلسطين والأردن منهم «وداد قعوار، ومحمود الشلبي، وجمال أبو حمدان، وفخري قعوار، وحسن الصمادي، وهدى فاخوري، وعادل جرار، ومفيد نحلة، وجاك لحام وغيرهم»[1].

وفي سورية: اهتم عدد كبير من الكتاب والشعراء بكتابة أدب الأطفال وكان (رزق الله حسون) السوري الحلبي المولود في عام ١٨٨٧ م من رواد أدب الطفل، وأول من وضع عبارة أدب الطفل بهذه الصيغة أديب سوري من حوران قبل ستة قرون تقريباً، كما ذكر ذلك الأستاذ (علي حمد الله) في مؤتمر تونس عام ١٩٨٦ م. وكذلك اشتهر (مسلط سعيد) بتقديمه عدد من أغاني الطفولة قبل نصف قرن، وقدم (عبد الكريم الحيدري) حديقة الأشعار المدرسية، ولكن كثيراً من هؤلاء الكتاب تركوا بلدهم وصاروا ينشرون ما يكتبون في بلدان أخرى، ولذلك تغفل المنشورات الرسمية للدولة أسماء هؤلاء ومنهم الأديب العالم الشيخ علي الطنطاوي و «عبد الودود يوسف» الذي أخرج عدداً من قصص الأنبياء، وأصدر مجلة خاصة بقيت تصدر لسنوات. والأستاذ (محمد موفق سليمة) الذي أصدر مئات الكتب للأطفال. وفيها كثير من القصص، والأستاذ (محيي الدين سليمة) الذي اشترك مع أخيه في عدد من المؤلفات.

---

(١) أدب الأطفال ـ دراسة وتطبيق: عبد الفتاح أبو معال ٢٥، أدب الأطفال ومكتباتهم: هيفاء شرايحة/ ٣٧، أدب الأطفال ومكتباتهم: سعيد أحمد حسن/ ٣٩ ـ ٤١. ومجلة المنهل العدد ٤٤٦.

وكذلك (محمد حسن الحمصي)، و (عبد القادر الحداد) الذي أصدر عدداً من الأقاصيص والأناشيد. (ويحيى الحاج يحيى) و (منذر شعار، ونعمت كريم، وخالد كيال، ومحمد البوشي) و (نزار نجار)، و (مصطفى عكرمة) و (علي حمد الله) و (محمد نذير المثنى) و (محمد عدنان غنام)، و (شريف الراس).

وأصدر الأستاذ رضوان دعبول صاحب مؤسسة الرسالة مجلة متخصصة للأطفال باسم (أروى).

كما أصدر عدداً كبيراً من السلاسل، والقصص والأشعار الخاصة بالأطفال.

ولقد عمدت وزارة الثقافة في سوريا إلى توجيه الثقافة بما يتلاءم مع فلسفة الحكم، وأفكاره واتجاهاته، وأصدرت عدة سلاسل للأطفال ضمن مطبوعات وزارة الثقافة، واتحاد الكتاب العرب، ومنظمة طلائع البعث.

وكان من الذين كتبوا للأطفال ضمن هذه البرامج الموجهة التي تلتزم بالنهج القومي الاشتراكي:

(عادل أبو شنب، ونبيل أبو صعب، وجان ألكسان، وزكريا تامر، وسليمان العيسى، وعبد الرزاق جعفر، ومعشوق حمزة، ودلال حاتم، وليلى صايا سالم، وسعد صائب، وخير الدين عبد الصمد، وصامونيل عبود، وعيسى فتوح، وميخائيل عيد، وسمر روحي الفيصل، ومكرم الكيال، ومحمد بسام ملص، وأيوب منصور، ونزار نجار، وعزيز نصار، ومحسن يوسف... وغيرهم)[1] وكان واضحاً أن الكتابة للأطفال ظلت

---

(١) انظر: أدب الأطفال دراسة وتطبيق/ ٢٥، أدب الأطفال ومكتباتهم/ ٣٤، الموقف الأدبي: عدد ممتاز عن أدب الأطفال في سورية (٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠)، تشرين الأول ١٩٨٨ م، السنة ١٨ ص/ ٣٢٦ وما بعدها ومشكلات قصص الأطفال في سورية: سمر روحي الفيصل/ ١٨١.

منذ عام ١٩٧٠ م تقريباً حكراً على أصحاب الاتجاه العلماني الاشتراكي المادي، وأن النزعة الطائفية تغلب على بعضهم، وأن تجاهل الدين، وتشويه صورة الإسلام والتراث، وتوجيه الجيل لمعرفة الماضي من خلال التفسير المادي للتاريخ أمر واضح في كثير مما كتبه كثيرون، وهناك منظمة حزبية خاصة تولت تربية الأطفال منذ السنوات المبكرة، وكانت تعقد المؤتمرات والندوات السنوية لذلك، وتصدر الكتب والبحوث وتلقن الصغار الأناشيد والعادات التي تخدم هذه الأهداف، وتأخذهم إلى المعسكرات الخاصة ليعيشوا في جو يتلاءم مع الغايات التي يريدونها، وأنشؤوا داراً للنشر باسم (دار الفتى العربي) حيث نشر فيها القصاص (زكريا تامر) أكثر من مائة قصة للأطفال[1].

وفي العراق: اهتمام كبير بأدب الأطفال حيث وضعت الدولة خطة شاملة للعناية بالأطفال من حيث المدارس والهوايات والبرامج والنشاطات والكتب، وأصدرت الدولة مجلة باسم (مجلتي)، وجريدة (مزمار)، وعدداً كبيراً من الكتب الموجهة توجيهاً قومياً اشتراكياً علمانياً.

وفي تونس والمغرب والجزائر وليبيا ظهر الاهتمام بأدب الأطفال، ترجمة وتأليفاً أيضاً. .[2].

وفي السعودية ودول الخليج، بدأت بعض دور المكتبات بنشر سلاسل لكتب الأطفال، ومنها بعض القصص والأشعار أيضاً، والمجلات الخاصة، مثل مجلة (الشبل، وباسم، وماجد، وبراعم الإيمان، وحمد وسحر).

---

(١) زكريا تامر قصاص فنان، اهتم بالكتابة للأطفال، وترك الكتابة للكبار لكي يخدم الفكر المادي العلماني، والاشتراكية، ولقد أشادت الصحف الإسرائيلية بهذه القصص وبفنها وعمقها وجمالها. كما أن الشاعر سليمان العيسى ترك كتابة الشعر للكبار، وتخصص بالكتابة للصغار (أدب الأطفال ومكتباتهم: هيفاء شرابحة/ ٣٤).

(٢) أدب الأطفال ومكتباتهم: سعيد أحمد حسن/ ٤٢.

هذه جولة عن أدب الطفل المعاصر في البلاد العربية، حاولت فيها إعطاء صورة شاملة عن الاهتمام الشامل بالطفل وأدب الطفل. إضافة إلى صدور العديد من المجلات والصفحات الخاصة بالأطفال، وعقد الندوات والمؤتمرات التي تهتم بالطفولة عامة، وبأدب الطفل بصورة خاصة. ومن خلال الاستعراض السابق نستخلص بعض الحقائق التي لا تغيب عن نظر الباحث: وأهم هذه الحقائق أن أدب الطفل كان تابعاً في التأثر لما كان عليه الوطن العربي خلال القرن الحالي. فقد كان هناك حالة من التأخر والجهل، وتبع ذلك نشوء الحركات الفكرية والسياسية التي تهدف بمجملها - مع تعدد أشكالها - إلى اتباع الغرب في أفكاره ومعتقداته وصورة حياته. ولذلك رأينا الدول الغربية تنتهي من المرحلة الأولى في تآمرها على المسلمين بتهديم الخلافة لتبدأ مرحلة السيطرة على البلدان الإسلامية عامة والعربية خاصة عن طريق التربية، والفكر والثقافة.

وكانت أولى اهتمامات الدول الاستعمارية دعم الأفكار العلمانية وتشجيع النحل المختلفة التي تبعد الناس عن الإسلام، وكانت تغلّف هذه الدعوات بالولاءات العاطفية، أو الادعاء بالتحديث والتقدم والمعاصرة والتطور والعلم.. إلخ.. وها هي ذي العقود الكثيرة تمضي والعالم الإسلامي يزداد انقساماً وفوضى، لم يحصل على شيء مذكور من التقدم المادي الذي وعده الغرب به، ومع ذلك تخلى عن دينه وابتعد عن منهج الله عز وجل في حياته، وبقي رهن الانقسامات والصراعات والتأخر.

فلا غرابة أن نرى الدول الغربية تهتم أول ما تهتم به في العالم العربي والإسلامي، اصطناع القيادات الفكرية والثقافية والتربوية، كانوا يدرسون طبائع كل شعب على حدة، يعرفون ما يؤثر وما لا يؤثر في الناس. يتعرفون على النقاط التي ينفذون منها، ثم يختارون القيادات بأنفسهم، يحددون أوصافهم ومميزاتهم ليقوموا بالأدوار المرسومة لهم

بكفاءة صاحب الفكرة ذاتها. بهذه الصورة يختارون رجال البعثات، وطلائع المثقفين، ويبرزونهم لدى شعوبهم أحراراً، ومفكرين، ومناضلين وطلائع جيل، ورواد نهضة.

والبعثات كانت من أولى الأمور التي يركزون عليها، والمعاهد التربوية، والمراكز العلمية والفكرية والثقافية من أهم الأهداف التي يحرصون عليها. لذلك نراهم ينشئون المدارس والجامعات، ويقيمون المنتديات، والصحف، والمسارح ويصطنعون القيادات التربوية التي تحمل عبء العمل عن المستعمر ذاته، بل يدخلون في روعهم، في أكثر الحالات أنهم مناضلون حقاً في سبيل أمتهم، وأن قيامهم بهذه الأدوار من الأمور التي تستحق التضحية لأنها تعدل الجهاد ذاته، فلا نستغرب إذا رأينا أكثر القيادات التربوية، والعلمية والفكرية، والأدبية من هذه الصنائع الغربية، ولا غرابة أن نجد الذين يحملون راية المناهج الحديثة في الأدب، والتربية، والعلوم كلهم ممن ربتهم هذه الدوائر الاستعمارية ومنحتهم أرفع الألقاب والمناصب.

وأدب الطفل ينطبق عليه ما ينطبق على غيره من الأمور، لذلك ابتدأ في هذا العصر وهو يرنو إلى الأدب الغربي، وينظر إليه أنه الرائد والقدوة، وابتدأ كُتَّابه يترجمون ويسيرون على منواله فيما يكتبون، وليس في الأمر غضاضة إذا كان المقتبس يعرف ما يريد، ويدرك الحقائق بشكل واضح صحيح، وإذا كانت ثقته بنفسه تعدل المهمة التي سيقدم عليها.

أما إذا كان يتصدى لمهمته وهو مهزوم داخلياً، في نفسه انكسار وعقدة نقص، وفي قلبه انبهار مما في الغرب، فكل ما هناك متقدم وجيد، وكل ما عنده ضعيف ومتأخر، إذا كان كذلك فلا ينفع معه دواء ولا طعام؛ فالشهد حينذاك مضر لمثل هذه الأجساد.

لذلك فإن الأدب الذي استعرضناه كان صدى لما عليه في الغرب؛ إما عن طريق الترجمة أو الاقتباس، أو عن طريق الاقتداء بالموضوع

والمنهج، أو في البحث عن الصور المماثلة.

ولا يمنع هذا من أن يخرج عن الحصار أناس لا يرون في الدنيا منهجاً يصلح للحياة غير منهج الله، يرفضون التسليم، بل يعملون بجهد الضعيف وقلة الحيلة لتجلية الحق، وتقديم الأصوب والأصلح والأنقى. قد يجهلون بعض الوسائل، قد يقصرون ببعض الشروط، وقد يتعثرون ولكنهم مع ذلك يثابرون على الطريق بفرح، ويأملون من الله أن ينصرهم ولو بعد حين.

وهذا هو الذي يبدو في الصفحة الأدبية والفكرية والثقافية عموماً، وكما هي في كل الصفحات لهذه الحياة.

وإن العقدين الأخيرين شهدا احتدام الصراع، وبداية الصحوة التي دفعت بكثير من الأدباء للإسهام في هذا اللون الأدبي حتى أصبح هناك أدب ينبعث من التصور الإسلامي، ويرنو إلى تربية جيل يؤمن بالله، ويتحمل المسؤولية لبناء حياة إسلامية واعية.

لماذا تأخر ظهور أدب الأطفال في أوروبا؟

من هذا الاستعراض السريع، نرى أن أدب الأطفال في أوروبا أدب حديث، تأخر ظهوره إلى القرنين الأخيرين لأن حضارة أوروبا حضارة حديثة، لا تعدو هذه القرون الثلاثة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذه الحضارة تقوم على فلسفة مادية نفعية، وتصب اهتمامها على التطور المادي، والتقدم الصناعي، حتى غدا الإنسان عبداً لهذه الآلة الصناعية العجيبة.

واهتمام الغربيين بالأطفال اهتمام مادي بحت، لذلك ـ وخوفاً من الأعباء المادية ـ تكتفي الأسرة بالولد أو الاثنين.

وصور الاهتمام بالطفولة ترتبط بفلسفتهم المادية. حيث يتطلع صاحب المصنع أو الشركة، أو الدولة والمجتمع، لتوفير الأيدي العاملة

الفنية المدرَّبة، المتخصصة، المنتجة لتسيير آلة الصناعة، أو لتشرف على (مكائن) الزراعة، لهذا اهتموا بتهيئة هذه الطاقات منذ الصغر، يشحذون هممهم للعمل، وخيالهم للإبداع، يربطون بين طموحاتهم، وبين الآلة، ويعقدون عقْداً نفسياً بين السعادة والآلة والإنتاج، والتطور المادي، لكي يجني صاحب المزارع والمصانع أكبر الفوائد وبأقل التكاليف.

لا مجال هناك للنظرة الإنسانية الصادقة الصافية. حتى في مشاعر الأبوة كثير من هذه النفعية، وكذلك في مراكز الرعاية والمحاضن ورياض الأطفال بما فيها من برامج تشهد على ذلك، كل هذا لخدمة الإنتاج والعمل، ولا بأس من جفاف العاطفة الإنسانية وقتل المشاعر، وإهدار كرامة الإنسان.

بل إن انتشار مراكز رعاية المسنين والعجزة أكبر شاهد على هذا. أكبر شاهد على قتل الإنسان في داخل ذلك المجتمع. فإذا وصل الرجل أو المرأة إلى مرحلة يقل فيها عطاؤه أصبح منبوذاً، لا حق له في حنان الأبناء، أو برهم، أو عطفهم أو عونهم. ولذلك يُودَعُ مع أقرانه في معاهد الانتظار حتى يموت. والدولة أو المؤسسات الخاصة تكفل له أقل قدر من الضروريات كإنسان ينتظر ساعة الموت، هل نقارن هذه الصور بالمجتمع الإسلامي؟ وهل يمكن لهذا المجتمع الذي ينعدم فيه شعور المرحمة أن ينشيء أدباً إنسانياً للأطفال؟

هل نقارن هذا المجتمع الذي يعيش رفاهيته على حساب مظالم المجتمعات المختلفة، بالمجتمع الإسلامي الذي يرى فيه الإنسان المسلم أن البر بالوالدين الكبيرين من أجلّ الأعمال وأعظم القربات، ويؤمن بأن عقوق الوالدين من الكبائر والموبقات، وأن العناية بالطفل من أهم الواجبات؟

وكذلك فالنظر للأطفال عند المسلمين يختلف عن المجتمعات الأوروبية، ورعاية الأطفال والاهتمام بهم كان مبكراً منذ أن منَّ الله سبحانه

وتعالى عليهم بهذا الدين. فتكوَّن المجتمع الأول المبني على العقيدة، القائم على أساس المؤاخاة، الذي تسوده وشائج التراحم والتعاطف والمحبة، وبُنيتُهُ الاجتماعية الأولى هي الأسرة، والأسرة مسؤولية وأمانة ورعاية.

وحدد الإسلام أهمية تلك الأمانة، والتبعة الملقاة على كل فرد في الأسرة حيث قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته»[1].

ويبين للوالدين أهمية ذلك وأثره في الحاضر والمستقبل، وكأنه يشير إلى أن التربية أساسية لكمال النمو الاجتماعي، واستمرارية العطاء، وأن آثارها ممتدة ومرتبطة بين الدنيا والآخرة، فيقول الرسول ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[2].

وهل أعظم من هذه البشرى وهذا التوجيه النبوي الكريم، إذ يحدد للمسلمين سبيل النمو والعطاء وسط الوشائج الإنسانية الكريمة، وكذلك رسم طريق التواصل بين الأجيال في سبل الحياة كلها، وجوانبها لمختلفة: الوجه المادي «صدقة جارية» والوجه المعنوي الفكري «علم نتفع به» والوجه الإنساني «ولد صالح يدعو له»، فضلاً عن دلالة التربية أثرها في صلاح الأجيال.

وهذه الوجوه هي عناصر الحياة التي لا بد منها لكي تُصنع حضارة: المادة، والإنسان والفكر المرتبط بالزمن هي عناصر الحضارة،

متفق عليه.
أخرجه مسلم.

وهذه العناصر لا تدخل في مرحلة العطاء إلا بشروطها الإيمانية: فالمال الذي يصبح قوة طاغية، أو أداة قهر واستغلال وظلم، هو ذاته عند المسلم وسيلة خير، ووشيجة تراحم وتواصل، وقوة بناء ومنبع عطاء مستمر للمجتمع كله بصورة الصدقة الجارية[1]، والتداول الصحيح المنتج.

والعلم الذي غدا بيد الشياطين من الإنس وزعماء الحضارة المادية الغربية قوة طاغية مدمرة، استهلكت كل طاقات الإنسان، واستعبدته، وتركته يعيش حالة من الاضطراب والقلق والجنون والرعب.. بعد أن سحقت إنسانيته، وقضت على مشاعره وعواطفه. هذا العلم أصبح خطراً ذرياً، وآلة مدمرة، وخططاً رهيبة، وأمراضاً وأحقاداً وأخطاراً وصراعات أفسدت حياة الإنسان باسم الحضارة والتقدم، وأفسدت على الطفولة صفاءها وبراءتها وحيويتها، وأحالتهم إلى عجماوات وأدوات تعالج بالمركبات الكيماوية، هذا العلم لا يعطي نفعه وثمرته المباركة للإنسان إلا إذا سيرته قوى الإيمان، وضبطته شروط الإسلام، وروح هذا الدين العظيم.

لهذا لا يصح ـ ونحن نبحث عن أدب الأطفال، وعن بدايات نشأته ـ أن نسلم ـ كما يدّعي بعض الناس ـ بأنه أدب حديث نشأ في أوروبا، وأنّ علينا أن نلتمس السبل لنأخذه عنهم، ونحذو فيه حذوهم.

أدب الأطفال أدب إسلامي صرف. أدب قرآني، أدب إنساني، ومن هنا فهو من نبع حضارتنا، ومن لوازم مسؤوليتنا. في القرآن الكريم آيات وسور كثيرة تربي الطفل المسلم تربية شاملة، تخاطب عقله ووجدانه، تخاطب كينونته كلها.

فهناك مثلاً «سورة اللهب، سورة الفيل، سورة الناس، سورة الفلق، سورة الصمد، سورة قريش، سورة الفاتحة» وكثير من سور الجزء الثلاثين.

---

(١) ومن يطلع على الوقف الإسلامي الذي يعد من الصدقة الجارية يرى كيف أثمرت هذه الوسيلة في مجالات العلم والجهاد والرعاية الاجتماعية.. إلخ.

وهناك قصص الأنبياء، والأقوام السابقين، وهناك آيات وصايا لقمان لابنه وهناك وهناك.. وكلها ذؤابة هذا الأدب الذي نتحدث عنه ومنبعه الذي يمده بالرواء العذب.

وفي الحديث الشريف نصوص كثيرة لا تحصى، تعد من منابع الأدب الإسلامي ومن ثروته الصافية. وهي تمد أدب الطفل بالينابيع الصافية العذبة.

ولقد مر معنا ما أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف النبي ﷺ فقال: «يا غلام.. إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[١].

وهناك كثير كثير من الأحاديث في مختلف الشؤون والأحوال.

وهناك كثير من نصوص الشعر، والنثر التي تندرج تحت مصطلح أدب الأطفال، وتحتاج لمن يبحث عنها ويصنِّفها ويجعلها في مجموعات تحمل سمات هذه الأمة. ولكن تقصيرنا في البحث هو الذي يجعلنا نستعجل الحكم ونسلم بأن أدب الأطفال أدب غربي حديث، وأن أي صورة تخالف ما تعارف عليه الغربيون في هذا الأدب أو غيره تخرج من إطار هذا المصطلح.

الأدب من أهم الوسائل والأساليب التي تحمل مزايا الأمة، وتعبر عن تصوراتها وقيمها وروحها وحضارتها، وفي صورة الحرف، والكلمة

---

(١) أخرجه الترمذي، وفي رواية أخرى: «واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً».

المفردة، والعبارة والجملة. في صورة التركيب وطريقته، في تلك الأصوات المتعاقبة في الحركات والسكنات، في القطعة الأدبية، والقصيدة الشعرية في القصة، في القول المأثور والخطبة، في الرسالة، والمقالة والموعظة الحسنة، في كل ذلك نجد سمات هذه الأمة، وسماتها التي تختلف عن غيرها من سمات الأمم والحضارات الأخرى.

فما بالنا نسرع في التخلي عن سماتنا الأصيلة جرياً وراء الصور المستحدثة وطلباً لتقليد الألوان الجديدة والأساليب الوافدة؟

وأدب الأطفال هو الغذاء الفكري والروحي لأطفالنا، فهل نعدل عن حليب الأثداء الطيب الحنون وغذاء الأمهات إلى المساحيق المصنوعة، والمركبات الكيماوية الجديدة؟ هل نأخذ صورة هذا الأدب من بلاد المادية البشعة ونترك المنبع العذب في هذا الدين العظيم؟

هل نتابع الغرب في تشكيل الشخصية المقبلة لأطفالنا ـ ليتغرّبوا ـ عن أمتهم ودينهم؟

إن أدب الأطفال في الغرب يخدم فلسفاتهم، وأهدافهم، وينشىء جيلاً حاقداً على الأديان ـ عامة ـ والإسلام ـ خاصة ـ ولهذا فمن الخطر أن نتابع هذا الأدب، أو ننقله إلى أطفالنا.

الفصل الثالث

الأهداف الرئيسية لأدب الأطفال

أهداف أدب الطفل

تمهيد:

كل عمل عند الإنسان مرتبط بالغاية التي حددها له، أيّاً كانت عقيدة الإنسان وطبيعته، لأنه مخلوق تميز بالعقل والتفكير والإدراك والإرادة.

قد تبدو الغاية واضحة وقد لا تبدو، قد تكون غاية نبيلة وقد لا تكون، ولكن ثمة غاية مع كل عمل، وثمة هدف عند كل نشاط إنساني.

وفي الإسلام كل عمل ابن آدم مرهون بالغاية، ومرتبط بالباعث والنية التي تكمن وراءه، فترسم أهدافه وغاياته[1].

ولأدب الطفل أهدافه وغاياته؛ لأنه أدب موجه إلى فئة محدودة، ولغايات واضحة.

ولقد حدد كثير من المهتمين بهذا الأدب بعض الأهداف له، وتركها آخرون مكتفين بالإشارات المبثوثة هنا وهناك عن هذه الغايات، فالدكتور الحديدي مثلاً يرى أن دور أدب الأطفال يأتي: «ليبث الإيمان بالله والوطن والإنسانية في القلوب الغضة الرقيقة، وليدفع بالأطفال إلى خدمة الآخرين، ولينمي فيهم الوعي الجماعي وروح التعاون»[2].

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١/ ٤، ط دار الفكر بيروت، وفيه تفصيل عن ارتباط الأعمال بالنيات، وكذلك: نزهة المتقين شرح رياض الصالحين: د/ مصطفى الخن وآخرون ١/ ٢٠، ط ١، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م، مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢) في أدب الأطفال/ ٥٨.

وغاية أدب الأطفال عنده أيضاً «لَيْسَتْ هي إذكاء الخيال عند الصغار فقط، ولكنها تتعداه إلى تزويدهم بالمعلومات العلمية، والنظم السياسية والتقاليد الاجتماعية، والعواطف الدينية والوطنية، وإلى توسيع قاموس اللغة عندهم، ومدِّهم بعادة التفكير المنظم، ووصلهم بركب الثقافة والحضارة من حولهم... ومهمته تقوية إيمان الطفل بالله والوطن والخير والعدالة والإنسانية»[1].

وفي هذه السطور جملة من الأهداف العامة والخاصة، ولكن بعضها متداخل مع بعض، وقد تتعارض أحياناً، فضلاً عن التعميم وعدم التحديد.

فالإيمان بالله كلمة عامة.. غير مرتبطة بعقيدة محددة، أو دين معروف. وبالتالي فليس لذلك دلالة ولا أثر واضح.

وكذلك الإيمان بالوطن والخير.. لأن هذه الكلمات مشتركة قد تعني هنا شيئاً وتعني هناك شيئاً آخر. فضلاً عن الأهداف الأخرى التي تدخل في إطار التعميم مثل (النظم السياسية والتقاليد الاجتماعية، والعواطف الدينية والوطنية).

وترد مثل هذه الإشارات في العديد من الكتب مثل: «خَلْقِ الاتجاهات الحميدة وغرس حب الوطن والوطنية الحقة في نفوسهم. ويساعد الأدب على تكوين الذوق الفني... ومعرفة الفنون.. وكسب المعرفة، ويسهم في المستقبل القومي والوطني والإنساني للطفل العربي»[2].

ويعدد بعضهم هذه الأهداف ضمن نواح محددة كالنواحي الثقافية، والنواحي الخلقية، والنواحي الروحية، والنواحي الاجتماعية، والنواحي

---

(١) المصدر السابق/ ٥٩ ـ ٦٠.
(٢) أدب الأطفال ومكتباتهم: هيفاء شرايحة/ ٤٥، ٤٦.

القومية، والنواحي العقلية والنواحي الجمالية، والنواحي الترويحية[1].

ويبدو الاهتمام بتحديد الأهداف عند أصحاب المذاهب الفكرية المحددة واضحاً. ففي سورية مثلاً خصصت مجلة الموقف الأدبي عدداً ممتازاً لأدب الطفل في سورية[2]، وأوضحت المجلة أن سبب اهتمامها بأدب الطفل لأنه سبيل لبناء الذات، ومكون رئيسٌ للشخصية القومية، ومن غاياته وطوابعه ما يلي:

١ ـ الطابع التربوي لأدب الأطفال.

٢ ـ والطابع القومي.

٣ ـ والطابع الشعبي.

٤ ـ والطابع الأيديولوجي[3].

بل أوضحت بعض المقالات والدراسات في هذا العدد الأهداف الخاصة لأدب الأطفال في سورية في ظل التوجه العلماني الاشتراكي القومي. . «التربية في سورية موجهة»[4] «وأدب الأطفال ـ على صعيد المضمون ـ تتضح الأشكال في تحقيق الجانب القيمي والمعرفي الذي نصت عليه أهداف التربية في القطر»[5].

بل ويرى بعضهم أن من أهداف أدب الأطفال إيجاد معجم لغوي

---

(١) أدب الأطفال، مبادئه، ومقوماته الإنسانية. محمد محمود رضوان وأحمد نجيب/ ١١ ـ ١٠ ـ ١٣، من مطبوعات وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية وهو الجزء الأول للصف الرابع بدور المعلمين والمعلمات.

(٢) وهو يشمل الأعداد (٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠) وصدر في تشرين الأول ١٩٨٨ م السنة ١٨.

(٣) المصدر السابق/ ٨، ٩.

(٤) المصدر السابق/ ٢١ من مقال: قضية أدب الأطفال بين الفن والتربية في سورية: ندوة النوري.

(٥) المصدر السابق/ ٢٢.

خاص بالأطفال والابتعاد بهم عن الألفاظ القديمة التي لها علاقة بالتراث القديم، أو الإسلام أو النصوص القديمة[1].

وفي دراسة عن (مشكلات قصص الأطفال في سورية)[2] حدد الباحث القِيَمَ السَّائدة في القصص التي درسها وفق التدرج النازل التالي:

١ ـ القيم المعرفية والثقافية.

٢ ـ القيم الاجتماعية وتكامل الشخصية والقومية والوطنية.

٣ ـ القيم العملية الاقتصادية والأخلاقية والجسمانية والترويحية. وأما مضامين هذه القيم كما حددها البحث فهي القيم التي أوردها تصنيف (وايت) المطور في عدة مجموعات منها:

ـ **القيم الاجتماعية**، وتتضمن: وحدة الجماعة، الظرف واللطافة، قواعد السلوك، التواضع، المماثلة، الكرم والعطاء، التسامح، حب الناس.

ـ **القيم الخلقية**، وتتضمن: الأخلاق، الصداقة، العدالة، الطاعة، الدين.

ـ **القيم القومية/ الوطنية**، وتتضمن: الوطنية، حرية الوطن وحدة الأقطار المجزأة.

ـ **القيم الجسمانية**، وتتضمن: الطعام والراحة والنشاط، والصحة وسلامة الجسم، الرفاهية، النظافة.

ـ **القيم الترويحية**، وتتضمن: الخبرة الجديدة، والإثارة، والجمال، والمرح، والتعبير الذاتي المبدع.

---

(١) المصدر السابق: اقتراب أولي من أدب الأطفال.

(٢) صاحب الدراسة: سمر روحي الفيصل من منشورات اتحاد الكتاب العرب.

ـ **القيم الخاصة بتكامل الشخصية**، وتتضمن: السعادة، التحصيل والنجاح، التقدير، احترام الذات، السيطرة، العدوان، القوة، التصميم، الحرص، الانتباه، استقلال الفرد، المظهر.

ـ **القيم المعرفية الثقافية**، وتتضمن: المعرفة، والذكاء والثقافة.

ـ **القيم العملية الاقتصادية**، وتتضمن: الواقعية، العمل، الضمان الاقتصادي، الملكية الاشتراكية[(١)].

وهذا التحديد للقيم مبني على أساس النظرية الماركسية المادية التي تنظر إلى الحياة نظرة مادية، وأن التطور المادي هو الذي يعكس شتى الصور والنشاطات المختلفة، ولذلك نرى في هذا التحديد التأكيد على ما يخدم هذه النظرية، مثل: الملكية الاشتراكية، ووحدة الجماعة، والعمل، والضمان الاقتصادي، وتجلى ذلك في عدد من القيم التي أشار إليها الدارس.

فضلاً عن ذلك فإن المعاني التي تهدف إليها هذه القيم تختلف كثيراً عن المعاني التي يعرفها المسلم، ولذلك لم نجد في هذه الفيم ما يشير إلى الدين والمعتقد، والأخلاق التي تغرسها العقيدة في نفوس الناس، لأن الدين في نظر أصحاب هذا الاتجاه ما هو إلا صورة من صور التطور والاستغلال، والبورجوازية، والتخلف والأساطير، ولذلك يهتم بما تنادي به الشعارات العلمانية باسم القيم الخلقية: كالصداقة والعدالة، وجعل الدين فقرة من فقرات القيم الخلقية.

وكذلك فإن كثيراً من القيم التي وردت في المجموعات السابقة كالصدق والصبر والعدالة والعمل والوطنية والثقافة وغيرها قيم متطورة[(٢)].

مما سبق نرى أن القيم التي يهدف إليها أدب الأطفال في صورته

---

(١) مشكلات قصص الأطفال في سورية/ ١٢ ـ ١٤.

(٢) القيم التربوية في ثقافة الطفل: الهيئة المصرية للكتاب/ ١٠.

المعاصرة في العالم العربي غير واضحة، لأن هذا الأدب الناشيء جاء انعكاساً للأدب الغربي، فضلاً عن أنه نشأ في ظل أوضاع تقف من الإسلام موقفاً معادياً في كثير من الأوقات. والثقافة والأدب بأيدٍ تنتمي إلى مدارس فكرية تنكر الدين وتحاربه، وتنظر إليه بازدراء.

ومما يؤكد ذلك كثير من الدراسات التي اهتمت بالقيم التربوية في أدب الأطفال، أو القيم بشكل عام، وكان جُلُّ اهتمامها بالجوانب المادية من حياة الطفل، بل اعتمدت في آرائها على النظريات الغربية حول النفس الإنسانية بعامة، ونفس الطفل بخاصة.

ولقد عقدت واحدة من هذه الدراسات عن الطفل في معرض القاهرة الدولي الثاني لكتب الأطفال ما بين ٣٠ تشرين ثاني نوفمبر ـ ٤ كانون أول ديسمبر ١٩٨٥ م تحت عنوان (القيم التربوية في ثقافة الطفل) واشترك فيها عدد من الباحثين والمختصين بأدب الأطفال، وانتهت إلى عدة توصيات منها:

١ ـ يطلب إلى أقسام دراسة علم النفس في الجامعات الاهتمام بمراجعة ما يؤلف للطفل بهدف تعديل بعض المسارات والاتجاهات في الكتابة للطفل بما يتناسب مع متطلباته وحاجاته في تنمية شخصيته نمواً سوياً.

٢ ـ توصي الندوة مؤلفي كتب الأطفال بالاهتمام بتنمية ملكة الخيال الخلاق المبدع الذي يسمو فوق مشكلات الحاضر، ويرتاد بالأطفال الطريق الأمثل نحو حياة أفضل.

٣ ـ أن تخضع المواد المترجمة للأطفال لدقة في الاختيار، وأمانة في النقل، مع مراعاة ألا يكون فيها ما يشوش قيمنا أو تاريخنا.

٤ ـ الإلحاح على هدف الانتماء العربي في تأليف قصص الأطفال.

٥ ـ حبذا الإحياء للتراث بإعادة صياغة القصص العربي، وتعاد

الصياغة على نحو يماشي روح العصر[1].

وهناك عدد آخر من التوصيات له علاقة بكتب الأطفال عامة من حيث الشكل والمضمون والإخراج والنشر.. إلخ.

وهذه التوصيات جيدة، ولكنها اهتمت بجانب واحد، وتركت جوانب كثيرة وأهمها تحديد الأهداف الواضحة لهذا الأدب.

وهناك اتجاهات أخرى دأبت على تسخير أدب الطفل لإخراج جيل يؤمن بالعلمانية، ويدين بالاشتراكية العلمية، وينسلخ عن ماضيه وتراثه وقيمه، ويتنكر لتاريخه، ويرفض معتقداته: «نحن نطمح إلى بناء إنسان جديد عن طريق تنمية شخصيات الأطفال جسمياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً ولغوياً».

وهذا مطلب عام، يفسره ما ورد في القيم التي يرنو لها أدب الأطفال في نظر أصحاب هذا المذهب. فنرى ـ مثلاً ـ مسألة الوطن أصبحت ضمن المفهوم الاشتراكي على الشكل التالي:

«ونريد تنمية اعتزاز الأطفال بالوطن، وتهيئتهم للإسهام بمسؤولياتهم في الغد تجاهه، وتربيتهم تربية وطنية قومية، وتعريفهم بالقيم الإنسانية».

ثم يفسر هذا المضمون قائلاً: «وهنا لا بد من الإشارة إلى أن البعض يتصورون أن بث مشاعر الفضيلة والإحسان والرحمة والشفقة تكفي لأن تكون المعين الأكبر لأدب الأطفال، ولكن هذا التصور على جانب من الخطأ، حيث خاب رجاء المفكرين الطوبائيين منذ زمان بعيد حين كانوا يتصورون أن معضلات الإنسانية يمكن أن تجد الحل عن طريق هذه

---

(1) الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ١٩٨٥ (القيم التربوية في ثقافة الطفل) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧/ ٢١٨ ـ ٢٢١. ولقد أسهم في هذه الحلقة عدد من العاملين في مجال ثقافة الطفل تحت إشراف الدكتورة سهير القلماوي وشهد الحلقة باحثون من الكويت وتونس واليمن.

الدعوات، إذ ظهر اليوم بشكل واضح أن المعضلات الإنسانية لها حل نهائي يتمثل في النظام الاجتماعي الذي يحرر الإنسان من كل القيود، ويوفِّر له كل الحاجات الاجتماعية، ويطلق قدراته وملكاته ومواهبه، وينقل جهوده من ميدان التصادم إلى ميدان التعاون الإنشائي.

وعليه لا بد من تهيئة الطفل لأن يتجه في هذه السبيل الأخيرة وإعداده لأن يتحمل ـ فيما بعد ـ مسؤولية بناء النظام الجديد بدل الاكتفاء باستدرار عطفه على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل في كلمات باكية جوفاء»[1].

وواضح أسلوب الاستنكار والاستهزاء بالقيم والأساليب التي يعلّمها الإسلام للناس عامة في التراحم والتعاطف والتكافل والتعاون حيث لا يرى المؤلف في هذا غير كلمات باكية جوفاء، ويريد من أطفال الغد رفض هذا المنهج وبناء النظام الجديد الذي يدعو إليه الكاتب ويفصح عنه بالعبارة التالية:

«وينبغي أن يكون الطفل في موقع الناقد الواقعي المنشىء.. ونريد أن نبعد عن أطفالنا كل آثار النزعات الإشكالية واللامسؤولة واللامبالاة، والتقليد الأعمى، والكذب، والرياء والخنوع، والتفكير الخرافي الهدام».

«ونريد تنمية السلوك الاشتراكي في نفوس الأطفال، وغرس الثورة الدائمة في نفوسهم ضد كل آثار الاستغلال، وبناء شخصياتهم بناءً يمكّنهم من العمل المبدع»[2].

---

(١) أدب الأطفال ـ فلسفته، فنونه، وسائطه: بقلم هادي نعمان الهيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧/ ٩٤ ـ ٩٦، وواضح أن الكاتب يربط بين مشكلات الطفل وأدب الطفل، وكل المعضلات الإنسانية وبين النظام الاجتماعي، وهذا صحيح، لكن النظام الاجتماعي ليس هو الشيوعية أو الاشتراكية أو العلمانية. إنه الإسلام الذي يمثل المنهج الشامل للإنسانية.

(٢) المصدر السابق/ ٩٦، ولقد كان الانهيار المريع للعالم الشيوعي في مجال النظرية والتطبيق أكبر رد على مثل هذه الدعوات، فضلاً عما حملته تجربة الشيوعية من فضائح مخزية وممارسات يأباها الحيوان، وها هي ذي الشعوب التي=

والمؤلف لا يذكر ـ هنا ـ الإسلام خاصة ـ أو الدين عامة بشيء ولكنه يكنّي عن ذلك بمثل العبارات السابقة، ويرفع هذه الشعارات البراقة «الاشتراكية، والثورة، ومحو الاستغلال. إلخ» لكي يغري الناس بها. ولكن الواقع وحده هدم كل هذه الدعوات، هدمها بمعاول التطبيق العملي في جميع بلدان العالم، وفي البلدان العربية التي حصدت منها الفقر والجوع، والنزاعات الطائفية والإقليمية والنكسات، وخسارة الأرض والكرامة، وذهاب الأخلاق والحريات، فأي خير يُرجى من وراء هذه المضامين للأجيال القادمة؟

ومن المهم أن ينهض المختصون المخلصون بدراسة المضامين الخاصة بأدب الأطفال، والأهداف التي ينبغي أن تهدف إليها على أسس إسلامية واضحة حتى لا تتوزع الجهود أولاً، ثم تضيع الخطوات وتتعدد الرؤى أو تتضارب بلا معرفة أخيراً.

«إن ثقافة الأطفال هي ـ أساساً ـ نظرة إلى العصر، ونظرة إلى تراثنا، ونظرة إلى الطفل نفسه، وكل إنتاج في هذا المجال لا يحترم قيم هذا العصر وتوقه إلى الحرية. وكل أدب لا يستقي من تراثنا ومما هو حي فينا من هذا التراث، وكل إنتاج لا يعكس في روحه أحاسيس الطفل ولا يحترم قدراته على الفهم والتمييز والخيال ليس هو بالإنتاج الذي يستحق أن يتمي إلى ثقافة الأطفال التي تطلبها بلادنا..»[1].

وهذا يعكس الأهمية الخاصة بثقافة الأطفال ومضامين أدب الطفل وشمولها على عناصر أساسية تحقق الخير لأبناء المستقبل وتسهم في إعداد الأجيال إعداداً صالحاً.

إن الاهتمام بأهداف هذا الأدب ومضامينه، ضرورة واجبة حتى نسهم

= رزحت تحت ظل هذه المبادىء تفضح هذه الممارسات المروعة.

(١) الاتجاهات الجديدة في ثقافة الأطفال/ ٦، النادي الثقافي العربي وثقافة الأطفال، أسبوع ثقافة الأطفال ١٩٧٨ م.

في بناء جيل مؤمن بالله، أمين على قيمه وتاريخه وحاضره ومستقبله. جيل يتحمل المسؤولية غداً، ويبني المستقبل على أسس متينة صحيحة، ويتخلص من آثار الهزائم المتوالية للمسلمين في القرن الحالي.

أهداف أدب الطفل

سأحاول في الصفحات القادمة تحديد بعض الأهداف المهمة لأدب الأطفال على ضوء التصور الإسلامي، مجملاً الحديث في بعضها، ومفصلاً بعض الشيء في بعضها الآخر.. ويمكن تحديد هذه الأهداف بالأطر الأربعة التالية:

١ ـ الأهداف الاعتقادية.

٢ ـ الأهداف التربوية.

٣ ـ الأهداف التعليمية.

٤ ـ الأهداف الجمالية.

أولاً: الأهداف الاعتقادية

كل عمل من أعمال الإنسان مرتبط بما يؤمن به ويعتقده، أيّاً كانت طبيعة الاعتقاد ونوع الإيمان. فسواء أكانت عقيدة أرضية وثنية، خرافية أسطورية، أم كانت عقيدة ربانية إلهٰية موحدة.

وكل المذاهب الأدبية، والمدارس الفنية، والاتجاهات الفكرية تستند إلى عقيدة من العقائد. وفي الغرب لا يتوارى الناس في هذا، بل يصرّحون بما يعتقدون، ويتناولون كل الأمور بحرية وصراحة ووضوح، يقولون عن الدين ما يريدون، ويتحدثون عن النشاطات الفكرية والأدبية بما يعتقدون.

أما عند المسلمين فالأمر يختلف، يأخذون من نتاج الغربيين، ويقتدون بمذاهبهم الأدبية، ويتبنون مدارسهم الفنية، بل والفكرية أحياناً، ويدَّعون أن ذلك بعيد عن المعتقدات والدين، والشرع الذي يؤمنون به، وأن الذي يأخذونه لا يتعارض مع دينهم وعقيدتهم!!

وقد يكون بعض الناس يجهلون الحقيقة، لأنهم يجهلون دينهم حقاً وهم يظنون أنهم يعرفونه. ويجهلون أنه منهج حياة، ويظنون أنه صورة من صور الأديان التي عرفها الغرب ونبذها وثار عليها والتي تمثلت بالكنيسة، أو اليهودية المحرّفة التي تحكم العالم من وراء ستار.

ولذلك يردِّدون مقولات الغربيين عامة ـ والفلاسفة والمفكرين خاصة ـ عن الدين، ويرون أنه علاقة بين العبد وربه، علاقة خاصة يحكم أموراً روحية لا علاقة لها بالحياة والنشاط البشري.

ويعجبون حين يتحدث الناس عن رأي الإسلام في الأدب، والتربية والاقتصاد والفنون والسياسة، وعلاقة الأمم ببعضها. نعم الجهل بحقيقة الإسلام يحمل بعض الناس على كل هذه المواقف، لأن معرفتهم بالإسلام معرفة تقليد. ودراستهم له تعتمد على دراسة ما كتبه المستشرقون والفلاسفة عنه.

ثم قد تأخذهم العزة بالإثم، أو العصبية للألقاب الكبيرة، فيرفضون أن يعودوا لدراسة الإسلام من جديد. لأن هذا ـ في اعتقادهم ـ شأن الطلبة الصغار، أما هم فقد حازوا على الألقاب العلمية التي تعني أنهم عرفوا الحق، واستحوذوا على الفكر، وتملكوا ناصية العلم والمعرفة. ولا غرابة أن يمضي أحدهم سنوات عديدة ليترجم كتاباً عن الطفولة لأحد الفلاسفة أو علماء النفس الغربيين، ويأبى أن يعود إلى تراثه الذي كُتب بلغته ليقرأ ما كتبه العلماء عن الأطفال، لأن ذاك يمثل ـ في رأيه ـ التقدم والفكر، والعلم. وهذا يمثل الكتب الصفراء، والأفكار الرجعية والنظرات الضيّقة القديمة.

وهناك فئة لا تجهل الحقيقة، بل اتخذت من فلسفات الغرب مذهباً وعقيدة! تصرّح بذلك حيناً، وتتوارى خلف العناوين واللافتات البراقة حيناً آخر. ولكنها لا توفر الفرصة ـ حين تتهيأ لها ـ للنيل من الدين، وبطرق شتى، تلصق به كل صفات التأخر، والجمود والعصبية، و... وشتى النعوت المنقصة منه.

من هذا نرى أن كل نشاط بشري، فكري أو فني، أو علمي أو عملي يستند إلى عقيدة ما. ولذلك وجب علينا أن نحدد هدفنا بوضوح من أدب الطفل، لأهميته، ولخطورة النتائج المترتبة عليه.

ولأننا لا نريد أن يكون الطفل ـ أي طفل ـ تتوزعه شتى الاتجاهات والولاءات والمشاعر، حتى يغدو سبباً في جهل الأمة أو خراب مستقبلها، لا قدر الله.

بل نريده طفلاً مسلماً، أي طفلاً متحرراً من كل القيود الأرضية التي تحد من نموه وانطلاقه، وتحد من إبداعه ونشاطه.

نريده طفلاً مسلماً واسع النظرة، واضح الأهداف، يعرف سبيله الممتد منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم وحتى يعود الناس إلى رب العباد.

نريده طفلاً يجوب الكون بنظرته، طموحاً، متوازناً، يرتاد الآفاق بثقة وطموح وطمأنينة.

ولذلك لا بد من توضيح الهدف العقدي في أدب الأطفال.

ولا يعني ذلك تحويل الأدب إلى درس من دروس العقيدة، وإنما يعني وضوح الهدف عند الأديب لكي تصب الصور الأدبية المختلفة، في نقطة بعيدة. أو تتصل بمنبع التوحيد الذي يحرر الطفل من كل العبوديات ويربطه بالخالق عن طريق التفكير الحر المبدع، التفكير الذي يسمع همسات الكون، وحفيف الأشجار، ووشوشات الضياء وهي تسبّح للخالق الواحد عز وجل.

والأمر ليس للمسلمين خيار فيه، لأنه تكليف من الله عز وجل، ومسؤولية أمام رب العالمين: **﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾**[1] وهل ينفع شيء مع الشرك أو فساد العقيدة؟

يقول رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»[2] ويقول أيضاً «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته..»[3].

---

(١) سورة التحريم: الآية ٦.

(٢) البخاري في كتاب التفسير (سورة الروم) وللحديث بقية.

(٣) جزء من حديث، متفق عليه.

ولبناء العقيدة في نفس الطفل عدة أركان وهي:

١ ـ تلقين الطفل كلمة التوحيد:

ولهذا أثره النفسي العميق عند الطفل في سنواته الأولى، والأبحاث الحديثة دلت على ذلك، مما دعا بعض علماء التربية والنفس الغربيين للبدء في تعليم الأطفال منذ ولادتهم[١] وتلقين الطفل كلمة التوحيد منذ الولادة من سنن الإسلام. فلقد روي أن النبي ﷺ «قد أذَّن في أذن الحسن بن علي اليمنى يوم ولد، وأقام في اليسرى»[٢]. ويقول عليه الصلاة والسلام: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله»[٣].

وروى عبد الرزاق: أنهم كانوا يستحبون أول ما يفصح أن يعلموه لا إله إلا الله سبع مرات فيكون ذلك أول ما يتكلم به.

ولقد مر ما قاله الإمام الغزالي في هذا الشأن[٤] من ضرورة تقديم العقيدة للمولود في أول نشوته ليحفظه حفظاً، ثم بيَّن الطريق لترسيخ العقيدة فقال: «وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يُعلَّم صنعة الجدل والكلام، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره، وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يَرِدُ عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها»[٥].

---

(١) أشارت بعض الدراسات إلى فائدة تلقين الطفل منذ السنة الأولى لبعض العبارات ومحاولة تعليمه للقراءة والفهم.

(٢) رواه أبو داود، والترمذي، وقالا: حديث صحيح. وروى مثله البيهقي في شعب الإيمان، وانظر إلى ما قاله ابن القيم عن سر التأذين في فقرة (الإسلام وتربية الطفل) ص/ ٢٤ في المخطوط.

(٣) تحفة المودود/ ١٦.

(٤) انظر: الإسلام وتربية الطفل، في هذا الكتاب.

(٥) إحياء علوم الدين ١/ ٩٤.

وعلى الأدب الإسلامي الاستفادة من هذا في تقديم ما يناسب الطفل في صورة من الصور الأدبية، وفي كل جنس من الأجناس الأدبية المختلفة. فالعقيدة وتوضيحها، وترسيخها بالطريقة المناسبة من أهم الأهداف التي ينبغي أن تكون واضحة لدى الأديب المسلم فيما يكتبه للطفل المسلم.

٢ ـ ترسيخ حب الله تعالى في نفس الطفل:

وهذا الهدف مكمل وتابع للهدف الأول، ولكنه أيضاً ضروري لأنه يؤثر في توجيه عواطف الطفل وتكوين مشاعره ووجدانه. وللوصول إلى هذا الهدف نحتاج إلى بعض السلوك العملي من المربين إضافة لما يقدمه الأدب، ويحتاج إلى دربة طويلة وعناية فائقة من المهتمين بالطفل، لكي يتفتح وعي الطفل شيئاً فشيئاً وهو يرى ويسمع ويحس برعاية الله عز وجل للخلق عامة ـ ولهذا الطفل خاصة ـ ومن خلال الحكاية والقصة والنشيد والحوارية والمقالة والعرض الأدبي للموضوعات العلمية التطبيقية. من خلال ذلك يمكن للأديب أن يسهم في تحقيق هذا الهدف، ويدفع الطفل للربط بين نعم الله عز وجل وآلائه الكثيرة، وبين الخالق القدير الرحيم. إنه يستطيع أن يفتح للطفل النوافذ شيئاً فشيئاً ليرى أن الخير كل الخير من الله رب العالمين، وأن الإنسان مخلوق عاجز ضعيف أمام الله، وبغير هذه النعم وهذه الآلاء لا يستطيع أن يفعل شيئاً، وإن أبسط الأشياء وأكبرها تساعد الأديب على مثل هذا. وإن كل ما يألفه الطفل يمكن أن يتحول بأسلوب الأديب وإبداعه إلى نشيد جميل يفتح له مثل هذه النوافذ، أو إلى قصة تساعد على ترسيخ محبة الله عز وجل وغرسها في أعماقه، ومزجها بكل كيانه ووجدانه، وإن عمل الأديب لربط الطفل بكتاب الله عز وجل: بقراءته، وشرحه، وعرض صور مما فيه، وتبسيط هذه الصور، والقصص والعبر والأحكام للطفل، إن كل ذلك يسهم في تحقيق هذا الهدف أيضاً.

وفي عرض قصص الأنبياء كما وردت في كتاب الله، وسرد حكايات

الأبرار والصالحين على مسامع الأطفال، وربط هذه الحكايات وما تؤدي إليه من نجاح أو فشل، وما تحمله من شفافية وجمال وعبر بالرب الرحيم تزيد من جلاء هذا الهدف. وإن شرح نواميس الكون التي تجري مقادير الأمور على سننها، وينشط الإنسان ويسعى في إطارها، إن كل ذلك سوف يزيد من حب الطفل لربه الذي أبدع هذا الكون ورعاه بحكمته وقدرته ورحمته.

إن كل هذه الأمور حين يتناولها الأدب بصورة مناسبة، يرسخ في أعماق الطفل ذلك الوجدان الحي الذي ينبض بحب الخالق العظيم، لأن الدين وجدان وعمل، قبل أن يكون مناسك وشعائر.

٣ - ترسيخ حب النبي ﷺ:

وهذا أمر يستتبع ما سبق، لأن معرفة الطفل لربه يعني تصديقه وطاعته، ومن ذلك إيمانه برسالة النبي الخاتم، وبشريعته العظيمة، فضلاً عن محبته، وطاعته، والاقتداء به في كل شؤون الحياة لأنه المنار الأعلى الذي اختاره الله للبشرية، والقدوة المثلى الذي تجلت به هذه الرسالة الإنسانية. وحين يتحقق حب النبي ﷺ، يصبح الاقتداء أمراً سهلاً.

وفي عرض السيرة العطرة بصدقها، وواقعيتها، وحيويتها سوف يغرس في نفس الأطفال تلك المحبة.

ولكن هذا العرض يحتاج إلى الطريقة المناسبة للطفل، والأسلوب المشوق الذي يفتح لديه القلب والعقل معاً، بعيداً عن السرد التاريخي البارد، أو الرواية التي لا تصلح إلا لدارسي التاريخ. وكذلك فإن عرض أحاديثه ﷺ وسنته وأعماله بالتصوير الموحي، والأسلوب الواضح سيسهم في غرس الإكبار والمحبة لرسول الله ﷺ في نفس الطفل.

وإن ذلك كله يحتاج إلى المقدرة الحقيقية في عرض ذلك بأسلوب يتلاءم مع قدرات الطفل، ويثير اهتمامه وشوقه، ويدفعه إلى مزيد من القراءة والاطلاع.

٤ ـ تعليم الطفل القرآن الكريم:

وإنه لأمر مهم أن يتعلم الطفل القرآن الكريم: قراءة وفهماً منذ السنوات المبكرة، وإنه لأمر ميسور، أثبتته التجربة والواقع، وفي ذلك تتحقق أهداف كثيرة، وتزداد خبرة الطفل، وتنمو مهارته ومواهبه وترق مشاعره، وتصفو نفسه، ويكتسب ذلك الحس الجمالي الصافي فيتذوق الكلمة الجميلة، ويستعذب الصورة الطيبة، ويتمثل المعنى اللطيف، ويتقبل الأمر الخيّر، وينفر من القبح والشر، ويأبى الفساد، ويعاف المنكر.

والصور كثيرة لتحقيق هذا الهدف، وأدب الطفل يملك أن يختار طرقاً كثيرة لجعل القرآن الكريم من أهم فقراته وألوانه، ليكون مناراً لوعي الطفل، وروحاً لحياته.

وإنه من المعلوم أن أعداء الإسلام يحاولون بشتى السبل إبعاد الطفل والناشىء عن كتاب الله عز وجل، بدعاوى وحجج كثيرة، منها: الصعوبة في الحفظ، أو الصعوبة في الفهم، ومنها الحذر من وقوع الطفل تحت تأثير الصور المخيفة والصور المرعبة... إلخ.

وإن الواقع يكذب هذه الدعاوى، فأطفال المسلمين يحفظون كتاب الله ويتقنون تلاوته منذ نزوله، ويتعرفون على معانيه في سني الطفولة المبكرة ويزيدهم هذا وعياً، ونضرة، ونضجاً، بل يدفعهم ذلك إلى آفاق من المعرفة، ورحاب الإيمان الذي لا يعرفه غيرهم.

بل إن كثيراً من غير المسلمين استفادوا من حفظ الآيات القرآنية مثل الشاعر بشارة الخوري، وبدوي الجبل.

وكذلك تكذبهم الصور الكثيرة التي عرفها أدب الطفل في أوروبا التي حفلت بالقصص، والحكايات الخيالية، والمغامرات المخيفة.. والنصوص الصعبة، ومع ذلك لم تظهر مخاوف هؤلاء من ذلك الخيال المرعب، ولم يروا في ذلك خطراً على الأطفال ومستقبل الأطفال.

ولقد فطن أجدادنا إلى أهمية القرآن الكريم بالنسبة للطفل، لذلك جعلوه نقطة البداية وأساس التعليم في مختلف البلدان الإسلامية[1] لأن ذلك سيؤدي إلى رسوخ الإيمان، ونضوج الوعي، وتقويم اللسان، وتهذيب النفس، وتربية الروح والوجدان. ولقد كان أهل المغرب يقتصرون على تعليم أطفالهم القرآن الكريم ويدارسونهم كتاب الله، ويعلمونهم رسمه وقراءاته المختلفة، ولا يخلطون أثناء ذلك بين تعليم القرآن والحديث أو غير ذلك، فإذا حذق الطفل تعلم القرآن بدؤوا بغيره.

وكان أهل الأندلس والعراق يعلمون أطفالهم القرآن الكريم، مع تعليم الأساسيات من علوم الدين الأخرى.

ويعكس منهج القابسي صورة واضحة عند الشعوب الإسلامية في القرن الرابع الهجري وما بعده لمرحلة تعليم الصبية، والذي ينقسم إلى قسمين:

١ ـ المنهج الإجباري، ومن مقرراته: القرآن الكريم، والصلاة والدعاء، وبعض النحو والعربية والقراءة والكتابة.

٢ ـ المنهج الاختياري، ومن مقرراته: الحساب، والعربية والشعر وأخبار العرب.

والربط في هذا المنهج بين تعليم القرآن الكريم والصلاة والدعاء أمر مهم؛ لأنه ربط بين الفكر والوجدان والنزوع، وبين الاعتقاد والعمل والتطبيق[2].

---

(١) ولقد شاهدت خلال زياراتي للهند وتركيا أثر كتاب الله عز وجل في أطفال المسلمين، حيث إن حفظ هؤلاء الأطفال لكتاب الله أو لأجزاء منه جعلهم يتقنون العربية، ويتفوقون في كثير من العلوم الأخرى، ويزدادون وعياً وثقة وطمأنينة.

(٢) وحدة لتنمية الشعور الديني عند الأطفال/ ٢٧.

ولقد كان منهاج الدراسة في عهد الراشدين يضم القرآن الكريم ومبادىء الدين الحنيف، والقراءة والكتابة والشعر. ثم بعض الأمور التي يحتاجها الطفل في حياته، مع الحرص على التدرج وتجنب ما ينفره من التعليم[1].

وكان ابن سينا يرى ضرورة البدء بتعليم القرآن بمجرد تهيؤ الطفل للتلقين عقلياً وجسمياً، مع تعلم حروف الهجاء، ثم رواية الشعر.

وأما الغزالي فيرى أن تقوم تربية الطفل على دراسة القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، والأخبار، وحفظ الشعر[2].

لقد ربى كتاب الله جيلاً يندر أن يجود الزمان بمثله، هو جيل الصحابة، وأخرج أمة من العدم لتكون خير أمة أخرجت للناس، فكيف لا يكون الهدف الأسمى، والمعين الأنقى للأدب الإسلامي؟ وللأديب أن يجرب ويبحث عن الأساليب التي تتناسب مع أعمار الأطفال لكي يصل بينهم وبين كتاب الله عز وجل، ولكي يفتح لهم منافذ الفهم، والوعي، ويكشف لهم أسرار الجمال والإبداع في كتاب الله عز وجل، ويضع أمامهم صوراً حية رائعة من كتاب الله.

وإذا كانت القصة ـ على سبيل المثال ـ من الألوان الأدبية المحببة للأطفال، فإن في كتاب الله عز وجل أروع الصور، وأجمل القصص، وأبلغ الأحداث، وهو يمد الأدب الإسلامي للكبار والصغار بمصدر عظيم ثري للقصص المتنوع، والموضوعات المختلفة، وهذه القصص يظل الهدف فيها واضحاً، وتكون الأحداث حية متحركة مثيرة، وتبدو الحركة ذات أبعاد كثيرة.

ونذكر على سبيل المثال بعض هذه القصص:

---

(١) التربية والتعليم في الإسلام/ ١٨، ٢٤.

(٢) وحدة لتنمية الشعور الديني.

«قصة آدم مع إبليس».

«قصة موسى عليه السلام مع اليهود».

«قصة داود عليه السلام وطالوت وجالوت».

«قصة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام».

«قصة موسى عليه السلام وفرعون، وقصة أم موسى مع امرأة فرعون ومع موسى».

«قصة سليمان وداود عليهما السلام».

قصة أيوب، وشعيب، وزكريا، ولوط.. عليهم السلام».

«قصة يوسف عليه السلام وإخوته».

«قصة زكريا ويحيى، وقصة زكريا ومريم».

«قصة عيسى ومريم عليهما السلام».

«قصة لقمان عليه السلام».

«قصة صاحب الجنتين».

«قصة أصحاب الفيل».

وقصص أخرى قصيرة وطويلة ذات ألوان وأشكال متنوعة، تعرض نماذج مختلفة من البشر، وتجارب عديدة من تجارب الإنسانية، وكلها تساعد الطفل المسلم على تعلُّم كتاب الله عز وجل، وتغرس في أعماقه روحانية هذا الكتاب الكريم، وترسخ لديه معاني الإيمان الواعي.

٥ ـ تنمية قدرات الطفل وتفتيح وعيه لثباته على العقيدة واستعداده للتضحية من أجلها:

وتحقيق هذا الهدف من الأمور المهمة ليغدو أمر العقيدة فوق المنفعة والمصلحة وأعمق من شتى العواطف والوشائج والمنافع.

والأدب الإسلامي يسهم في ذلك بالقصة، والعرض المؤثر، وبتصوير الحياة الإسلامية العملية التي يحتاجها الطفل في حياته. ومصادر هذا كثيرة جداً، من كتاب الله وسنة رسوله، ومن السيرة والتاريخ، والتجربة العملية، والوقائع اليومية.

وإن الأديب الذي يستشعر أهمية المسؤولية وعظم الأمانة الملقاة على عاتقه في هذا يسلك السبل، ويبحث عن الوسائل التي تحقق له هذه الأهداف، لأنه يدرك أن ذلك سيصب في الطريق لتربية الطفولة الإسلامية، على هدى من الله وبصيرة. وهل أهم من ذلك من غايات جلى؟[1].

٦ ـ ومن الأمور الملحقة بالهدف العقيدي، بيان حقيقة الإنسان

(١) لقد أشار الدكتور نجيب الكيلاني إلى وظيفة أدب الأطفال من خلال العناصر التالية:

١ ـ تشكيل الوجدان المسلم
٢ ـ صَبْغ الفكر بالمنهج الإسلامي.
٣ ـ طبع السلوك بالطابع الإسلامي
٤ ـ حب العلم باعتباره فريضة
٥ ـ تحديد مفهوم السعادة
٦ ـ تنمية ملكة الخيال عند الأطفال.
٧ ـ إيجاد التوازن النفسي
٨ ـ ترسيخ العقيدة.
٩ ـ فهم الحياة
١٠ ـ بعث مشاعر الوحدة الإسلامية.
١١ ـ توضيح مفهوم الحب
١٢ ـ إثراء الحصيلة اللغوية.
١٣ ـ تنمية الإحساس بالجمال
١٤ ـ الحفاظ على حالة التوتر الصحية.
١٥ ـ توضيح مكانة المرأة المسلمة (أدب الأطفال في ضوء الإسلام) د/ نجيب الكيلاني ١٠٥.

ولكن يلاحظ أن هناك أهدافاً تدخل في جزئيات أهداف أخرى، وأن هناك بعض التكرار. وحيث أن أدب الطفل وسيلة مهمة من وسائل التربية في العصر الحديث، لأنه يساعد على تشكيل شخصية الطفل: عقدياً وفكرياً وسلوكياً ونفسياً، لذلك نرى أن يكون الحديث عن أهداف أدب الطفل مرتبطاً بالمنطلق العقدي الواضح الذي يعتمد على الأصول الإسلامية، ويتعمق في قضية العقيدة، ويؤكد على قضية التربية بدلاً من بعض العموميات. والعناصر التي أشار إليها الدكتور الكيلاني مشتركة بين أدب الكبار والصغار.

ومكانته في هذا الكون، وعلاقته بربه، وعلاقته بالكون من حوله وعلاقته بأخيه الإنسان:

لأن توضيح ذلك للطفل سينعكس على تفكيره، وسلوكه ونشاطه. . . . حتى لا تؤثر عليه الفلسفات الأخرى فتخدعه وترديه، وتبعده عن طريق الإسلام، فتجعل منه مخلوقاً آلياً، عبداً للمادة، وتطورات المادة في صورها المختلفة. .

ومهم أيضاً أن يعلم حقيقة العبودية. . وأنها مكانة عظيمة يرقى إليها الإنسان بالطاعة، فالعبودية لله عز وجل خضوع والتزام بما أمر به الله عز وجل، وهي في ذات الوقت سمو، لأنها نسبة إلى الخالق العظيم القدير، وارتقاء فوق الضرورات والماديات والجواذب والموانع المختلفة للارتباط برب السماوات والأرض، وهي أيضاً تكريم، لأنها تطهِّر الإنسان من الأدران، والأوشاب، وتزيِّنه بالعقل والتفكير والإرادة، وتسخر له الجمادات والحيوانات، ليعيش خليفة في الأرض أميناً على شرع الله، ومسؤولاً عن سيرورة الحياة على سنن الله الأزلية.

إن مثل هذه الخطوط التي نوضحها للطفل، تجعل منه إنساناً قوياً رحيماً، حر الإرادة والتفكير، متواضعاً، شجاعاً مغواراً مطمئناً، لا تأسره الأنانية أو العواطف الخاصة ولا تمنعه من رؤية العلاقات والاجتماعات رؤية عملية متواشجة. ولا يقع في حمأة المطالب والشهوات التي لا تشبع، وينسى الواجب والآخرين. فهو طفل يعلم أنه في مجموع، وصغير يدرك أنه سيكبر، يعلب ولكنه أيضاً يتعاطف مع غيره. يطلب ولكنه لا ينسى أن ذلك مرهون برضى الآخرين ومحبتهم، فهو متوازن، ينشأ بلا اندفاعات، ولا تشنجات، يأنس بالآخرين، ويحب الأرحام، ويحترم الكبار، ولا ينسى أنه صغير.

ويحافظ على الآداب والسلوك الإسلامي، ويتدرب شيئاً فشيئاً على حب الواجب، والمسؤولية.

والأديب المسلم أكثر الناس قدرة على تصوير ذلك للطفل، وإمداده بالنماذج المؤثرة التي تريه هذه المعاني في صورة حية متفاعلة، ولكن ذلك لا يتحقق إن لم تكن مثل هذه الصورة واضحة في أذهان الأدباء أنفسهم؛ بعد أن طغت علينا صورة الطفل الغربي، وسبل التربية الغربية، حتى غدا الاختلاف مع هذه التربية نوعاً من الشذوذ الذي يثور عليه المتأثرون بالغرب، ويشنّون عليه حرباً شعواء، ويدَّعون أنه لا يناسب الطفل. وإن الأديب المسلم بحاجة إلى دراسة النماذج التاريخية التي حفظت لنا صوراً من التربية، وإلى النصوص الصحيحة التي توضح لنا خطوط التربية الإسلامية، ليعرف الأسس التي ينبغي أن تبنى عليها العقيدة والوسائل الكفيلة بتحقيقها، والخطوط التي ينبغي أن نحرص عليها في هذه التربية.

وقبل أن نختم هذا الفصل نتوقف قليلاً عند مفهوم العقيدة وطريقة غرسها في نفوس الأطفال عند بعض الكتاب.

فهم لا ينكرون العقيدة من حيث المبدأ، ولا ينكرون مسؤولية أدب الأطفال أو دوره في ذلك؛ ولكنهم في الوقت ذاته لا يفرقون بين عقيدة وأخرى، ويريدون أن ينشأ الأطفال على الاعتقاد بأن الأديان متساوية يختلف فيها الناس كاختلافهم في جنسياتهم ولغاتهم(١).

وهذا الكلام في ظاهره مقبول، ولكنه ينطوي على مغالطة كبيرة. فالأديان ليست سواء، والإسلام هو دين البشرية الذي رضيه الله لعباده ونسخ به جميع الأديان، وفي تعاليمه ما يربي الطفل على التسامح وعدم التعصب أو الكره، ولكنه لا يجوز أن تخفى الحقائق على الطفل ويجهل أن الإسلام هو الدين الصحيح، وأن التحريف والباطل دخلا إلى كل الأديان لأن ذلك مما ينبغي الإيمان به، وغير هذا انحراف وتزييف وبطلان.

---

(١) في أدب الأطفال: د/ الحديدي/ ١٠٤ وما بعدها.

والأمر الآخر: ينكر بعض الباحثين قدرة الطفل على فهم المعنويات - كما يصفون العقيدة - في المراحل المبكرة، وأن أدب الأطفال الذي يدور حول المعنويات الدينية في السن المبكرة ضرره أكبر من نفعه، وحجتهم في ذلك أن الطفل يرسم صورة مخيفة للإله[1].

ولكن هذه الحجج غير واردة لأن الإسلام علّم الإنسان كيف يربي الأطفال بما يناسبهم، وكيف يغرس أمور العقيدة في نفوسهم عن طريق القدوة الحسنة، والتوجيه المناسب، وربط الأمور التي تحيط بالطفل وتتناسب معه بمسبباتها برفق وأناة، دون أن نخفي عن الطفل حقيقة الاعتقاد، ودون أن نخشى ما يسمونه بالعقد والمخاوف.

ولقد أثبتت التجارب أن الأطفال الذين ينشؤون في بيئة إسلامية صحيحة[2]، هم الذين يكونون قادرين على التكيف والعطاء والإبداع، وهم الذين يكبرون وهم أكثر طمأنينة واتزاناً، لأن هؤلاء الأطفال لم يصلوا إلى فهم العقيدة بالاستدلال المنطقي أو بفحص الوقائع التي ترد إليهم عن طريق الحواس، وإنما وصلوا إليها بِتَمَثُّلِ هذه العقيدة فيما يتمثلون من أفكار وأحكام ومشاعر عن طريق الوالدين والأهل والعشيرة، ولا شك أن الطفل يمتصُّ كثيراً من مشاعر الوالدين نحو الأشياء والأشخاص؛ فيشعر نحوهم بنفس الشعور، وما يسري على خبرات الطفل عامة يسري أيضاً على جميع خبراته الدينية.

فالمصدر الأول لها هو الوالدان، وأساليب تنشئتهما للطفل «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» واختيار ما يقرأ أو يسمع أو يرى من الأدب المكتوب للطفل من مسؤولية الوالدين أيضاً. ولكن تحقيق هذا الجانب مما يكتب من مسؤولية الأدباء أيضاً.

---

(١) المصدر السابق/ ١٠٥ .

(٢) أعني البيئة الإسلامية الصحيحة التي تحتكم إلى منهج الإسلام في كل شيء وليست البيئة التقليدية التي يختلط فيها الإسلام بغيره، وتكتفي بالشعائر والكلمات.

وتعد عاطفة التدين في الطفولة المبكرة مظهراً من مظاهر الخلق عند الأطفال، والخلق نظام ينمو شيئاً فشيئاً بتفاعل النفس البشرية مع الحياة المحيطة بها، ومن الخطأ أن نظن أن غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الناشئة يتم بتلقينها المادة المعروفة بدروس الدين (التوحيد)، إنما العقيدة إطار حياة يحيط بكل جانب من جوانب التربية: من علم وعمل ومعاملة، لتوفر الاستعداد لها، ولتوفر الأسس المركوزة داخل الفطرة في عقل الإنسان. فالعقيدة تنبع من أعماقنا الوجدانية التي رسخت منذ أيام الطفولة، وما اكتنفها من أحداث[1]، ولذلك فإن سماع قصص الأنبياء، والصالحين، والأبطال، والعلماء، مع العيش وسط بيئة مستقيمة يمد الطفل بقسط كبير من فهمه للعقيدة بطريقة غير مباشرة.

وكذلك مشاهدة الصلوات وسماع الأذان؛ ومظاهر الاهتمام بالمشاعر والشعائر الإسلامية يزيد من ذلك، ومنذ أن يستيقظ عقل الطفل يريد أن يكشف سر وجود الكائنات وكنهها حوله فيبدأ بالسؤال عن الجبال والبحار والنبات، عن الطعام والشراب والمناسبات، حتى يجد الدين وسيلته إلى قلوب الأطفال عن هذا الطريق أكثر من الطرق المباشرة. ولأدب الأطفال مجال رحب في كل هذا لأنه الوسيلة التي تستطيع الوصول إلى قلوب الأطفال وعقولهم بطرق غير مباشرة.

ومن الأمثلة التي يمكن أن يحققها:

١ ـ إيقاظ إحساس الأطفال بقدرة الله عز وجل خالق الكون وذلك عن طريق تشجيع ميلهم التلقائي إلى استطلاع عجائب الكون التي تدل على عظمته وبديع خلقه.

٢ ـ إتاحة الفرصة للاستمتاع بمشاهدات الطبيعة ومخلوقات الله عز وجل التي تملأ قلوبهم إيماناً بالله خالق الجمال والكون.

---

(١) وحدة تنمية التفكير الديني/ ٥٤.

٣ ـ غرس الفضائل الإنسانية كمساعدة الفقراء واستثارة عواطف التعاون والتراحم نحو الفقراء والضعفاء وربط ذلك بمصدر الخلق، وبالثواب عند الله عز وجل.

٤ ـ تعويدهم على العادات العملية عن طريق التصوير الحي بالقصة وغيرها لتطبيق أثر العقيدة في النفوس، وتحويل القيم الإسلامية إلى أعمال ومشاريع يتعاون عليها الأطفال مع بعضهم[١].

● ● ●

ثانياً: الأهداف التربوية:

هذه الأهداف مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأهداف السابقة. وكنت قد جعلتهما شيئاً واحداً، في أصل هذا البحث[٢]، ولكنني رأيت أن إفراد الجانب العقدي بفقرة خاصة أفضل، لأهمية هذا الجانب ولتأثيره على حياة الإنسان ومستقبله.

والجانب التربوي يقوم في الأصل على المسؤولية المنوطة بالوالدين والمربين، وكل مسؤول عن جانب من جوانب الطفولة. فإذا كانت المسؤولية في القديم محصورة ـ إلى حد كبير ـ بالوالدين، فإنها اليوم تشمل عدداً أكبر من الناس، مع بقاء المسؤولية الأولى والأهم للوالدين، فالمدرسة بما فيها من إدارة ومدرسين، ووسائل الإعلام المختلفة ولا سيما الرائي[٣]، لما له من أثر كبير على الناشئة عامة والطفل خاصة[٤] فضلاً

---

(١) المصدر السابق/ ٦٥.

(٢) لقد كان أصل هذا الكتاب بحثاً تقدمت به إلى الندوة التي عقدتها رابطة الأدب الإسلامي عن أدب الطفل المسلم، التي عقدت في مدينة استانبول بتركيا في المحرم من عام ١٤١٠ هـ.

(٣) الرائي، أو التلفاز.. ولكن التسمية الأولى أقرب للعربية وهي تسمية أطلقها أستاذنا فضيلة الشيخ الأديب علي الطنطاوي.

(٤) انظر مثلاً كتاب: برامج الأطفال التلفزيونية: د/ عاطف عدلي العبد، دار الفكر العربي، القاهرة وفيه كثير من البيانات الإحصائية التي تظهر أثر هذا الجهاز=

عن الجريدة والمجلة والإذاعة، والبيئة الاجتماعية، والنادي، والحديقة...

وكذلك المجتمع عامة مسؤول بما فيه من عادات، وشعارات، ونشاطات كلها ذات تأثير على الطفل، لأن الشارع والحديقة، والمتجر، والمنتزه، كل هذه الأماكن تعكس ما في المجتمع من قيم وعادات وأفكار، وكلها تترك أثرها على الطفل.

والمسؤولية تقوم على نصوص وردت في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ:

يقول الله سبحانه وتعالى في ذلك **﴿يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾**[1]، **﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾**[2].

والوصية عامة، وإن كان مضمون الآية فيما بعد عن الإرث، **﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾**[3]، **﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾**[4]، **﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم﴾**[5]، والفتنة تقتضي الاهتمام والمسؤولية لنيل الأجر العظيم.

فضلاً عن النصوص التي وردت في معرض الحديث عن حضانة

= على الأطفال، وكذلك كتاب: الإعلام المرئي الموجه للطفل العربي: د/ عاطف عدلي العبد، وكتاب: بصمات على ولدي: تأليف طيبة اليحيى، وفيه تركيز على الآثار السلبية التي تنعكس على الأطفال من مشاهدة التلفزيون.

(١) سورة التحريم: الآية ٦.

(٢) سورة النساء: الآية ١١٠.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥١.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٣.

(٥) سورة التغابن: الآية ١٥.

الطفل والعطف عليه وكفالته، وتأديبه وتعليمه، والحفاظ على حياته وأمواله[1].

يقول الرسول صلوات الله عليه وسلامه في ذلك أحاديث كثيرة منها:

«ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..» إلى آخر الحديث، «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»[2]، «ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن»[3]. «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه «كهاتين» «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كنّ له ستراً من النار»[4].

والهدف التربوي يعني أمرين مهمين: البناء، والحماية:

البناء للنفس الصغيرة، وتعهد الفطرة البريئة على أسس إسلامية صحيحة تتلاءم مع ركائز هذه النفس، ليصبح الطفل بفضل هذه التربية عبداً لله عز وجل صالحاً طائعاً يرتقي ليتشرف بهذه النسبة فيتحرر من العبودية لأي شيء سوى الله عز وجل، ويحمل الأمانة، ويتحمل المسؤولية، ويقوم بواجبه خير قيام، وينال كل حقوقه التي يحرص عليها المسلم، ويمنحها بالمحبة والتراحم، والعطف.

والحماية لهذه الفطرة البريئة من الانحراف والعبث والأخطار التي تحيط بها: من مغريات ومفاسد وانحرافات وأهواء وضلالات فكرية وسلوكية.

---

(١) انظر: جامع أحكام الصغار: للأسروشي: تحقيق عبد الحميد عبد الخالق البيزلي/ ١ ـ ١٠.

(٢) رواه ابن ماجه ٢/ ١٢١١ عن أنس.

(٣) رواه الترمذي والحاكم في المستدرك وقال السيوطي: إنه صحيح. انظر فيض القدير ٥/ ٥٠٣. عن جامع أحكام الصغار (١ ـ ١٢).

(٤) البخاري ومسلم.

خطب رسول الله ﷺ فقال في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مالٍ نحلته عبداً حلال[1]، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم[2] وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[3] عن دينهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللْتُ لهم، وأمرَتْهم أن يُشركوا بي ما لم أُنزِلْ به سلطاناً...»[4].

وأما في الجانب البنائي فيمكن أن نذكر أموراً مهمة في هذا الجانب:

١ ـ تكوين العقيدة وتثبيتها في نفس الطفل شيئاً فشيئاً، وقد تحدثت عن ذلك في الصفحات السابقة.

٢ ـ الحرص على غرس شعور المحبة للآخرين والتعاون معهم، والخضوع للحق في كل علاقاته وتصرفاته.

٣ ـ الحرص على تكوين الشخصية الواعية المتفتحة المتوازنة التي تبعد عن الغلو والشطط والتعصب، والانفعالات العاطفية الشديدة.

٤ ـ تربية الجانب العملي، وغرس حب العمل والإنتاج، مع الحرص

---

(١) أي قال الله تعالى ـ وفي هذا الكلام حذف ـ كل مال نحلته: أعطيته عبداً من عبادي فهو له حلال، والمراد إنكار ما حرموا على أنفسهم، أو حرمه عليهم الناس، وأن ذلك لم يصر حراماً بتحريمهم (انظر صحيح مسلم/ ٤ ـ ٢١٩٧) تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله ـ دار الفكر بيروت.

(٢) أي مسلمين، مستقيمين منيبين لقبول الهداية، (المصدر السابق، وشرح النووي لصحيح مسلم أيضاً).

(٣) أي استخفُّوهم فذهبوا بهم، وأزالوهم عما كانوا عليه من الهدى وجالوا معهم في الباطل.

(٤) رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها /٦٣/ من عدة روايات. ولقد فصل كتاب: تربية الأولاد في الإسلام للشيخ عبد الله علوان رحمه الله، جزءان، في قضايا التربية الاجتماعية للطفل ولا سيما ما بين (٣٥٩ ـ ٤٩٨) من الجزء الأول ثم في قضايا التربية الجنسية وغيرها، ط / ٣، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

على النظام والترتيب، وعلى الإتقان والإحسان مع ربط ذلك بالخوف من الله عز وجل ومحبة رضائه.

٥ ـ تفتيق ذهنه ومواهبه لاكتشاف ما حوله، وتنمية إحساسه للبحث والتجربة.

٦ ـ إشباع حب الاستطلاع عنده، وتوجيه ذلك لتحقيق الآمال المفيدة، ودفعه للطموح والجد والاكتشاف.

٧ ـ غرس المحبة والإحترام والمودة للوالدين، وتحقيق معاني الطاعة والسكينة لهما.

٨ ـ غرس محبة الأخوة، وحب التعاون معهم، والتضحية من أجلهم، والشعور بالرباط الأسري، مع محبة ذوي الأرحام، والحرص على صلتهم، ومحبة الناس جميعاً، ومبادلتهم شعور المودة والاحترام[1].

وترسيخ الروابط الإسلامية التي حرص عليها الإسلام مثل: كون المجتمع المسلم كما وصفه رسول الله ﷺ كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ولا يكون ذلك إلا بالروابط الإسلامية وحب الإخوة ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠].

والمساواة بين الأفراد: الغني والفقير، وأن ميزان التفاضل بالعمل والتقوى «إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم» (رواه أحمد وأبو داود).

والحب والبغض في الله «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان» (أبو داود).

---

(١) وحدة لتنمية الشعور الديني عند الأطفال/ ٦١، ودور الأم في تربية الطفل المسلم/ ٨ ومنهج التربية النبوية للطفل / ٧٧، وتحفة المودود/ ١٥ والطفل المثالي في الإسلام/ ٢١.

ومنزلة المتحابين عظيمة «على منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء، ويناديهم رب العزة والجلال: أين المتحابون فيّ»[1].

وحسن الخلق، والصبر، ومحبة الآخرين، وعدم الثرثرة أو التكبر، واحترام الكبار ورحمة الصغار، وإنزال الناس منازلهم ومعرفة حقوق الآخرين كالجار، ومحاربة الآفات الاجتماعية، والغيبة والكذب[2].

وهناك وسائل كثيرة لتحقيق كل ما سبق، ويمكن الرجوع إلى كتب التربية في ذلك.

أما أدب الطفل فإنه من أهم الوسائل التي تسهم في عملية البناء التربوي، والحماية من الأخطار التي تهدم التربية وتفسد الفطرة السليمة.

وكما فعل أصحاب المذاهب العلمانية في هدم القيم، وتخريب الذمم، وإفساد الفطر عن طريق الأدب بخاصة، والفنون بعامة، فكذلك على الأدباء الإسلاميين النهوض بمسؤولياتهم لتصحيح ما أفسدوه وخربوه، وليبنوا أدباً حرّاً من ضغوط الواقع أو عقدة النقص.

أدباً يتوجهون به إلى فِطَرِ الأطفال السليمة أولاً لكي تنشأ أسس قويمة، وتتغذى بالكلمة الطيبة والقدوة الصالحة.

ويتوجهون به إلى من جرفتهم تيارات المادية والانحراف لمساعدتهم على رؤية الحق، وتبين الفساد والعودة إلى الاستقامة.

وإذا كان المسلم جوّاب آفاق، يرى الدنيا كلها آفاقاً يمكن ارتيادها، يذهب شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ليلتمس الحق والحكمة.. إذا كان كذلك، فإنه ـ أيضاً ـ يحمل رسالة للإنسانية؛ رسالة ناءت عن حملها

---

(1) انظر: قواعد البناء في المجتمع الإسلامي: للدكتور محمد السيد الوكيل/ ١١٦ ـ ١٢٦، دار الوفاء ط ١٤٠٧ هـ.

(2) انظر: قواعد البناء في المجتمع الإسلامي: للدكتور محمد السيد الوكيل/ ١١٦ ـ ١٢٦، دار الوفاء ط ١٤٠٧ هـ.

السمٰوات والأرض والجبال، ويعرف ثقل الأمانة المنوطة به، ويجوب هذه الآفاق وهو يعرف دينه حق المعرفة ويتبصر الهدى من الضلال ويميز الخبيث من الطيب، يعرف دينه معرفة الواثق البصير، لا معرفة من يلتقط الفتات من هنا وهناك، ويجمع الشتات المتناقض ويدّعي المعرفة.

فإذا استوثق من ذلك، وأصبح تصوره واضحاً، ويقينه ثابتاً، جاب الآفاق، ونظر إلى الأمور نظرة الخبير المتمكن، القدير على كشف السيء من الحسن، فلا يغشّه غاش، ولا يخدعه ضوء ولا بريق ولا رائحة. وبذلك يعرف كيف يختار وماذا يختار.

أما إن لم يكن كذلك، فإن كثيراً من الضلالات والانحرافات، والأفكار والتصورات ستدخل إلى نفسه وإلى تصوره باسم الفن والأدب وفتح النوافذ على الآخرين، والتماس الحكمة التي هي ضالة المؤمن.

ولما كانت التربية لا تنفصل عن العقيدة، ولا تنفصل عن تنظيمات المجتمع أيضاً، لذا من المهم أن يتفهم الأديب المسلم عقيدته أولاً، وأن يعرف ثانياً خصائص المجتمع المسلم ومميزاته وأخلاقه وحدوده، لتحديد متطلباته من الناحية التربوية التي تعد تشكيلاً لدوافع الأفراد.

وكذلك لا بد له من فهم مراحل نمو الطفل، وخصائص كل مرحلة من هذه المراحل لتحديد ما يناسبها، ولاختيار الأسلوب الذي يصلح لتحقيق الأهداف التربوية الملائمة لها.

وفي هذا الخصوص ينبغي ألا نأخذ تقسيمات الغربيين لمراحل الطفولة بالقبول والتسليم، ولا نعتمد على وصفهم لكل مرحلة من هذه المراحل، أو تخطيطهم لما ينبغي أن يقدم له في كل مرحلة.

بل أصبح مهماً أن نراجع ذلك على أسس إسلامية في نظرتها للنفس الإنسانية عموماً، ونفس الطفل خاصة ليكون الأديب على بصيرة مما ينبغي أن يقوله للصغار، وفق أسس موضوعية تناسب مراحلهم المختلفة، وتحقق أهداف التربية الإسلامية.

وإذا كان مهماً أيضاً أن نستفيد من كل الدراسات التي تصب في هذا الجانب أو غيره من النفس الإنسانية، ومناهج التربية المختلفة؛ إلا أن ذلك يحتاج إلى زاد من التأصيل يمنع عنا حالة التبعية والانسياق وراء ما يأتي من الغرب دون معرفة. ولعل أكثر هذه الحالات شائع عند المتخصصين الذين لم يعرفوا في هذا العلم إلا ما كُتب أو تُرجم عن الغربيين، وأصبح متعذراً عليهم ـ وقد بُنيت في نفوسهم رؤى وأفكار وآراء ـ أن يتخلوا عنها، لأن ذلك مرتبط بحالة نفسية، ومركز اجتماعي، وشهادات يفتخرون بألقابها، وما لم نتحرر من إسار ذلك كله لا يمكن أن نتبين المنهج الصحيح في استفادتنا من كل الثقافات والشعوب، مع المحافظة على الأساس الذي يمنحنا وجودنا وهويتنا وصبغتنا الإسلامية.

وأقتطف هنا عبارة للكاتب المشهور في أدب الطفل «عبد التواب يوسف» عن ذلك حيث يقول:

«إن الاتصال بالغرب قد أحدث الانفصال بيننا وبين أنفسنا، وبيننا وبين بعضنا البعض في الدول النامية، وإن كتب الغرب وبرامجه رسخت في أبنائنا قيماً غريبة عن أوطاننا».

ويتابع ذلك قائلاً: «لسنا في حاجة إلى القول بأن هذا كله ـ أي الغزو الثقافي أو الفكري، واستخدام المعلومات لإشادة مراكز داخل حدود الدول النامية تابعة للدول صاحبة النفوذ وصاحبة هذه البرامج لتمارس نفوذها على هذه الدول ـ لسنا في حاجة إلى القول بأن هذا كله ينطبق على كتب الأطفال وبرامجهم، بل إن هناك تركيزاً على الأطفال تمهيداً للسيطرة عليهم مستقبلاً. والتخطيط يتم لهذا في دقة؛ في مجلات الأطفال وكتبهم تتدفق مطبوعات «ميكي» و «تان تان» وغيرها لتسد الطريق على الإنتاج المحلي، وفي الوقت نفسه تسهم في أمركة الأجيال»[1].

---

(١) كتب الأطفال في عالمنا المعاصر: عبد التواب يوسف/ ١٩، ٢٠.

ويدرك هذا الكاتب ظاهرة مهمة تُحارَب فيها آدابُنا، ومنها أدب الأطفال حين يتجه إلى تأصيل التربية الإسلامية وبثها في هذا الأدب، فينعتون هذا الاتجاه بشتى النعوت التي تدل على تخلفه وعجزه، بل يخرجونه من الأدب أحياناً، ويقولون إنه أدب موعظة وحكمة، وكأن الموعظة والحكمة أسلوبٌ يتنافى مع العقل، أو يتعارض مع الخلق، أو لا يتناسب مع الفطرة البشرية ولا يتفق مع الجمال، وقد ينساق وراءهم كثير من المسلمين، بنية حسنة، أو بقصد سيىء في بعض الأحيان، متناسين أن ذلك أسلوب قرآني جميل، وسبيل من سبل التربية المؤثرة.

والموعظة كغيرها من السبل ينبغي استعمالها بحكمة وقدر مناسب، وإلا فقدت التأثير والفاعلية، مثلها مثل الطعام والدواء وكل أمر نافع إذا زاد عن حده أصبح ضاراً، ولذلك يرى هذا الأديب أن هذه السمة ـ أي الوعظ ـ من سمات المجتمعات الإسلامية. «والأفضل أن يحاولوا تقييمه على هذا الأساس، لأن استخدام مقاييس النقد الغربية لن يوصلهم لشيء»[١].

ومن يتتبع القصص والكتب الخاصة بالأطفال التي ترجمت من الآداب الغربية، ويخضعها للتحليل الموضوعي يلمس آثار الأفكار الغربية، وفلسفاتهم وقيمهم وتقاليدهم مبثوثة في هذه الكتب، بل يلمس كثيراً من الأساليب التي لا توافق سن الطفل، ولا تتفق مع فطرته في هذه الكتب، ولكنها ـ مع ذلك ـ تنتشر ويروَّج لها، لأنها من الغرب، ويُصَدُّ عن غيرها لأسباب أقل من هذه لأنها إسلامية! مثال ذلك: الإسراف في الخيال بدون هدف محدد، وبأسلوب غير محدد ولا مقبول[٢] يتعارض مع العقل والمنطق والواقع.

---

(١) المصدر السابق/ ٣٦.

(٢) قصة البستان العجيب، من سلسلة (ليديبرد).

وكذلك هناك حشد كبير من المعاني والقيم، والأمور الخلقية والتقاليد والعادات البعيدة عن الإسلام، والحياة العربية. فضلاً عن الخيالات المريضة، والقصص المبنية على الوهم والخيال والمفاجآت المرعبة.

وأما القصص التاريخية فإنها تربط البطولة والقدوة بأسماء أجنبية ومواقف بعيدة عن تاريخنا، وتصور سماتهم وأعمالهم للنشء بأنها الأسوة الحسنة[1].

من هذا كله ندرك أهمية هذا الأدب من الجانب التربوي، إنه يستطيع أن يزود الطفل بالقيم الثابتة: بالتصوير، والرسم؛ ليرى الطفل واقعاً إسلامياً، وصورة إسلامية، ويرى في ذلك القدوة الحسنة. في صورة الأبوين، وصورة الأسرة المسلمة التي يشيع فيها الحب والوئام، وتظللها الآداب الإسلامية، ويسري في حناياها روح الإيمان؛ لأن طفل اليوم أصبح وسط مؤثرات كثيرة ومتضاربة: البيت، والمدرسة، ووسائل الإعلام، والطريق، والنادي، والأصدقاء والمجتمع بكل ما فيه من تناقضات ومغريات وأصوات وألوان وأضواء. وكلها تشده إلى جهاتها. والطفل موضع نزاع بين هذه المؤثرات لانعدام الانسجام، والتخطيط والتوافق في مجتمعاتنا.

وأدب الطفل يسهم إلى حد كبير في تحقيق صورة من صور الانسجام والتوازن للطفل إذا نجح في رسم الصور المؤثرة الصحيحة.

---

(١) انظر: بحث: في أدب الأطفال، تحليل ودراسة لنماذج من كتب وقصص الأطفال: محمد ديب أبو عابد، منار الإسلام العدد الثاني السنة الرابعة عشرة أيلول سبتمبر/ ١٩٨٨ م، صفر/ ١٤٠٩ هـ ص ١٠٦ ـ ١١١.
ويتناول الكاتب بالتحليل عدداً من القصص المترجمة من سلسلة (ليديبرد) ويستخلص بأنها تحاول إبراز القيم والعادات الغربية، مع إساءات كثيرة لقيمنا وتاريخنا، ومما يؤسف له أن بعض وزارات التربية والمعارف في الدول العربية قد تبنت هذه الكتب ونشرتها بين أطفال المدارس.

ويسهم إلى حد كبير في التربية التي أصبحت من أشق الأمور وأصعبها ومن أهم المسؤوليات وأخطرها، ليس على الأبوين أو المدرسة فحسب، بل على كل فرد في المجتمع، والأدباء في طليعة الذين يتحملون المسؤولية في هذا الجانب.

ومن هنا يرتسم الهدف التربوي لهذا الأدب.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف لا بد من معرفة مراحل النمو المختلفة كما قلنا لتحديد المناسب لكل مرحلة من هذه المراحل وفق خصائصها وسماتها.

وإذا أردنا لأدب الأطفال أن يعطي ما يُنتظر منه في مجال التربية، ينبغي أن يتوافر له التوافق مع مطالب النمو في المضمون والشكل والأسلوب[1].

وبهذا يحقق أهم أهدافه، لأنه أصبح أداة تربوية تثقيفية، وله أثر فعال في تكوين شخصية أطفالنا «ولذا ينبغي ألا يترك مشاعاً للترجمات الرخيصة، والاقتباس الرديء، والسعي وراء الربح السريع»، وينبغي ألا نتذرع بتعطش الأطفال إلى المعرفة، فنطلق لهم حرية القراءة.

ويمكن أن نحدد مراحل النمو بما يلي:

١ ـ مرحلة ما قبل الميلاد.

٢ ـ مرحلة المهد.

٣ ـ مرحلة الطفولة المبكرة (قبل المدرسة ٣ ـ ٦ سنوات).

٤ ـ مرحلة الطفولة الوسطى ٦ ـ ٨ سنوات (المدرسة الابتدائية).

٥ ـ مرحلة الطفولة المتأخرة ٨ ـ ١٢ سنوات (المدرسة الابتدائية وبداية المتوسطة).

---

(١) الاتجاهات الجديدة في ثقافة الأطفال، النادي الثقافي العربي، بحث: أدب الأطفال ومراحل النمو: للكاتبة صبيحة فارس/ ٧٩.

٦ ـ مرحلة المراهقة ١٢ ـ ١٨.

٧ ـ مرحلة الرشد[١].

وفي المرحلتين المبكرتين الثانية والثالثة لا يكون لأدب الأطفال صلة مباشرة أو قوية[٢]؛ إلا ما كان من الأغاني وبعض القصص المحسوسة، التي ترافقها الصور والألوان؛ وأما في مرحلة الطفولة المتوسطة فيمكن تقديم ألوان جديدة هادفة للطفل، لأنه يتمكن من استخدام حواسه لاختبار البيئة المحيطة به، ويتأثر بهذه البيئة: كالأسرة والمدرسة وما فيهما من مؤثرات مختلفة، وهنا ندرك أهمية الرائي وتأثيره المباشر على الأطفال.

وفي المراحل الأخرى يصبح أكثر قدرة على الفهم، والتفكير، والتخيل، وتزداد صلته بالمجتمع. ومن هنا يدرك الأديب أهمية التفكير فيما يكتب للأطفال في هذه المرحلة، وكيف يكتب[٣].

● ● ●

---

(١) المصدر السابق/ ٨٠، وأدب الأطفال: محمد محمود رضوان، وأحمد نجيب/ ٧١.

(٢) وإن كان بعضهم يرى أن الطفل يبدأ بسماع القصة من سن الثانية من عمره (في أدب الأطفال) للحديدي/ ٨١، وأدب الأطفال: محمد محمود رضوان.

(٣) إن الحديث عن مراحل النمو، وما يلائمها من أفكار وصور وألوان وثقافات يحتاج إلى بحث طويل، وأرجو الله عز وجل أن يتيح لي ولغيري البحث في ذلك على أسس إسلامية موضوعية، وانظر (القيم التربوية في ثقافة الطفل) الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ١٩٨٥ م/ ٣٩ وما بعدها.

ثالثاً: الأهداف التعليمية

هذا الهدف مكمل للهدفين السابقين، ويعده المختصون بالتربية جزءاً من التربية، وليس منفصلاً عنها، ولكن إفراده يدل على أهمية الأمور التي يمكن أن يتناولها هذا الهدف، ويبين الجانب التعليمي المهم في أدب الطفل. فتعليم الطفل قراءة القرآن مثلاً له جانبان: جانب عقيدي وتربوي، وجانب تعليمي.

- الجانب الأول يتعلق بفهم العقيدة وترسيخها، والتمسك بكتاب الله، والتخلق بأخلاق القرآن الكريم.

- والجانب التعليمي يتعلق بقراءة القرآن ذاته، وتجويده، واكتساب مهارة القراءة عموماً؛ بحيث تصبح هذه المهارة وسيلة للفهم، والثقافة و...

- ولذلك فإن من أهم الأهداف التعليمية لأدب الأطفال تنمية مهارات القراءة والكتابة عندهم، وتزويدهم بثروة لغوية فصيحة تزيد من ثروتهم وخبراتهم الخاصة، وتنمو هذه الثروة والخبرات مع نمو أعمارهم ومراحلهم وقراءاتهم. ولذلك فإن الأديب يحتاج إلى فهم القاموس اللغوي للأطفال في كل مرحلة من مراحلهم، ليكون استخدامه للألفاظ مناسباً ومفهوماً[1] وبالتالي للترقي بالمحصول اللغوي من حيث الزيادة

---

(١) أصدرت المنظمة العربية للثقافة والعلوم كتاب: الرصيد اللغوي للأطفال في مرحلة الدراسة الابتدائية، وهو قائم على دراسة ميدانية لحصر الألفاظ المستخدمة في أرجاء الوطن العربي، وانظر: أدب الأطفال: هادي نعمان الهيتي/ ٩٤.

والتنويع[1].

- وكذلك يهدف أدب الأطفال إلى الارتقاء بأساليب التعبير للأطفال عن طريق استخدام شتى الأساليب المناسبة، كالأسئلة والحوار، وأسلوب التعجب. . إلخ[2] وتساعد قراءة القرآن على ذلك وللقصة والمسرحية تأثير في تحقيق هذا الهدف أيضاً.

- وكذلك يهدف أدب الأطفال إلى تقويم ألسنة الأطفال وكتاباتهم عن طريق تدريب سلائقهم على الضبط اللغوي، وسلامة النطق، وحسن الأداء المعبِّر عن المعنى والموافق للفكرة، والمعين على إيصال المعنى للسامع بشكل فعّال.

- وكذلك يهدف إلى تعويد الأطفال استخدام المجاز والاستعارة والانتقال من المحسوس إلى المعنوي.

- ولتحقيق هذه الأهداف لا بد من استخدام أسلوب يلائم سن الطفل، وقدراته، وقاموسه اللغوي، وأن يكون شيقاً جذاباً يستجيب لحاجات الأطفال الوجدانية والفكرية[3].

- وفي كل هذا، من المهم الحرص على الفصحى في مخاطبة الأطفال والكتابة لهم، بطريقة ملائمة بعيدة عن الافتعال والصعب والمعقَّد من التراكيب[4]. ولكن ذلك لا يعني - كما يفهم بعضهم - البعد عن كل لفظ قديم، وبالتالي الغرق في الألفاظ الجديدة، والتراكيب المستحدثة. فهذا خطر على مستقبل الأطفال، لأنه سيؤدي إلى نفورهم من التراث، ويبعدهم عن كل قديم. ولعل كثيراً من دعاة التطور والحداثة يريدون ذلك

---

(1) أدب الأطفال في ضوء الإسلام: د/ نجيب الكيلاني/ ١٤٤.
(2) أدب الأطفال: محمد محمود رضوان وزميله/ ٥٠ - ٥٣.
(3) ثقافة الطفل العربي: جمال أبو رية - دار المعارف/ ٦٠.
(4) المصدر السابق، وأدب الأطفال: هادي نعمان الهيتي/ ٩٤، في أدب الأطفال: د/ الحديدي/ ٧١ وما بعدها.

من وراء دعواتهم، لكي تصبح أذواق الناشئة تعاف أن تصبر على قراءة آية قرآنية أو حديث شريف، أو كل نص من غير القرن الأخير وتنفر من كل قديم. ولذلك فإن أدب الأطفال يمكن أن يشكل جسراً بين واقع الطفل ومستقبله من جهة، وبين تاريخه وأصوله من جهة أخرى، عن طريق اختيار الموضوعات من ناحية، واختيار الأسلوب المناسب، مع التدرج في هذا الأسلوب من السهل إلى الصعب ـ بالنسبة للطفل ـ ومن المألوف إلى غير المألوف، ومن الحديث إلى القديم وهكذا.

ـ ومن أهداف أدب الطفل التعليمية تزويده بألوان متعددة من الثقافة بمعناها الشامل «وهي مجموعة العوامل المشتركة بين أفراد المجتمع، التي تمثل العقيدة والقيم والعادات والتقاليد وطرق السلوك التي يتميز بها مجتمع معين عن غيره»[1].

ـ وهذه الثقافة تشمل أموراً كثيرة مثل «تقديم المعلومات العامة والحقائق المختلفة عن الحياة والمجتمع في بيئة الطفل وغيرها من البيئات، وتقديم المضمون العلمي والأفكار المقتبسة من العلوم المختلفة، وتقديم المضمون التعليمي الذي يستمد مادته من المناهج المدرسية[2] مع تحقيق النمو اللغوي للأطفال، والتدرب على طلاقة اللسان والإلقاء الجيد، وحسن مخاطبة الآخرين، وتعوُّد الشجاعة الأدبية، ومواجهة الناس والمجتمع[3].

---

(١) تثقيف الطفل: د/ فاروق عبد الحميد اللقاني، منشأة المعارف/ ٣، والقيم التربوية في ثقافة الطفل، فصل قصص الأطفال والقيم التربوية في ثقافة الطفل/ ٨٦.

وانظر كتاب: مشكلة الثقافة: للأستاذ مالك بن نبي رحمه الله ففيه تحليل جيد لمفهوم الثقافة.

(٢) فن الكتابة للأطفال: أحمد نجيب/ ١٧٥، وأدب الأطفال ومكتباتهم/ ٤٧، والقيم التربوية في ثقافة الطفل/ ٩١.

(٣) المصدر السابق/ ٩١.

ـ ويهدف أدب الطفل إلى تنشيط تفكير الأطفال في مجالات كثيرة: كالتذكر، والتخيل، وتركيز الانتباه، والربط بين الحوادث، وفهم الأفكار والحكم على الأمور، وحسن التعليل والاستنتاج، وبالاختصار: فإنه يساعد على النمو الفكري للأطفال، ويعلمهم أنماطاً من التصرف السليم في المواقف المختلفة، وإزاء المشكلات التي تعترضهم[1].

ـ فضلاً عن هذا كله فإن أدب الطفل يساعد على بناء شخصيات الأطفال وتكوين المعايير والقيم والعادات والاتجاهات الصحيحة عندهم، وتقوية جانب الإرادة، وتحقيق كثير من المزايا التي يكتبها عن طريق التأثير بما يقرأ، والتمثل بما يفهم من هذا الأدب.

ـ وأدب الأطفال يعين على اكتشاف الهوايات والحصول على المهارات الجديدة، ويعمل على تنمية الاهتمامات الشخصية عند الطفل[2].

ـ وهكذا فإن أدب الطفل أداة تعليمية وتربوية، يواكب المناهج الدراسية، بل يرتقي بالطفل إلى مستويات أفضل، لأنه يخاطب وجدانه وعقله، وينطلق بخياله إلى آفاق المستقبل، ويزوِّده بمعلومات ومهارات وخبرات كثيرة ومتنوعة، ويفتح له طرق الاستمتاع بتحقيق مواهبه، وتنمية قدراته الخاصة. وهنا ندرك مسؤولية الأديب الذي يكتب للأطفال، ومهمته في تحقيق كثير من هذه الأهداف بطريقة تلائم الطفل وتمتعه، وتحقق له الغاية المنشودة من القراءة، وهذا يتطلب فهم الطفل، وفهم البيئة، وفهم الفن في وقت معاً، وهي عملية شاقة ـ ولا ريب ـ ولكنها المسؤولية التي أنيطت بالكاتب، والأمانة التي عليه المحافظة عليها.

● ● ●

---

(١) المصدر السابق/ ٩٣، وأدب الأطفال ومكتباتهم/ ٤٧، وأدب الأطفال: هادي نعمان الهيتي/ ٩٠.

(٢) المصدر السابق/ ٤٨، وأدب الأطفال: هادي نعمان الهيتي/ ٨٩.

رابعاً: الهدف الجمالي

هذا الهدف مكمل لبقية الأهداف السابقة، ولكنه ينفرد بنواح مهمة في توجيه شخصية الطفل المسلم، وتشكيل سمته.

والإسلام له مفهومه الخاص عن الجمال، هذا المفهوم الذي ينبثق من مفهوم الإحسان في كل عمل، ومن منطلق «إن الله جميل يحب الجمال»[1].

والإسلام يعتني بالمظهر كما يعتني بالجوهر والحقائق، ويلتمس نظافة الوسيلة وجمالها، كما يلتمس سلامة الغاية والهدف وجمالهما.

ولكن مفهوم الجمال في الإسلام يختلف عن مفهومه عند الآخرين، لأنه يرتبط بالحق ومنهج الله عز وجل، والوصول إلى مرضاته، ويرتبط بأداء الواجب وتحقيق التناسق والتلاؤم مع سنن الكون ونواميس الحياة، ولذا فإن الفساد والشر والمعصية والباطل، إلى جانب كونها من المحرمات، هي من الأمور القبيحة لأنها تتصادم مع الحق، وتتعارض مع منهج الحياة وفطرة الإنسانية.

فالجمال ليس بالمظهر، والزينة، ومقاييس الجمال التي تلازم العري والتكشف، وإبداء المفاتن.

---

(١) جزء من حديث، وجاء في عدة روايات منها عند مسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس» وهناك رواية أخرى للحديث في مسند الإمام أحمد.

الجمال إحسان، وانسجام، واطمئنان.

الجمال اتزان في الفطرة الإنسانية، وانسجام مع نواميس الكون، وإحسان في أداء الأعمال، وسمو في اختيار الأشياء.

وعلينا أن نتخلى عن النظرة الغربية للجمال، التي ربطوها ببعض الفنون كالرسم، والنحت والتصوير، والرقص...

وحصروها في المادة، والمظاهر الإنسانية بعيداً عن الجوهر، والروح، والسلوك.

لا شيء - في إحساس المسلم - جميل إن كان مخالفاً لشريعة الله، بل هو القبح والسوء. ولا شيء عند المسلم يقرب من الجمال ما دام يتعارض مع سنن الكون وفطرة الإنسان السليمة.

ولهذا من المهم جداً أن نغرس في نفوس الأطفال المفاهيم الإسلامية في الجمال - والصور الجميلة التي عرضها كتاب الله عز وجل مقترنة بالدلالات الإيمانية، أو صور الحقيقة الساطعة، أو توجهات الخير والهدى.

بل من الأهم أيضاً أن نبعد الأطفال عن الصور الشائنة لجماليات الحياة الغربية المرتبطة بالفنون، والنجوم، وشتى الصور المنحرفة، حتى لا تغدو الشخصيات المرتبطة بهذه الفنون قدوة، وأمثلة تحتذى من قبل الجيل.

إن الإنسان المهتدي بشرع الله، الملتزم بأوامر الله عز وجل، القائم بما عليه من واجبات، المحسن في سلوكه، اليقظ في إحساسه نحو الأشياء، المقدر لمسؤوليته في الحياة.

إن الإنسان المتّصف بما سبق هو القدوة، وهو الذي يمثل قيم الجمال في السلوك الإنساني.

وإن النظر بمنظار الإيمان للأشياء هو الذي يحدد الصفات الجميلة لهذه الأشياء. الصفات التي لا تخرج عن نطاق المنهج الرباني المتكامل في الحياة.

● ● ●

وأستعير في هذا المقام العبارات التي صورت ظاهرة الجمال للأستاذ صالح الشامي لأنها موجزة ودقيقة حيث يقول عن التصور الكلي للظاهرة الجمالية في الإسلام[١]:

- «الجمال حقيقة ثابتة في كيان هذا الوجود.
- وهو (قيمة) من القيم العليا، تعلو على (المنفعة) و (اللذة).
- وهو سمة بارزة في الصنعة الإلهٰية.
- وإن وجوده فيها (مقصود) لا عرضي.
- وإن من خصائصه (العموم والشمول).
- وهو (الذروة) دائماً، إذ به تستكمل القضايا والأشياء.
- وإن (الطبيعة) ميدان من ميادينه.
- وإن وجوده فيما لا ينفر منها، كوجوده فيما ينفر.
- وإن (المنهج) الإلهٰي واحد من ميادينه.
- يقوم الجمال في مادته وفي أسلوبه.

---

(١) ألف الأستاذ (صالح الشامي) حفظه الله كتاباً قيماً عن (الظاهرة الجمالية في الإسلام) من ثلاثة أجزاء. في الأول درس هذه الظاهرة وانتهى إلى هذه العبارات التي لخص بها ما توصل إليه، وفي الثاني بحث في (ميادين الجمال) الطبيعة، الإنسان، الفن، وفي الثالث بحث في (التربية الجمالية في الإسلام) والأجزاء الثلاثة ضمن عنوان مشترك (دراسات جمالية إسلامية) نشر المكتب الإسلامي.

ـ وسمات المنهج هي المقاييس الجمالية الثابتة.

ـ وإن تطبيق المنهج يحقق الجمال في الحياة.

ـ وإن (الإنسان) واحد من ميادينه.

ـ يعم الجمال ظاهره وباطنه.

فهو في ظاهره حقيقة ووجود. وهو في باطنه فطرة واستعداد.

ـ والإنسان مدعو إلى تطبيق المنهج لكي يحقق الجمال في كيانه النفسي وفي سلوكه وفي إنتاجه، و (الفن) بعض إنتاجه.

ـ والظاهرة الجمالية لا تستمد وجودها من الفلسفة، وإنما من المنهج الإلٰهي.

ـ ولذا كان التصور الكلي ـ المسبق ـ لهذا المنهج ضرورة لازمة إذا أردنا الوقوف على تصور كلي للظاهرة الجمالية، ذلك أن التصور الثاني في مقام الظل من التصور الأول»[1].

وأدب الطفل من أهدافه الكبيرة التربية، والتربية عملية تقويم وتوجيه لسلوك الإنسان لتطبيق منهج الله عز وجل[2]، أو لتحقيق معنى العبودية لله عز وجل في حياة الإنسان على مستوى الفرد والجماعة والإنسانية[3].

وهذه التربية عملية شاملة تسهم في تحقيقها مؤسسات كثيرة، ابتداء من البيت، وانتهاء بالمجتمع الإنساني الكبير.

والتربية الجمالية التي أفردنا لها هذا الفصل جزء هام من التربية الشاملة التي ينبغي أن توجه للأطفال، لأن الجمال سمة هذا الدين، وسمة المنهج الإلهي، وبالتالي ينبغي أن يكون سمة للآداب الإسلامية جميعاً،

---

(١) الظاهرة الجمالية في الإسلام/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٢) التربية الجمالية في الإسلام/ ١٢.

(٣) مدخل التربية في ضوء الإسلام: للأستاذ عبد الرحمن الباني/ ٦٩.

الآداب الموجهة للكبار، أو الموجهة للصغار.

ومفهوم التربية الجمالية في الإسلام هو حصيلة لقاء بين التربية وعلم الجمال[1].

والتربية الجمالية للطفل المسلم ليست منفصلة عن التربية الإسلامية الشاملة، بل هي جزء منها، وسمة من سماتها، وخاصة من خصائصها، لأن الجمال ـ في الأصل ـ لا يقوم بنفسه، وإنما يقوم بغيره، وعلى هذا فكل تربية إسلامية هي تربية جمالية[2]، وغاية هذه التربية تحقيق المنهج الإسلامي.

وكما رأينا في الصفحات السابقة، فإن من خصائص الجمال في الإسلام، العموم والشمول، ولذا فالتربية الجمالية تتناول جميع المسلمين، ولكل مراحل العمر تصبغ نفس الإنسان بصبغتها، وتجَمِّل جميع نشاطاته، ولا تقتصر على جانب واحد بل تستغرق كل جوانب الحياة الإنسانية.

وكل التوجيهات والأوامر الإسلامية تؤكد على تحقيق الجمال للوصول إلى الإتقان «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[3]، بل إن الإحسان أرقى مرتبة من مراتب العمل والإتقان والجمال. ولذلك يطلب المنهج الإسلامي من المسلم الإحسان في كل شيء حتى في الذبح وأبسط الأعمال[4].

وإذا حرص الإسلام على قيمة الجمال في كل شيء، ولا سيما في عمل الإنسان ونشاطه، فلأنه قائم في فطرته ذاتها أنه يحب الجمال؛ فإذا التزم المسلم بِسِمَةِ الجمال، فإنه ينسجم مع المنهج الشامل، ويسير مع

---

(١) التربية الجمالية في الإسلام/ ١٩.

(٢) المصدر السابق/ ٢٠.

(٣) الجامع الصغير وقال عنه: حديث حسن. انظر المصدر السابق/ ٢٨.

(٤) قبسات من الرسول: للأستاذ محمد قطب، فصل: وليرح ذبيحته، وفيه كلام جميل عن هذا المعنى.

التزامه بالإسلام كله[1].

والميادين التي يظهر فيها الجمال كثيرة: بعضها ميادين ظاهرة، وبعضها ميادين غير ظاهرة، منها ما يتعلق بجماليات المظهر من جسم ولباس وهيئة وكلام.

ومنها ما يتعلق بجماليات الباطن كالفكر والعلم والأخلاق[2].

وأدب الطفل له إسهامات كثيرة في الجانب الجمالي، بل إن هذا الهدف مهم جداً في هذا الجانب لأنه جزء من التربية، وطريقٌ لتصعيد الصور المختلفة إلى أرقى مستوياتها عند الطفل.

وإذا كان هذا الهدف واضحاً عند الكاتب استطاع أن يسهم في تكوين صور مترابطة متكاملة من صور الجمال، وصور الإتقان وصور الإحسان عند الطفل، واستطاع أن ينقل الطفل إلى سلوك يتسم بهذه الخاصية المهمة، حتى تبدو في مأكله ومشربه، وملبسه، وهيئته، وسلوكه، وكلامه، وتعامله مع الآخرين.

فضلاً عن فتح الآفاق أمام الطفل لكي يتملّى من مشاهد الكون، ويتوقف عند دقائق النفس فيمتلىء بشعور العرفان، والانبهار أمام عظمة الخالق، وألوان الجمال، وبدائع الإتقان، فيزداد إيمانه، ويرهف حسه، وتتسع آفاقه، وتصفو نفسه.

والطفل المسلم بحاجة لتعميق سمة الجمال في نفسه، لأنها السمة التي تنتظم فيها جميع تصرفات المسلم، ولأنها قرينة السمو والإحسان وصفة من صفات الإتقان، والطفل بحاجة أيضاً لكي ينشأ على الإحسان في كل عمل، والسعي إلى السمو نحو الأفضل والأكمل؛ لكي يمتلىء

---

(١) التربية الجمالية في الإسلام/ ٣١.
(٢) المصدر السابق.

قلبه بالإيمان، ويرهف حسه لتذوق آيات الجمال، وترقُّ طباعه لإيثار الإتقان والاستحسان، ولمعرفة الحق والالتزام به، بل إن التربية الجمالية تدفعه لإدراك الفرق بين الخير والشر، والخطأ والصواب، والحق والباطل، والإيمان والكفر، فيحب الخير والصواب والحق والإيمان، وينفر ويمقت الشر والخطأ والباطل والكفر.

وأدب الطفل أيضاً يمكنه أن يسهم في تربية الذوق الفني للطفل وينمي مواهبه في معرفة كثير من الفنون كالخطوط، والكتابة الزخرفية والتصوير الإسلامي، والعمارة الإسلامية[1].

مما سبق نستنتج أن أدب الطفل أدب ملتزم بأهداف سامية، لأنه وسيلة تربوية مهمة، ومن أهدافه الكبيرة تربية الطفل وإعداده ليكون أهلاً لتطبيق المنهج الإسلامي، وواحداً من الذين يتشرفون بحمل رسالة الإسلام للعالم، لأنها رسالة الإنسانية الكريمة، وليكون عبداً مؤمناً صالحاً، يعرف حدود عبوديته ومقتضياتها، وينهض بحقوق الأمانة وواجب المسؤولية المنوطة به.

ولا يعني هذا أن يتحول أدب الطفل إلى دروس في التربية والتعليم، وإنما يعني أن يكون الأديب واعياً لعمله، مقدراً الغايات السامية التي يهدف إليها في هذا اللون الأدبي الذي يبدعه للصغار، وحين يتحقق ذلك يستطيع أن يمضي في سبيله على بصيرة، ويحقق هدفه بنجاح وحكمة دون أن يخل بمستلزمات هذا الفن أو يخرج عن سماته المميزة له.

العلمانيون ـ على مختلف مشاربهم ـ يُسخِّرون الأدب لتسميم الأجيال وإفساد الناشئة، وتخريب الأفكار والأذواق، لإخراجها عن استقامة

---

(١) ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية: صالح الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت ط ١ سنة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

الفطرة.. ولا يرون في عملهم ذاك بأساً، فلماذا لا ينهض المسلم ليرسم منهجه في الأدب أو العلم، والتربية، مهما تعالت الصيحات المستنكرة خوفاً على الأدب والعلم والتربية، وخوفاً على قواعد الفن ودنيا الأدب، فتلك خطط أضحت معروفة ومكشوفة.

ويعترف الجميع بالطابع التربوي لأدب الأطفال، وضرورته وأهميته، كلاً وفق عقيدته ومنهجه[1]، لأنه «دخل في ميادين الصراع الفكري منذ وقت ليس بقصير، ويعد أدب الأطفال اليوم أخطر مجال للتبعية الثقافية والإعلامية، إذ يستخدمه الاستعمار لغزوه الثقافي والإعلامي ـ ويتلقى الطفل العربي المنتوجات الأدبية والفنية الغزيرة وفي شتى الفنون والوسائط بقصد التأثير على تكوين الناشئة والترويج للنمط الثقافي التابع..»[2].

وقد تزداد أهمية هذا النوع من الأدب إذا علمنا أن نسبة الأطفال في عالمنا تزداد حتى بلغت ثلث عدد السكان تقريباً. ومثل هذه النسبة تحتاج إلى بذل جهد مخلص لإعدادها الإعداد الصحيح، وأدب الأطفال له إسهاماته الكبيرة في ذلك.

وكذلك قررت بعض الدراسات للأمم المتحدة أن نسبة الإنفاق على الأطفال في مجموع الدول العربية لا يمثل أكثر من ٠,٠٣٪ مما كان يجب أن يمثل الحد الأدنى للإنفاق على مجموع الأطفال، حيث يمثل تعدادهم نسبة تقدر بـ ٤٣٪ من تعداد السكان في العالم العربي[3].

وإذا كنا قد ركزنا في الفصول السابقة على الأهداف الأساسية لهذا الأدب، فإننا لا ننسى الجانب الترويحي له أيضاً ـ وهو جانب مهم ـ يزيد في نشاط الطفل، ويساعده على تحقيق نوع من التوازن في شخصيته،

---

(١) الموقف الأدبي، العدد الممتاز عن أدب الأطفال في سورية العدد (٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ ٢١٠) تشرين الأول ١٩٨٨ م، السنة ١٨، ص ٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ثقافة الطفل العربي ـ جمال أبو رية/ ٧، سلسلة كتابك.

ويدفعه إلى مزيد من العطاء بحيوية ونشاط كبيرين.

ولهذا كله أصبح لزاماً على الأدب الإسلامي أن يهتم بأدب الطفل، اهتماماً ينبع من المسؤولية وأن يرسم منهجه بأصالة، وأن يربط بين غاياته وأساليبه دون خوف من صيحات التحذير والاستنكار التي تتصاعد كلما لاحت بارقة إسلامية.

ولكن هذا الأدب بحاجة إلى أن يخط طريقه على أسس إسلامية صحيحة واضحة، وألا يقع في أسر المخاوف والتبعية بقصد أو بغير قصد، وبدون أن يضطره الموقف إلى ردود أفعال بعيدة عن القصد والاستقامة.

وإذا كان لزاماً أن يطلع الأدباء على كل ما صدر عند الشعوب في هذا المجال، فإنه من الخطر أن يعدوا ذلك سابقة تستحق الاقتداء والاقتباس، فالمسلم يلتزم منهجه، ويأخذ كل ما يراه منسجماً مع هذا المنهج، ليس تعصباً، وإنما طاعة لله، ويقيناً بأن هذا المنهج هو الطريق المستقيم، وطريق الإنسانية التي تريد الخير، وتريد التكريم.

الفصل الرابع

السمات الأساسية
لأدب الأطفال

المحتوى والأسلوب

إن الحديث عن السمات الأساسية لأدب الأطفال يتعلق بأمرين متلازمين:

الأول: يدور حول محتوى هذا الأدب وأهدافه (المضمون).

والثاني: يتعلق بالأساليب المناسبة التي يمكن استخدامها لتحقيق الأهداف.

ولكن الأمرين متلازمان، والتفريق بينهما اقتضته الضرورة، والسمات عموماً لها ارتباط بمراحل العمر المختلفة التي يمر بها الطفل، حتى تراعى في كل مرحلة الأمور التي يتميز الطفل بها، وحتى يتناسب الأدب مع سنيّ العمر، والقدرة على الفهم، والتفاعل مع هذا الأدب، ولذا نستعرض أهم مراحل نمو الطفل وفق بعض التقسيمات التي رأيت أنها تتوافق مع الفطرة البشرية[(١)]، وقبل ذلك نستعرض بعض التقسيمات التي أوردها العلماء والباحثون لنمو الطفل.

نبدأ ذلك بالتقسيم الذي أورده ابن قيم الجوزية[(٢)] حيث ذكر أن أطوار بني آدم من وقت كونه نطفة إلى ما بعد الشباب هي: النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، ثم الجنين، ثم المولود، ثم الطفل وهو من الولادة

---

(١) اختلفت التقسيمات وتنوعت، واختلفت مسمياتها، والنظرة إليها، وكل تقسيم من هذه التقسيمات يستند إلى نظرة محددة إلى الإنسان، وقد يتعلق بفلسفة معينة.

(٢) تحفة المودود/ ١٤٥، وانظر أيضاً منهج التربية النبوية للطفل/ ٢١.

إلى البلوغ، ثم الفتية أو الغلمة وهو الطار الشارب وقبل الالتحاء، ثم الشاب.

ويرى بعضهم أن مراحل الطفولة تمر بما يلي:

من يوم الولادة إلى سن ستين: وهي مرحلة المهد.

من ٢ ـ ٦ سنوات: مرحلة الطفولة المبكرة.

من ٦ ـ ١٢ سنة: مرحلة الطفولة المتأخرة.

من ١٢ ـ ١٥ سنة: مرحلة بداية المراهقة.

من ١٥ ـ ١٨ سنة: مرحلة وسط المراهقة.

من ١٨ ـ ٢٢ سنة: مرحلة المراهقة المتأخرة(١).

وأحياناً يرتبط التقسيم بالنمو الحركي للطفل، فقبل الثانية لا يعرف الطفل أن يتحرك حركة محددة، ومن الثانية للرابعة يستطيع أن ينكت بالقلم (يشخبط)، ومن الرابعة إلى السابعة ترتبط حركته وتفكيره بالعالم الخارجي، ومن السابعة إلى العاشرة تزداد خبراته البيئية، وترتبط حركاته بهذه الخبرات، ومن العاشرة إلى الثانية عشرة يبدأ بتكوين العلاقات، أي يبدأ بالصلات الاجتماعية والعمل الجماعي، ومن الثانية عشرة إلى الرابعة عشرة يبدأ بالاقتراب من الواقع(٢).

ويعد بعضهم سن السنتين هي السن التي يبدأ فيها بسماع القصة ويبدأ اهتمامه بالأشياء. وتقسم بقية السنوات طبقاً لقدرته على الإدراك مع عالمه الخارجي (٢ ـ ٥) سنوات، و (٥ ـ ٧) سنوات وهكذا(٣).

ولكن بعض التقسيمات تحمل فلسفة الكاتب، أو مذهبه الفكري.

---

(١) التربية الإسلامية للطفل والمراهق: تأليف اللواء محمد جمال الدين محفوظ.

(٢) طفلك وله: تأليف فكتور لونفيلد، ترجمة سامي علي الجمال.

(٣) في أدب الأطفال: د/ الحديدي/ ٧٧ وما بعدها.

فهناك من قسم الطفولة إلى المراحل التالية:

١ ـ مرحلة الواقعية والخيال المحدود (٣ ـ ٥) سنوات.

٢ ـ مرحلة الخيال المنطلق من (٦ ـ ٨) سنوات.

٣ ـ مرحلة البطولة من (٨ ـ ١٢) سنة.

٤ ـ المرحلة المثالية من ١٢ ـ ١٥ سنة[١].

وهناك تقسيم مدرسي، أقرب ما يكون إلى طبيعة الطفل في المدرسة وعلاقته بالتعليم وهو يقسم نمو الطفل إلى ما يلي:

١ ـ مرحلة ما قبل المهد.

٢ ـ مرحلة المهد.

٣ ـ مرحلة الطفولة المبكرة (٣ ـ ٥) سنوات.

٤ ـ مرحلة الطفولة الوسطى أو المتوسطة من (٦ ـ ٨) سنوات.

٥ ـ مرحلة الطفولة المتأخرة من (٩ ـ ١٢) سنة.

٦ ـ مرحلة المراهقة.

٧ ـ مرحلة الرشد[٢].

وهناك من يربط التقسيم بالنمو الإدراكي واللغوي عند الأطفال فيكون التقسيم كما يلي:

١ ـ مرحلة ما قبل الكتابة من (٣ ـ ٦) سنوات.

٢ ـ مرحلة الكتابة المبكرة (٦ ـ ٨) سنوات.

---

(١) في أدب الأطفال: هادي نعمان الهيتي، الفصل الثاني/ ١٧ ـ ٨٥.

(٢) أدب الأطفال ومكتباتهم: سعيد أحمد حسن/ ٤٨، وثقافة الطفل العربي: جمال أبو رية/ ١١، وتثقيف الطفل: د/ فاروق عبد الحميد اللقاني/ ٢٤ ـ ٢٦، وأدب الأطفال محمد محمود رضوان وأحمد نجيب/ ٧١، وفن الكتابة للأطفال: أحمد نجيب/ ٣٨ ـ ٣٩.

٣ ـ مرحلة الكتابة الوسيطة من (٨ ـ ١٠) سنوات.

٤ ـ مرحلة الكتابة المتقدمة (١٠ ـ ١٢) سنة.

٥ ـ مرحلة الكتابة الناضجة (١٢ ـ ١٥) سنة[١].

ومن هذا نرى عدم اتفاق الباحثين والعلماء على تقسيمات موحدة لمراحل النمو، ولم يتفقوا على بداياتها ونهاياتها. وهذه المراحل تتداخل تداخلاً زمنياً، وتختلف بين الذكور والإناث، وتختلف طبقاً لاختلاف البيئات والشعوب والأفراد، وأكثر هذه التقسيمات مأخوذة من بحوث العلماء الغربيين الذين تختلف بيئاتهم عن بيئتنا، ويختلف أطفالهم عن أطفالنا في كل شيء[٢] ولذلك لا يمكن التسليم بهذه التقسيمات، ولا يمكن الاطمئنان إلى وصف كل مرحلة من مراحلها أو الحديث عن مميزاتها، وأصبح لزاماً على علمائنا إجراء البحوث الجادة في هذا السبيل، فضلاً عن تأسيس علم النفس الإسلامي، الذي يقوم على حقائق ثابتة أشارت إليها نصوص من كتاب الله وسنة رسوله، ويعتمد على ما كتبه علماؤنا في هذا الشأن.

وبعد استعراض هذه التقسيمات أرى أن نحدد المراحل التي يمر بها الطفل على ضوء قدرته على القراءة والكتابة والفهم، وبدون الدخول في التفصيلات والأوصاف لكل مرحلة من هذه المراحل:

١ ـ مرحلة ما قبل الكتابة من ٣ ـ ٦ سنوات (الطفولة المبكرة):

وفي هذه المرحلة يتمكن الطفل من سماع القصص، ويتعامل مع الأشياء المحيطة به في البيئة ويحاول أن يقلد مَنْ حوله في حركاتهم وأعمالهم.

---

(١) المصدر السابق/ ٤٥ ـ ٤٨، وأدب الأطفال ـ دراسة وتطبيق: عبد الفتاح أبو معال/ ١١ وهو ينقل عن المصدر السابق.

(٢) فن الكتابة للأطفال/ ٣٨.

وفي هذه المرحلة يمكن تقديم نوع من الأدب المسجل، والبرامج المعدة بالصوت والصورة، وفق شروط محددة تتناسب مع هذه المرحلة من حيث اختيار الموضوعات، واستخدام المفردات، وانتقاء الأسلوب الملائم للطفل[1] لتقديم ما يفيده ويمتعه ويناسبه، ولا ننسى أن هذه المرحلة من أخصب المراحل التي يمكن أن يكتسب فيها الطفل كثيراً من العادات والخبرات، التي تتعلق بحياته وارتباطه بأسرته، وتعرفه على البيئة حوله، وتنمية ثروته اللغوية وتعلمه لكثير من الآداب الاجتماعية، والأخلاق الإسلامية فضلاً عن غرس العقيدة، وحب الله سبحانه وحب رسول الله ﷺ في نفسه.

وخيال الطفل في هذه المرحلة محدود، ومجال تفكيره محدود أيضاً، ولذلك يمكن استخدام الأشياء والمحسوسات في تصوير المعاني التي نريدها، ويمكن أن نساعد الطفل لملاحظة بعض المظاهر التي يألفها من الكون والبيئة، مع ربطها بخالق الكون، أو إعطائه صوراً عن فوائدها للإنسان، وحسن التعامل معها[2].

---

(١) لقد عمد الأستاذ محمد موفق سليمة، الذي كتب مئات الكتب للأطفال إلى تسجيل عدد من القصص للأطفال الصغار في هذه السن على أشرطة ضم كل شريط خمس قصص، وضم كل ستة أشرطة في علبة أنيقة تحفظهم مع تسجيل أسماء القصص على غلاف العلبة. وقبلها نشر عدداً من أشرطة الفيديو، وأشرطة تعليم الصلاة.

(٢) لا شك أن الطفل في هذه المرحلة يتعلق بالرائي (التلفاز) ويتابع كثيراً من البرامج والأفلام الخاصة بالأطفال، ولكن ما يقدم للطفل في العالم العربي مأخوذ من البيئات الغربية في صوره وأفكاره وخيالاته، وكثير منه يخضع لمقتضيات التجارة أيضاً، وفوائد هذه البرامج قليلة، وأضرارها كثيرة، والمؤسف أن عالمنا العربي لا يتنبه إلى المشكلة إلا بعد أن يستشري ضررها، وفي الوقت الذي بدأت صيحات العلماء في الغرب تحذر من أضرار (التلفاز) الرائي على الأطفال، بدأت محطات البث عندنا بزيادة هذه البرامج بدون ضوابط، انظر إلى كتاب (بصمات على ولدي) تأليف طيبة اليحيى ط ٣ الكويت مكتبة المنار الإسلامية، وفي هذا الكتاب شهادات كثيرة من علماء =

٢ ـ المرحلة الثانية وهي مرحلة الكتابة والقراءة المبكرة (المدرسة الابتدائية):

وتكون غالباً ما بين (٦ ـ ٨) سنوات وقد تبدأ من الخامسة أحياناً، وقد تمتد إلى التاسعة أيضاً. وفي هذه المرحلة تزداد خبرات الطفل ولا سيما بالأشياء الخاصة ببيئته (الأسرة ـ والحي) ويبدأ بالخروج عن نطاق الأسرة، والتعرف على الأشياء الجديدة الخارجة عن نطاق البيت والأبوين، وتزداد رغبته في التعامل والتعرف على الظواهر الواقعية والاستفسار عنها، واستخدام بعض الوسائل، ومنها التعرف على الكتابة والقراءة كأسلوب يصله بعالم آخر يطمح للوصول إليه، والطفل في هذه المرحلة شغوف باكتساب الخبرات الجديدة، وسريع التأثر بما يراه ويسمعه، ويهتم بالتعرف على كثير من الأمور العملية، ولذلك نقدم للطفل هنا ألواناً من الأدب، من القصة والشعر، والعرض الأدبي المبسط، لتزويده بخبرات جديدة، ولتنمية شخصيته في الاتجاه الصحيح.

ونهتم هنا بتكوين العادات النافعة، وغرس القيم الثابتة عن طريق ربطها بالأحداث، وتصويرها بأسلوب مناسب يحس من خلاله بأنها القيم والعادات التي تضيف إليه بُعداً جديداً مُحبباً، وتنقله إلى مرحلة أفضل تمنحه التقدير والنجاح والاحترام.

ونفتح أمام الطفل مجالات التفكير في مظاهر الحياة والكون حوله،

= التربية وغيرهم على أضرار مثل هذه البرامج وتأثيرها السلبي على الأطفال. ونحن بحاجة إلى دراسات جادة وموضوعية في هذا المجال. وأشير أيضاً إلى الندوة التي أقامها مكتب التربية العربي لدول الخليج في الفترة من ٦ ـ ٩ شعبان ١٤٠٢ هـ الموافق ٢٩ أيار مايو إلى ١ حزيران يونيو ١٩٨٢ م تحت عنوان «ماذا يريد التربويون من الإعلاميين» وقدم فيها عدد جيد من البحوث في هذا الصدد ومنها: «مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال» (وقائع ندوة ماذا يريد التربويون من الإعلاميين) مكتب التربية العربي لدول الخليج.

ونقله تدريجياً للتمعن في كثير من الأمور للربط بين الأسباب والمسببات، ونغرس في نفسه العادات والأخلاق العملية الفاضلة، فضلاً عن تنمية معارفه المختلفة، ولا سيما في أمور عملية يحتاجها في حياته أو يكون على صلة بها في مجتمعه، ونجيب على كثير من تساؤلاته التي تثور لديه، ونحبِّب إليه القراءة والكتابة، ونربط بين شتى النشاطات ومعاني الجمال التي تجعل لهذه النشاطات وجهاً جميلاً محبباً يثير الإعجاب والتقدير، ونحرص على أن تكون هذه الصور جميعاً في مجالات الاعتقاد والتربية والتعليم، منسجمة ونابعة من ديننا الإسلامي، وبطريقة بعيدة عن الأمر والنهي، أو المنع والصد، أو الإكراه والإجبار، بل نقدمها كألوان من الحياة، وصور ترتبط بنا وبمصيرنا ونجاحنا، وتسهم في تحقيق مستقبلنا، ورسم صورتنا عند الآخرين.

ويمكن للطفل في هذه المرحلة أن تكون استجابته أكثر لما يشعر بأنه يزيد في بناء شخصيته، وتكوين عاداته، وشحذ فكره، ومنحه المكانة والتقدير والاهتمام ممن حوله، وتجعله يشعر بأنه يكتشف شيئاً من عالم الكبار.

والموضوعات كثيرة ومتنوعة، ولكنها تحتاج إلى صياغة الأديب الذي يتعرف على مفردات الطفل في هذه السن، مفرداته في مجال التفكير، والاهتمام، ومفرداته في مجال القراءة والكتابة، ومفرداته في مجال النشاطات المختلفة.

٣ ـ المرحلة الثالثة: مرحلة التمكن من القراءة والكتابة (المدرسة الابتدائية وبداية المتوسطة):

وهي ما بين ٨ ـ ١٢ سنة، وفي هذه المرحلة تبدأ شخصية الطفل بالظهور والتميز ويميل إلى الاعتداد بالنفس والقوة، والتفرد بالمواقف التي تميزه عن الآخرين واستخدام خبراته السابقة في إبراز قدراته، وشخصيته.

ولذلك فإن استغلال هذه الميول لتحسين صورة الشخصية وإبراز

مواهبها أمر جيد، إذا كان هذا الاستغلال ناجحاً وموجهاً. فإذا قدمنا للطفل ـ مثلاً ـ عروضاً (في القصة، أو الشعر، أو الحواريات) عن تاريخنا الإسلامي وسير أجدادنا مع التركيز على الجوانب التي نرى أنها أكثر تأثيراً في نفس الطفل في هذه المرحلة، وأكثر ارتباطاً بواقعه وتفكيره ومطامحه إذا قدمنا له ذلك بصور مناسبة يكون لها تأثير كبير وبليغ في حياته وسلوكه وتفكيره. ولذا فمن المناسب جداً أن نبدأ في هذه المرحلة بالكتابة للطفل عن سيرة الرسول ﷺ ضمن اختيارات مناسبة، وعرض يتلاءم مع هذه المرحلة من حيث المفردات والأسلوب والطريقة[1] وكذلك عن قصص الأنبياء، والصحابة، وغيرهم.

---

(١) أشير هنا إلى ما كتبه أستاذي وشيخي الفاضل أبو الحسن الندوي حفظه الله في هذا الباب، حيث كتب تحت عنوان «قصص النبيين» للأطفال عدداً من سير الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله بأسلوب سهل ممتع، وكذلك عرض سيرة الرسول باسم «سيرة خاتم النبيين» مراعياً فيها ما يناسب الطفل في هذه المرحلة. (قصص النبيين/ ١ ـ ٤) و (سيرة خاتم النبيين) مؤسسة الرسالة.
وانظر بحث (الاستاذ الشيخ أبو الحسن الندوي كرائد الأدب الإسلامي للأطفال) للشيخ سعيد الأعظمي وهو بحث مقدم لندوة أدب الطفل المسلم الذي أقامته رابطة الأدب الإسلامي في تركيا في ١٤١٠ هـ وكتب سماحة الشيخ أبي الحسن أيضاً عن أثر السيرة في تربية الطفل في مقدمة كتابه «الطريق إلى المدينة» ط / ٥ ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ما يلي:
«أتحدث اليوم عن كتاب كانت مِنَّتُهُ ـ ولا تزال ـ عظيمة عليّ، وإني دائم الترحم على صاحبه العظيم الذي أتحفني عن طريق هذا الكتاب بمنحة هي أغلى الأشياء عندي بعد الإيمان، بل هو جزء من أجزاء الإيمان وهو كتاب «سيرة رحمة للعالمين» لمؤلفه القاضي (محمد سليمان المنصور فوري) رحمة الله عليه».
ثم يمضي وهو يشرح أثر هذا الكتاب في نفسه وهو طفل في العاشرة أو الحادية عشرة من عمره.
«بدأت أقرأ الكتاب، وبدأ الكتاب يهز قلبي، وليست بهزة عنيفة مزعجة، إنما هي هزة رقيقة رفيقة، وبدأ قلبي يهتز له ويطرب: كما اهتز تحت الغصن البارد الرطب.

ولكن ما نقدمه للطفل في هذه المرحلة يحتاج إلى تخير دقيق في عرض الجوانب التي تهم الطفل، وتؤثر في بناء شخصيته، فيتفاعل بها، ويتأثر وينسجم، لكي تنمو لديه الاتجاهات الصحيحة، فيزداد إيمانه قوة

- وهذا هو الفارق بين هزة الكتب التي ألفت في حياة الأبطال والفاتحين الكبار، وبين هزة الكتب التي ألفت في سيرة الرسول الأعظم ﷺ، فالأولى هزة تغير على القلب وتزعجه، والثانية هزة تنبعث من النفس وتريحها.

وبدأت تتجاوب نفسي لهذا الكتاب وتهفو كأنما كانت منه على ميعاد، وشعرت في أثناء قراءتي لهذا الكتاب بلذة غريبة، إنها لذة تختلف عن جميع اللذات التي عرفتها في صغري ـ ولم أزل مرهف الحس قوي الشعور ـ فلا هي لذة الطعام الشهي في الجوع، ولا هي لذة اللباس الجديد في يوم العيد، ولا هي لذة اللعب في حين الشوق إليها، ولا هي لذة العطلة والفراغ بعد الدراسة المضنية.... إنها لذة لا تشبه لذة من هذه اللذات، إنها لذة أعرف طعمها ولا أستطيع وصفها... إنها لذة الروح، وهل الأطفال لا يحملون الأرواح؟ ولا يشعرون باللذة الروحية؟

بلى والله إن الأطفال أشف روحاً وأصح شعوراً وإن عجزوا عن التعبير» (ص/ ١٢ ـ ١٤ من الكتاب).

ويمضي ليصف أثر مثل هذا الكتاب في نفس الطفل عبر تجربته الشخصية فيقول:

«إن الحسنة التي لا أنساها لهذا الكتاب وصاحبه المخلص، أنه أثار في قلبي كامن الحب الذي لا لذة في الحياة بغيره، ولا قيمة للحياة بغيره، وقد صدق الشاعر الفارسي حيث قال: (قاتل الله ذلك اليوم الذي مضى ولم أذق فيه لذة الحب... وسحقاً للحياة إذا قضيتها كلها في تحكيم للعقل والخضوع للمنطق) بل إن الحب هو محصول الحياة وليس اللباب، وقد أجاد القائل الذي يقول: (نظرت في هذا العالم فإذا هو بيدر واسع، ونظرت فيه فإذا الحب هو الحب الوحيد، وكل ما عداه فهو تبن وحشيش وهشيم وحصيد...).

ويقول: «إن مصيبة هذه الأمة البائسة أنها قطعت صلتها عن القلب، وحُرمت لذة الحب» ص ١٩.

وهذا يدل على أن قدرة الأديب وحسن توفيقه في الاختيار والعرض لهما أثر كبير في ما يبدع، وأثر كبير على الأطفال أيضاً، وهذا يشير إلى أثر السيرة العظيم في تربية الأطفال، وأهمية عرضها بالصور والأساليب المناسبة لكل مرحلة من مراحل العمر.

ووضوحاً، مع ربطه بالسلوك العملي، والعلاقات المتنامية للطفل، ويزداد وعيه وينشط تفكيره، وتكبر اهتماماته. ولعله من المهم للأدباء أن يطّلعوا على ما كتبه أجدادنا عن الأطفال (الأولاد) في هذه المرحلة، ولا سيما ما كتبه الغزالي والقابسي وابن سحنون وغيرهم من علماء المسلمين.

٤ ـ المرحلة الرابعة وهي ما بين ١٢ ـ ١٨ سنة (مرحلة المراهقة):

وفي هذه المرحلة يمتلك الطفل القدرة على فهم اللغة واستخدامها بصورة أفضل، ويصبح أكثر قدرة على القراءة وتبدأ عواطفه في الظهور، وينشط خياله، ويزداد تعلقه بالمثل.

وشخصية الطفل هنا تنزع للبروز والتعلق أو الالتحاق بعالم الكبار؛ ولذلك نساعده من خلال ما نقدم له من ألوان الأدب لتحقيق صورة مناسبة للاقتداء بها والسعي للوصول إليها.

وهي من أدق المراحل وأهمها، بل من أخطرها، وتحتاج من المربين والأدباء إلى فهمها، والتعامل معها بدقة ووعي، لكي يساعدوا الطفل والناشىء على اجتيازها والاستفادة منها، والظفر بزاد كبير فيها، لأن ما يحوز على اهتمام الطفل وإعجابه في هذه المرحلة ينال منه قدراً كبيراً من التعلق والانشغال به، ولذلك لا بد من تقديم ما يناسب عواطف الطفل الناشىء ومشاعره المرهفة وتفكيره المتحرك الذي يبحث عن صورة يطمئن إليها ويسعى لتحقيقها. ويكوِّن للناشىء في هذه المرحلة خيالات ناشطة قد تختلط بالأوهام وقد تتعلق بالمثل، وقد تجنح إلى الانطواء، وقد تُؤْثِرُ المخاطرة أو المغامرة أو حب البروز، أو الرغبة في السيطرة، أو الميل إلى العنف.

وكثيراً ما تدفع الناشىء للجد والدأب الكبيرين وراء آمال يرسمها ويتمناها فإذا به يمضي الساعات الطوال في الدراسة، أو النشاطات الشبابية المختلفة أو الرحلات أو غير ذلك.

ومن المناسب تقديم ألوان من الأدب تحوي شتّى الأطعمة والأمزجة، منها ما يتعلق بأفكاره، ومنها ما يتعلق بخياله، ومنها ما يتعلق بعواطفه، ومنها ما يتعلق ببيئته، ومنها ما يتعلق بعلاقاته مع أصدقائه وأسرته، ومنها ما يتعلق بمستقبله، ومنها ما يتعلق بطرق النجاح للشاب والطفل.

ولا بد من استخدام الأسلوب الذي يثير لديه التفكير السليم، ويدغدغ عواطفه برفق ويهذبها. وفي تاريخنا كثير من الموضوعات والصور التي تحتاج إلى من يعيد صياغتها وإخراجها ووضعها بين يدي الناشئة(١) من خلال عرض أدبي يتلاءم مع هذه المرحلة، ويحظى بشغف الطفل والناشىء، بل يشده للمطالعة ودوام القراءة والاطلاع.

وخير للطفل ـ في هذه المرحلة ـ أن يُشغَل بالأفكار التي تجعله يشعر بإسهامه في تقديم الخير لغيره، والبناء في أسرته ومجتمعه، وإسعاد الآخرين وتقديم الواجب، وتحمل المسؤولية، لأن ذلك يرضي عواطفه ويمنع غرقه في المشاعر الخاصة، أو الانشغال بالعواطف الجنسية.

ولا يمكن تجاهل عواطفه نحو المرأة والجنس(٢)، وبدلاً من تركه

---

(١) أشير هنا إلى المجموعة الرائعة التي كتبها أستاذي الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ـ رحمه الله ـ للناشئة تحت عنوان: (صور من حياة الصحابة) والمجموعة الأخرى: (صور من حياة التابعين) كنماذج للأدب الذي يقدم في هذه المرحلة.
وانظر: التربية الإسلامية للطفل والمراهق: اللواء محمد جمال الدين محفوظ، ولا سيما البحث الخاص بالمشكلات الشائعة بين طلاب المرحلة الثانوية.
وانظر إلى ما كتبه الشيخ أبو الحسن الندوي عن أثر السيرة في نفسه وهو صغير في هوامش الصفحات السابقة.

(٢) أدب الأطفال: هادي نعمان الهيتي/ ٤٩، وإهانت. يرى أن أدب الأطفال يمكن أن يؤدي دوراً في التربية العاطفية بما فيها التربية الجنسية ما دام الأدب يتسلل إلى الذهن والعاطفة «بشكل مؤدب». ولكن الكاتب لا يرى بأساً من وجود الصور العارية في كتب الأطفال ما دامت جميلة. وينتقد البيت والمدرسة (في ربط الجنس بالتحريم والغموض والعقاب والذنب) ولا ندري كيف يرى الكاتب =

للخيالات الوهمية، أو الأفكار المريضة، أو الإِصغاء للدعوات الهدامة التي تجره للشذوذ، فإن الأديب والمربي يستطيعان تربية عواطف الشاب أو الناشيء في هذه المرحلة، وتصعيد مشاعره للسمو عن الانحرافات أو التصرفات المشينة، وتهذيب هذه المشاعر، وترشيد خطوات الناشيء لكي يتصرف ويفكر بحكمة وواقعية ومسؤولية.

= أن تكون تربية الطفل جنسياً؟ وهل نلغي الحرام والعقاب والذنب من أجل التربية التي يدعو إليها الكاتب؟ ولعل الكاتب حين دعا إلى هذا لم يكن قد شهد بعد سقوط الدول الشيوعية التي أنكرت الأديان، وحولت الإنسان إلى مجرد آلة، وبعد سبعين سنة تحطمت هذه الأنظمة تحت مطارق الفطرة الإنسانية. وخرج الإنسان يبحث عن عقيدة يتمسك بها، وعن منهج يحقق له السعادة والطمأنينة. وإذا كانت اليهودية والنصرانية ممثلة بالقوى العالمية المسيطرة تحاولان أن تسدا الفراغ، لكن هذه الشعوب سوف تصطدم بالواقع المأساوي لأزمة الحضارة الغربية بعد حين، ولولا ضعف المسلمين وغياب الإسلام لوجد الإنسان ضالته المنشودة في هذا الدين، وهذا تفسير الهجمة الشرسة من الغرب وأمريكا ومن تابعهم على الإسلام والمسلمين، واصطناع الأزمات والحروب للحيلولة دون عودة المسلمين إلى إسلامهم.

السمات الأساسية لمضمون أدب الطفل

بعد استعراض مراحل نمو الطفل نتوقف عند المميزات الخاصة بأدب الأطفال وكما قلنا في بداية هذا الفصل فإن هذه السمات تتعلق بأمرين متلازمين:

الأول: يدور حول محتوى هذا الأدب ومضمونه وأهدافه (المضمون).

والثاني: يدور حول الأساليب المناسبة التي يمكن استخدامها لتحقيق الأهداف الخاصة بهذا الأدب.

أما الأمر الأول فينبثق من صفة هذا الأدب ومسماه (أدب الطفل).

وأرى من المناسب هنا أن نعود بكلمة أدب إلى معناها الذي يتفق مع عقيدتنا وتراثنا وقيمنا.

ولا يعني هذا إغفال المعنى الذي أخذته الكلمة عبر العصور، أو تجاهل المصطلح الذي أصبح له عدد من المعاني في الآداب الغربية وغيرها، وإنما الذي دعانا إلى هذا طبيعة أدب الأطفال، وارتباطه بالتربية والتوجيه في كل الآداب الأجنبية[1].

---

(١) أجريت بعض الإحصاءات المقارنة لعدد من الكلمات التي تدل على التوجيه والتربية في كتب الأطفال الغربية وكتب الأطفال العربية، وكان الفرق كبيراً، حيث إن كتب الأطفال في أوربا ذات قصد توجيهي، بينما تخلو كتب الأطفال =

وأصبح لزاماً على الأدب الإسلامي الموجه للطفل أن يكون أكثر التزاماً بالتوجيه والتربية، وهذا ما دفعني للبحث عن جذور كلمة أدب في اللغة العربية جاء في (مجمل اللغة) عن كلمة أدب ما يلي:

«أدب: الإِدْبُ، الأمْرُ العَجَبُ، والأَدْبُ: دعاءُ الناس إلى طعامِك.

والمأدَبَة، والمأدُبَة بمعنى، والآدِب: الداعي إليها.

قال طرفة: لا ترى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ.

والمآدِب: جمع مأدَبة... واشتقاق الأدب من ذلك كأنه أمرٌ قد أُجمع عليه، وعلى استحسانه»[1].

وجاء في قاموس (الصحاح) ما يلي:

«الأدَبُ: أدبُ النفس والدَّرْس، تقول منه: أدُبَ الرجلُ بالضم فهو أديب، وأدَّبْتُه فتأدَّب، وابن فلان قد استأْدَبَ في معنى تأدَّب، والأَدْبُ: العَجَبُ.

والأَدْبُ أيضاً: مصدر أدَبَ القومَ يأدِبُهم، بالكسر، إذا دعاهم إلى طعامه، والآدِبُ: الداعي»[2].

وجاء في (أساس البلاغة) للزمخشري عن هذه المادة ما يلي:

«أدَبَ: هو من آدَبِ الناس، وقد أدُبَ فلان وأرُب، وتقول: الأدَبُ مأدُبَة ما لأحدٍ فيها مأرُبة. وأدَبَهم على الأمرِ جمعهم عليه يأدِبُهم. يقال:

= العربية من ذلك إلى حد كبير. (الاتجاهات الجديدة في ثقافة الأطفال) ص ٢٣.

(١) مجمل اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة (١ ـ ٩٠/ ٩١).

(٢) الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار ـ دار العلم للملايين ط/ ٢ بيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م/ ١ ـ ٨٦.

أَيْدِبْ جيرانَك لتشاورهم، قال:

وكيف قتالي معشراً يأدِبونكم   على الحق أن لا تأشبوه بباطل

وتقول: أدَبهم عليه، وندبهم إليه، وإذا انتقر الآدِبُ نقرَهُ الجادِبُ»[1].

وجاء في كتاب (المغرب) ما يلي:

«أدَبَ، الأدَبُ أدَبُ النفس والدرس... ومنه الأدَبُ لأنه يأدِبُ الناسَ إلى المحامد، أي يدعوهم إليها. عن الأزهري، وعن أبي زيد. الأدب: اسمٌ يقع على كل رياضةٍ محمودةٍ يتخرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل»[2].

وأما (لسان العرب) فلقد أورد كل هذه المعاني، وأكتفي منها بما يتعلق بالموضوع:

«الأدب: الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي أدباً لأنه يأدِب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدْبِ: الدعاءُ...

الأدب: أدبُ النفس والدرس. والأدَبُ: الظَّرْفُ وحُسْنُ التناول، وأدُبَ، بالضم، فهو أديب من قوم أدباء.

وأدَّبَهُ فتأدَّب علّمه، واستعمله الزجاج في جانب الله عز وجل فقال: وهذا ما أدَّبَ الله تعالى به نبيه ﷺ.

وفي الحديث عن ابن مسعود: «إن هذا القرآن مأْدَبَةُ الله في الأرض فتعلّموا من مأدبته» يعني مَدْعاته... قال أبو عبيدة: وتأويل الحديث أنه شبَّه القرآن بصنيع صنَعَهُ الله للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم

---

(1) أساس البلاغة للزمخشري، دار بيروت للطباعة والنشر. دار صادر/ ١٣.

(2) المغرب في ترتيب المعرب: لأبي الفتح ناصر الدين المطرّزي، تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد بحلب، ط/ ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م/ ٣٢ - ٣٣.

إليه...»[1].

وأقتطف أيضاً بعض ما جاء عن مادة (أدب) في (دائرة المعارف الإسلامية): «أدب: لفظ كان يدل في الجاهلية وفي الإسلام على الخلق النبيل الكريم، وما يتركه من أثر في الحياة العامة والخاصة، وهناك قول مأثور جرى مجرى الحديث هو (كاد الأدبُ أن يكون ثلثي الدين).

وللفظ الأدب معنى مجازي ـ علاوة على هذا المعنى العملي ـ نشأ عندما طمح الناس إلى الثقافة، وأخذت حياتهم الاجتماعية تُصقَل يوماً بعد يوم على أسلوب حياة الفرس، وبدأت تزدهر حركة التأليف الأدبي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، وهو بمعناه المجازي يدل على جملة المعارف التي تسمو بالذهن، والتي تبدو أكثر صلاحية في تحسين العلاقات الاجتماعية، وخاصة اللغة والشعر وما يتصل به، وأخبار العرب في الجاهلية (خزانة الأدب جـ ٤ ص ١٢٤) ويترتب على هذا أن الأدب يتناول موضوعات الكتب الخاصة، ككتاب أدب الكتاب لابن قتيبة، والكتب التي تذكر باسم أدب الوزراء وغير ذلك.

وهناك فرق دقيق بين الأدب بفروعه المختلفة والعلم، وهو جماع ما يتصل بالدين من قرآن وحديث وفقه.

ويتضمن لفظ الأدب أحياناً ـ علاوة على المعارف البحتة ـ صفات اجتماعية، منها: المهارة في الرياضة وغيرها من الألعاب.

ومن الطبَعي ألا يكون للأدب محيط يحده، فقد تدخل أحياناً الدقة الفنية، كما تدخل المهارة الصناعية ضمن فنون الأدب.

إن تاريخ كلمة (أدب) لَمِرْآةٌ لتطور الثقافة العربية من أصولها الجاهلية حتى اليوم، وهو يفصح عن هذا التطور إفصاحاً يوازي ما يفصح

(١) لسان العرب: ابن منظور الأفريقي ـ دار صادر/ ١ ـ ٢٠٦، ٢٠٧.

عنه تاريخ كَلمتي (علم) و (دين) بل يفوقه إفصاحاً، والكلمة في أقدم معانيها قد تعد مرادفة لكلمة (سُنَّة) التي تدل على (العرف والنمط الموروث للسلوك والعادة) قُبساً من الأجداد وغيرهم من الأشخاص الذين اتُخِذُوا أسوة. وأكد تطور هذا المعنى الأولي من جهة مضمون الكلمة الأخلاقي والعملي، فقد أصبح يدل على (الصفة الكريمة للنفس، وطيب النشأة والتحضر والظرف) وإذا سُلِّم بهذا، فإن الأدب يرادف تهذُّب أخلاق البدوي وعاداته بالإسلام. وبالاحتكاك بالثقافات الدخيلة في القرنين الأولين للهجرة، ومن ثم غدا الأدب في أوائل العصر العباسي، يرادف بهذا المعنى الكلمة اللاتينية (Urbanitas) أي التحضر والدماثة والتهذب عند أهل الحضر، مما يميزهم عن خشونة البدو. (تستعمل المعاجم في هذا المقام الظرف في شرح الأدب) واحتفظت الكلمة بهذا المعنى الأخلاقي الاجتماعي طوال عهد الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى، ومن ثم قيل: أدب الطعام، وأدب الشراب وأدب اللباس[1]. على أن الأدب منذ القرن الأول للهجرة قد اكتسب ـ علاوة على هذا المعنى الأخلاقي الاجتماعي ـ معنى عقلياً ارتبط أول الأمر بالمعنى الأول، ثم أخذ يزداد اختلافاً، فقد أصبح يتضمن، مقدار المعرفة التي تجعل المرء دمثاً و (متحضراً) أي مثقفاً تثقيفاً دنيوياً. . . يعتمد بخاصة على الشعر والفصاحة والتراث التاريخي والقبلي للعرب القدماء، وعلى ما تتصل به أيضاً من علوم هي البلاغة والنحو وفقه اللغة والعروض. . ومن ثم فإن هذا التصور الإنساني للأدب كان في أول أمره قومياً صرفاً، ذلك أن الأديب الكامل في العصر الأموي كان هو الشخص الذي يبرع في معرفة الشعراء القدامى وأيام العرب وفي الثقافة الشعرية والتاريخية والعربية وذخيرة آثار العرب.

بيد أن الاحتكاك بالثقافات الأجنبية وسَّع مضمون الأدب أو الآداب

---

(١) انظر: رسالة أدب النديم: الكُشاجم وهناك أسماء لرسائل مثل أدب البحث، وأدب الدرس، وأدب العالم والمتعلم وأدب التدريس.

العربية الرفيعة، فأصبح موضوعه هو الآداب الرفيعة بلا تخصيص، وهنالك شمل معرفة تلك الأقسام من الأدب غير العربي.

ومع ذلك فإن النظرة إلى الأدب انتهت بأن فقد الأدب المدلول الرفيع الواسع الذي كان له في عصر الخلافة الذهبي، وأصبح مقصوراً على نطاق أضيق، وأدخل في البلاغة ـ أي نطاق الآداب، وهي الشعر والنثر الفني وكتابة النوادر ـ وهذا هو نوع الأدب الذي نبغ فيه الحريري بما اتسم به من براعة لفظية وعناية بالشكل، وتدقيق في اللفظ، وانصرف الأدب من الدراسات الرفيعة إلى أدب الصنعة المفتعل، وظل هذا شأنه خلال عهد انحلال الآداب العربية والروح العربي حتى قيام النهضة الحديثة.

وفي العصر الحديث أصبح الأدب ـ بل الآداب ـ ترادف كلمة الأدب في أخص معانيها، مثال ذلك (تاريخ الآداب العربية)، والمقصود بها الآداب العربية، وكلية الآداب هي الكلية التي تدرِّس فنون الأدب في الجامعات التي أُنشئت على النمط الأوربي[١].

نخلص من هذه الجولة في القواميس والمصادر عن كلمة أدب أنها بدأت وما زالت مرتبطة بالمعنى الأخلاقي التربوي (أدب النفس والدرس) وكذلك بمعنى الجمع على الشيء، وهنا يكون الجمع على الفضائل «أدبهم على الأمر جمعهم عليه» «الأدب.. يدعو الناس إلى المحامد» «ويقع على كل رياضة محمودة يتخرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل» «والقرآن مأدبة الله في الأرض» وهو «أدب النفس، يأدِب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح» وهو «الظَّرف وحسن التناول» وهو «الخلق النبيل الكريم» وهو «يدل على جملة المعارف التي تسمو بالذهن، والتي تبدو أكثر صلاحية في تحسين العلاقات الاجتماعية وخاصة اللغة والشعر

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية: لعدد من المستشرقين، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتاوي وعبد الحميد يونس ـ كتاب الشعب ٢/ ٤٦٧ ـ ٤٧٠.

وما يتصل به..» ويتضمن أيضاً «صفات اجتماعية..» و «الصفة الكريمة للنفس، وطيب النشأة والتحضر والظرف»، و «تهذيب الأخلاق» «والتحضر والدماثة والتهذب».

ثم أصبح يدل على «مقدار المعرفة التي تجعل المرء متحضراً»، ثم «البراعة في معرفة الشعراء القدامى، وأيام العرب، وفي الثقافة الشعرية والتاريخية والعربية وذخيرة آثار العرب»، ثم أصبح يدل على الفنون الخاصة «بالشعر والنثر الفني».

فلماذا نَقْطَعُ هذه الوشائج الأخلاقية والتربوية والاجتماعية، بل والدينية أيضاً، لأن الأخلاق وليدة الدين، لماذا نقطع هذه الوشائج بين الأدب وهذه القيم؟ ولماذا نقبل المفاهيم الغربية للأدب التي تبعده عن كل قيمة يؤمن بها الإنسان، بل تجنح بالمصطلح ليكون منسلخاً من أي ارتباط، وليكون بذاته صنماً يُعبد وله كل الحرية فيما يقول، ويرسم، ويصور.. ولأتباعه الحرية فيما يفعلون أيضاً وما يقولون وما يعتقدون؟!

ولكي لا نبعد كثيراً، فإننا نؤكد ارتباط الأدب بالعقيدة، وصلته بالأخلاق، وانبثاقه عن القيم التي تؤمن بها الأمة.

إن الأدب بمفهومه الإسلامي تعبير فني عن تجربة الأديب في الحياة من خلال التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان وللخالق عز وجل[1].

---

(١) يعمد كثير من النقاد ودارسي الأدب لإطلاق مفهوم التصور مثال ذلك أن يقولوا: «ولا بد أن يكون هذا التوجه مشتملاً على رؤية فنية للوجود في أشيائه المختلفة..» أو أن يطلقوا تعريفاً بعيداً عن الاعتقاد «التركيب الفني لنماذج ورموز مطبوعة» أم «الكلام الجيد الذي يحدث في النفس متعة فنية، سواء أكان شعراً أم نثراً، وتعبيراً شفوياً بالكلام أو تحريرياً بالكتابة..».

ويعجب المرء إذ يرى المسلم يقر بأن دينه هو آخر الأديان، وهو دين البشرية. وهو منهج متكامل «صبغة الله» ومع ذلك ينكر أن يكون له أدب إسلامي، واقتصاد إسلامي.. وكأنه يريد أن يحصر الإسلام في شعائر تعبدية. أو يعلي=

ومن هذا فإن أدب الطفل المسلم فرع من هذا التصور الشامل للأدب[1] ولكنه يختلف عن أدب الكبار «في الأمور التي لا مفر من أن تختلف فيها العقليتان والإدراكان»[2]، وهو الأدب الذي يصور أفكاراً وإحساسات ومدارك تتفق مع مدارك الأطفال وتتخذ شكلاً من أشكال الإبداع الأدبي، القصة والشعر والمقالة، والحوارية وغير ذلك[3].

وصفة هذا الأدب (الإسلامي) تعني أن يكون الأديب واعياً لخصائص ومميزات مجتمعه الإسلامي، وعارفاً بأصول هذا الدين وحدوده، ومدركاً للتصور الإسلامي للطفولة، وللعلاقات الإنسانية، ومؤمناً بمسؤوليته في ممارسة دواعي الإبداع أمام الله عز وجل أولاً، ثم أمام أمته الإسلامية ورسالته في الحياة، وأمانة الدعوة إلى الله عز وجل.

وليس لأديبٍ مسلم أن يبيح لنفسه الجهل بأصول دينه وأساسياته، وخصائص المجتمع الإسلامي، وحدود شرع الله عز وجل، وأهداف التربية الإسلامية، أياً كانت الحجج والأعذار، فما دام في مجال الريادة للمجتمع، والانخراط في هذا الفن، فعليه أن يتسلح بأدوات فنه، ويتعرف على ركائز عمله، حتى لا يكون مقصراً، أو عاجزاً. وإن لم يفعل ذلك فعليه ألاَّ يتصدى لهذا الأدب، وألا يدَّعي هذه الصفة، وكان عليه وزر أمام الله عز وجل لأنه فرط في الأمانة.

الإسلامية ليست شعاراً، وإنما هي المنهج الذي أصبح عند الأديب حياة يمارسها، وفقهاً ودراية ومعرفة بما يقتضيه إسلامه، يأخذ ذلك من

= روابط العرق واللون واللغة على رابطة الإيمان وفي ذلك تعارض مع أبسط بدهيات هذا الدين.. أما الذين لا يؤمنون بالإسلام أصلاً، ولا بغيره من الأديان فلا غرابة فيما يقولون.

(١) أدب الأطفال في ضوء الإسلام: د/ نجيب الكيلاني ١٣.

(٢) أدب الأطفال: د/ الحديدي ٦٥.

(٣) أدب الأطفال: هادي نعمان الهيتي/ ٧٢.

منابعه، ومن أصوله، ولا يتسكع في أسواق التجار ليقلد الذين يؤمنون بهذا التصور، أو ذاك، ويلتقط من هنا وهناك بلا دراية. وكل كلمة تكتب للطفل فيقرؤها، أو يراها في صورة من الصور الإبداعية ستترك أثرها في نفسه، ومردودها في حياته وشخصيته، لأنه «كالرادار» الذي يستشعر كل ما حوله، فيلتقطه ويحوله إلى صورة تناسبه، وإلى فكرة يفهمها، ومن هذا الذي يلتقطه من هنا وهناك في بيته ومدرسته ومجتمعه، في الصورة والكتاب والقدوة ستتشكل عاداته وفكره وأخلاقه، بل ستنشأ عقيدته ويتحدد دينه «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

فإذا كان من واجب المسلمين ـ عموماً ـ معرفة دينهم، والتفقه في كل ما له علاقة بحياتهم ومهنهم ونشاطاتهم وأعمالهم، فإن ذلك أكثر وجوباً وضرورة للأديب لأنه رائد وقدوة وموجه.

فضلاً عن ذلك فإن معرفة الأديب لدينه معرفة حقيقية موثقة ـ لا من المستشرقين والعوام ـ بل معرفة واسعة أصيلة، سوف تتيح له القدرة على اختيار الأسلوب المناسب، والطريقة الملائمة لموضوعه، وللمرحلة والسن الذي يكتب من أجله.

أما إذا كانت هذه المعرفة ساذجة بسيطة لا تتعدى معرفة العامة، ولا تخرج عن نطاق الأفكار والمعارف الذهنية بعيداً عن السلوك العملي، والنشاط الإنساني اليومي، والتفقه الحقيقي في ذلك، فإنه سيعجز عن تقديم أدب إسلامي ملائم للأطفال.. يحقق الأهداف المبتغاة لهذا الأدب، ويُخشى أن ينالهم شيء من الفرح مما يمس الذين تصفهم هذه الآية الكريمة: ﴿**لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم**﴾[1].

وبالقدر الذي يتمكن فيه الأديب من فهم الإسلام، والتفاعل مع

---

(١) آل عمران الآية: ١٨٨.

نصوص هذا الدين فإنه يملك أسباب النجاح أيضاً في اختيار الأسلوب المناسب، وتجويد الإبداع بصورة مستمرة، وإدراك طرق التأثير الحقيقية في نفس الطفل، لأن مثل هذا الإبداع سيتسم بالوضوح والأصالة والصدق، وصاحبه يمتلك الرؤية الواعية التي لا تدعه يتلجلج أو يتعثر في الطريق، وستسري فيه تلك الروح الإيمانية التي تفيض الحب والرغبة على الطفل. فإذا افتقد الأديب هذه المعرفة وجهل الدين ـ أياً كانت دعواه وادعاؤه ـ فإنه سيكون مُشوَّشاً، بعيداً عن الصدق، لا يدرك سرَّ التأثير إلا إذا انسلخ من الأخلاق، وآثر الوقوع في حمأة الإثارة الشهوانية، وسار في طريق الإغراء والتضليل.

وميزة أدب الأطفال الذي تتحقق لصاحبه هذه الرؤية أنه أدب إسلامي إنساني، يتلاءم مع الفطرة السوية للطفل، بعيداً عن الصور الشاذة التي يريدها شياطين الإنس، مع التعرف على المرحلة والسن ليختار الملائم المناسب لكل سن من السنين.

وأيا كانت المرحلة فإن السمة الأساسية لهذا الأدب أن يكون نابعاً من التصور الإسلامي، بما يتلاءم وطبيعة الطفل، الذي نتوجه إليه بالكتابة.

وسوف نعود بعد قليل إلى الموضوعات التي يعتني بها أدب الطفل إن شاء الله.

السمات الأساسية لأسلوب أدب الطفل

أما الأمر الثاني الخاص بسمات هذا الأدب فإنه يتعلق بالأساليب المناسبة التي يمكن استخدامها لتحقيق الهدف المنشود من الكتابة للأطفال.

والأسلوب يختلف من مرحلة لأخرى، ومن سن لسن أخرى.

ففي المرحلة الأولى ـ مرحلة ما قبل الكتابة ـ لا يمكن تقديم أدب الأطفال إلا عن طريق الكتب المصورة، أو الحكايات والقصص المصورة، وقد بدأ بعض الكتاب تسجيل أشرطة صوتية، أو أشرطة صوت وصورة (فيديو) لهذه المرحلة.

أما في الكتب المصورة فيمكن استخدام بعض الكلمات إلى جانب الصورة[1]، وقد يكتفى بالصور وفق تسلسل محدد يحكي حوادث القصة، بحيث توحي للطفل بالأحداث، والمعاني المقصودة. وهذه الكتب تحتاج إلى الكاتب الذي يصوغ الفكرة، ويكتب الحكاية أو القصة بالأسلوب البسيط، وإلى الرسام الذي يتفهم هذه القصة، ويحولها إلى رسوم معبرة، تحمل ملامح الشخصيات بلباسها وحركاتها، وتعبر عن البيئة بخطوطها وألوانها لتعطي الطفل انطباعاً واضحاً عن العادات والتقاليد، والملامح الشخصية لأبطال القصة أو الحكاية، فضلاً عما تضم من رسوم للحيوانات

(١) أدب الأطفال ومكتباتهم/ ١١.

والأشياء التي يمكن أن يستفيد الطفل بزيادة خبراته منها. وهذه القصص تدور غالباً حول الأشياء المحسوسة الملموسة التي يمكن أن تتكون لها ذهنية واضحة، حيث لا يمكن إدراك الأمور المعنوية كالكرامة والرذيلة والحرية بطريقة الصور[1].

وقد يستمع الطفل إلى القصة من أمه، ويتابعها مشاهدةً في الكتاب المصور، أو يشاهد القصة كلها مصورة بدون أي حديث عنها، ويترك لخياله متابعة أحداثها من تتابع الصور.

ولقد وصلت الكتب المصورة إلى مرحلة جيدة باستعمال الألوان والصور المجسمة أو النافرة، والثابتة والمتحركة، ومن خامات مختلفة، بعضها من الورق، وبعضها من القماش أو البلاستيك أو غير ذلك[2].

وليس خافياً أن الكتب المصورة بحاجة إلى فهم ووعي وتفقه من الأديب المسلم والرسام المسلم لكي يختار من الرسوم ما يحقق غايته، دون الوقوع بأي محرم، وينبغي دراسة هذا الأمر من قبل المختصين على ضوء الأهداف الواضحة لأدب الطفل، وفي حدود الشريعة الإسلامية لتتضح الأبعاد والمجالات التي يمكن أن يرتادها الأديب في الكتب المصورة.

وهذا العمل يحتاج إلى دراسة مستفيضة في مسائل التربية وعلم النفس، وفن الخط، والرسم والتلوين لإخراج مثل هذه الكتب الناجحة، مع العلم بأنه من الضروري أن تحاول الصور نقل الأفكار والانفعالات المختلفة.

والأطفال يستجيبون لتفسير هذه الانفعالات، وتنشط خيالاتهم لفهم الحركة المصورة[3]. والكتب المصورة تربط الطفل بالواقع، وتفتح بصيرته على ما حوله، وتزيد من اعتماده على نفسه، وتنمي دقة ملاحظته، وتقرب

---

(١) أدب الأطفال، مبادئه ومقوماته/ ٧٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) في أدب الأطفال: د/ الحديدي/ ٨٨.

المعاني إلى ذهنه، وتزيد من خبرته، وتعلمه بعض المفاهيم مثل تصغير الأحجام الكبيرة وتكبير الأحجام الصغيرة، وتنشط ذاكرته[١].

كذلك الأشرطة المسجلة، أي الحكايات المسموعة، والقصص المروية بأصوات مختلفة كالأم، أو الأب، أو المعلم، أو المعلمة، أو الجدة أو الشيخ.. إلخ.

ولا يكفي أن تكون الحكايات المسموعة بالسرد وحده، بل تحتاج إلى نوع من التلوين الصوتي الذي يساعد على تصوير الموقف، وتمثُّل الأحداث، ونقل المشاعر والانفعالات، ورسم الأجواء المحيطة بالحوادث. ومن المستحسن أن تكون هناك أصوات مساعدة معبرة، إما عن طريق تسجيل أصوات حقيقية (الريح، أصوات الحيوانات، بعض الأصوات التي تصدر عن القيام بحركات معينة)، أو عن طريق تقليد هذه الأصوات[٢].

وإذا صاحبت هذه الأصوات صور تمثيلية معبرة، أو صور واقعية (بالفيديو) يكون تأثيرها أكبر، مع الاحتراز من استخدام الرائي أو الفيديو كجهاز دائم للتسلية، ومشاهدة شتى الأفلام والمسلسلات التي تدفع بها الشركات التجارية[٣].

---

(١) أدب الأطفال ومكتباتهم/ ١٣، ١٤.

(٢) انظر سلسلة البراعم السمعية: قصص القرآن للبراعم/ ١ - ٣٠: محمد موفق سليمة، إصدار مكتبة الحرمين السمعية - الرياض.

(٣) انظر: بصمات على ولدي/ ٢٦: حيث أشار تقرير نشرته مجلة اليونسكو إلى أن ما تقدمه وسائل الإعلام ولا سيما الرائي يعطل القدرات التأملية الخلاقة لدى الأطفال، إضافة للآثار السلبية الأخرى، كتدني الذوق العام، وإثارة الغرائز، والترويج للأخلاق الفاسدة: كالكذب والخداع والمراوغة، مع إظهارها بأنها ذكاء ومهارة وخفة، وصرف الأطفال عن الحقائق الواقعية، مع الأخطار الصحية، حيث قرن بعض العلماء (التلفزيون بالسيجارة والخمر والسيارة)، مع سوء استعمال اللغة.. إلخ. وانظر: أدب الأطفال دراسة وتطبيق عبد الفتاح أبو معال/ ١٢.

وأما في المرحلة التي يتعلم فيها الطفل القراءة والكتابة، وما بعدها فإن استخدام الكتابة أمر ضروري؛ لأنها تؤدي إلى تنمية مهاراته وزيادة خبراته وتوسع معارفه، وإثراء مفرداته وألفاظه.

والطفل «يقرأ لينطلق إلى عالم جديد من السعادة والمتعة» مع الفائدة التي يحصل عليها من هذه القراءة، فضلاً عن أن القراءة ترضي حب الاستطلاع عند الطفل، وقابلية النمو الفكري والعاطفي[1] وتنشِّط خياله، وتدفعه للتأمل والتفكير والبحث.

فالقراءة غذاء فكري ونفسي واجتماعي وعاطفي، وهي حاجة نمائية أكيدة تساعد الطفل على النمو العقلي والمعرفي، وتتيح له التعرف على البيئة والاتصال بعالم الكبار، وتساعده على النمو الاجتماعي، وتكون الذوق الفني، والتعرف على كثير من البيئات الأخرى[2].

وفي القراءة تتعمق مفاهيم العقيدة، وتتغرس الفضائل، وتزداد معرفته بدينه، وتصوره لمجتمعه.

ولا بد من مراعاة المراحل المختلفة حينما يكتبُ الأديبُ للطفل، ويتعرف إلى المفردات والألفاظ المألوفة لديه، التي تمكنه من فهم ما يقرأ، أو تدفعه للتفكير والتأمل فيما يقرأ.

وكذلك لا بد من مراعاة الفروق بين الجنسين من ناحية الأسلوب والموضوع[3].

وأما اللغة التي يُجمع عليها كُتَّاب أدب الأطفال، فهي اللغة السهلة الواضحة التي يفهمها الأطفال، التي تساعدهم على معرفة الفكرة المطروحة، أو متابعة حوادث القصة، أو تصور ما يجري في الحكاية،

---

(١) أدب الأطفال ومكتباتهم: سعيد أحمد حسن/ ١٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تثقيف الطفل ـ فلسفته وأهدافه/ ١٣٩.

ولذلك ينبغي للكاتب أن يعرف مستوى الأطفال الذين يكتب لهم، ومراحل نموهم الفكري واللغوي والاجتماعي وأن يعرف البيئة التي يتوجه لها بالكتابة.

وكذلك لا بد من البعد عن التعقيد في الأسلوب، والغرابة في اختيار الألفاظ، وعدم استعمال الأسلوب المجازي الذي لا يستطيع الطفل إدراكه.

ومهم جداً ـ ونحن نسعى لتربية الأطفال تربية إسلامية ـ استخدام الفصحى في الحديث والكتابة، مع اختيار الأسلوب البسيط المفهوم، والتدرج في استعمال اللغة، والحرص على الضبط، وتجنب الأخطاء النحوية والإملائية، أو إدخال الألفاظ الأجنبية بغير ضرورة قصوى، وعدم استعمال الكلمات العاميّة، أو طرق التعبير التي تخالف أساليب العربية وطرقها الصحيحة، مع الحرص على السهولة والوضوح ينبغي استخدام التدرج في زيادة خبرات الطفل وثروته اللغوية بإدخال ألفاظ ومفردات جديدة، شريطة أن تساعد العبارة أو التركيب على فهمها وإيضاحها[1]. وكذلك من المهم تدريب الطفل على فهم العبارة القرآنية، وتذوق جمالها ومعرفة أسلوبها، والتمعن بمعناها، والتفكر بما فيها من أحكام أو توجيهات أو أوامر أو عبر[2].

---

(١) في أدب الأطفال: د/ الحديدي/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦.. وللمرحوم كامل كيلاني رأي في هذا، إذ يرى أن تكون اللغة التي يقدم بها الكاتب لأدب الأطفال أرقى من مستواه قليلاً حتى يستفيد منها بمحاكاتها، ومن ثم تتحسن لغته وأسلوبه، مع حرصه على تجنيب الأطفال الخطأ اللغوي والمعنوي في كتاباته، ويوضح خطته في ذلك بأنه وجد الكتب العربية الأصيلة مثل: الجبل أمام صغارنا، فوضع أمام عينيه، المثل الإسباني في قصة (حي بن يقظان) وهو أن امرأة إسبانية كانت تحمل عجلاً صغيراً كل يوم وتصعد السلم ونهبط به وكبر العجل حتى صار ثوراً وهي على عادتها تحمله كل يوم دون أن تتأثر لأنها لم تحس بالزيادة مع التدرج.

(٢) للأستاذ محمد موفق سليمة محاولات في هذا الشأن تحت عنوان (أنا أقرأ=

وفهم العبارة القرآنية غاية من غايات أدب الطفل، لأن ذلك يؤدي إلى تحقيق عدة أهداف عقدية وتربوية وتعليمية وجمالية، فضلاً عن طبع الفتى بالأصالة، وتذوق الأسلوب العربي الفصيح، بعيداً عن الأساليب التي بدأت تبتعد ـ باسم التحديث والتطوير ـ عن الأساليب العربية، وتسير نحو الاستغراب ليصبح قرآننا أولاً، ثم تراثنا، كتاباً بعيداً عن أذواقنا، ومألوفنا، وتفكيرنا، بل ليصبح كل ذلك نوعاً من التراث الذي يحمل طابع القدم والقداسة دون أن يكون له في حياتنا ذلك التأثير.

وكذلك لا بد من تدريب الطفل على فهم عبارة الحديث الشريف، والتراث العربي الإسلامي الأصيل، من خطب وأقوال وروايات تحمل خصائص هذه اللغة، ومميزات الأسلوب العربي الأصيل. ولا يعني هذا نقل هذه العبارات أو استخدامها بطريقة عشوائية، بل للأديب أن يبتكر الطريقة المناسبة لتحقيق هذا الهدف، مع الاهتمام بطبيعة المرحلة، وخصائص النمو، والسن الذي يوجه له هذا الأدب. وهناك محاولات كثيرة في هذا الشأن لكتاب كثيرين[1].

وأخيراً فإنه من الضروري اختيار طريقة تناسب سن الطفل ومرحلته في إعداد الكتاب وإخراجه، واختيار حجم الحرف المطبوع وشكله، وعدد الأسطر وطريقة الإخراج واستخدام الألوان والصور التوضيحية المرافقة عند الضرورة.

= وأفهم كتاب الله) وهي سلسلة من (٨) حلقات، وكان يأتي بالآية القرآنية أو السورة القصيرة فيشرحها شرحاً بسيطاً مفهوماً للطفل ثم ينظم أبياتاً مقتبسة منها:
«فاتحة القرآن جميلة المعاني، نبدؤها بالحمد، لخالقِ الأكوان
للرَّاحمِ الرحمٰنِ، والمالك الديّان، إياكَ ربي نعبُد
أنت المعين السندُ، اهدِ الغلام المؤمنا، صراط رشدٍ وسنا
صراط من قد أنعما، عليه لا من حرما»

(١) هناك محاولات كثيرة في هذا الجانب للأستاذ محمد موفق سليمة وغيره. وصدر له (سبعة يظلهم الله في ظله، وحق المسلم على المسلم، وثلاثيات نبوية) وغيرها.

مع الحرص على ضبط الكلمات بالحركات، وتحديد حجم الكتاب وشكله، وكل ذلك مهم في تقبل الطفل، وانطباعه بما يقع عليه بصره في أي كتاب.

وأختم هذه الفقرة ببعض ما كتبه بعض المهتمين بأدب الأطفال وثقافتهم:

«لهذا عليك قبل البدء بالكتابة أن تكون واثقاً في نفسك فيما إذا كنت تكتب عن الأطفال أو للأطفال. . هل لك قارىء أو قراء مرتقبون؟ ولكن ما لم يكن لك أنت الكاتب قارىء محدد راسخ الهدف الذي توجه قصتك نحوه، فلعل مؤلفك يتذبذب، ويتردد ويسقط بين أسلوبين وتضيع الفرصة. وبناء على هذا، ولأجل الوضوح في أسلوبك وعرضك ومنفعتهما، عليك أن توطد قناعتك قبل أن تبدأ وترى إذا كنت تنوي أن تكتب لفلانة أو لفلان من الأطفال. .» إلخ[1]. «أديب الأطفال ينبغي أن يتعرف إلى جمهوره الأطفال، أن يحيط بهذا العالم الغريب ـ مع الرغم أن الإحاطة التامة تظل أمراً عسيراً ـ لأن ما يكتبه، شكلاً ومضموناً، يخضع لطبيعة هذا الجمهور وخصائصه. ولا يكفي أن يتعرف الأديب إلى عدد من الأطفال سواء كانوا أبناءه، أم أبناء جيرانه، أم تلامذته، بل ينبغي أن يدرس جمهور الأطفال دراسة علمية معتمداً على ما توصل إليه رجال التربية وعلماء النفس في هذا المجال.

والأديب المسلم لا يكتفي بذلك، بل يرجع إلى ما كتبه علماء المسلمين عن الفطرة الإنسانية وعن الطفل معتمدين على نصوص ثابتة بالدرجة الأولى، ويستفيدون من دراسات العلماء الغربيين في هذا المجال أيضاً.

---

(١) كيف تكتب للأطفال: جون أيكن، ترجمة كاظم سعد الدين، ط/ ١، ١٩٨٨ م، وزارة الثقافة والإعلام ببغداد، دار ثقافة الأطفال.

«ولكن هل يعني هذا أن يتصرف الأديب حيال الأطفال مثلما يتصرف رجل التربية أو عالم النفس وهو الأديب الفنان؟!

الجواب على ذلك: لا، لأن موقف أديب الأطفال كموقف الفنان التشكيلي إزاء لوحته الفنية التي يبدعها، إنه يتطلع إليها من بُعدٍ قريب بين حين وحين، ليعود ويحمل الفرشاة ليضيف لمسة أو يضيف إليها لوناً وهكذا.

ولا يكفي أن يعرف أديب الأطفال جمهوره جيداً، بل لا بد من أن يحترمهم، ويلقى في روعهم أنه صديق لهم، وألا يغالي بأستاذيته عليهم، أو أن يقلل من شأنهم أو يستخف بهم وبقدراتهم»[1].

يقول عبد التواب يوسف حول الكتابة للأطفال:

«إن خيال الطفل دنيا واسعة بلا حدود، تعيش فيها صور وشخصيات وأحداث ومرئيات، وإذا نحن لم نخلق[2] له هذه الدنيا، فإنه يبتكرها، ويوجدها، إنها دنيا يستبقيها الطفل مما يسمعه من قصص أو حكايات، ويعيد فيها تنظيم العالم حسب رؤيته، وكما يحلو له أن يصوره..».

«وأطفال اليوم قد ضاقوا بسذاجة الكتب التي تسمى كتب الأطفال وضاقوا (ببساط الريح) (وسندريللا) وغيرها، ورفضها كثيرون لأنها بالغة السذاجة، ولا تجدّد خيالهم، وفي الوقت الذي يستطيع هذا الخيال أن يغير الكثير من ذوقهم، وبالتالي يغير من عالمنا ذاته، ولهذا ينادي بعض الباحثين بألا نخاطب الطفل من أعلى خاصة في مجال الخيال، لأنه يسبقنا ويتفوق علينا في هذا الميدان بالذات»[3].

«كتاب الطفل فن أيضاً، إنه نتاج فكري فني يمر بمراحل مختلفة،

---

(١) أدب الأطفال، فلسفته فنونه وسائطه: هادي نعمان الهيتي.

(٢) الأفضل أن نقول (لم نصور أو نصف أو... ونتحاشى استعمال كلمة نخلق).

(٣) عبد التواب يوسف وأدب الطفل/ ٦٢ ـ ٦٣.

تبدأ في التأليف والإعداد، وتمر بالتحرير والرسم والتصميم والإخراج فالنشر فالتوزيع، لتنتهي بالتعزيز الإعلامي، والتشجيع على مختلف مستوياته، والمهم في هذا الأمر كتاب الأطفال الجيد، ولأن الكتاب الجيد هو غذاء العقل والروح مثلما يكون الطعام الجيد هو غذاء الجسم، فإن الكتاب السيىء يصيب العقل والروح بالهزال والفقر مثلما يفعل الطعام الذي يخلو من المقومات الغذائية[١].

(١) الكتاب والأطفال: محمد بسام ملص/ ٦٤.

الفصل الخامس

موضوعات أدب الأطفال وفنونه

تمهيد

النص الأدبي هو الذي يمتاز بالشروط الفنية الإبداعية التي تميزه عن النص العادي، وهذا الشرط ضروري لأدب الأطفال كما هو ضروري للأدب عامة[1]، ولا بد للمتلقي صغيراً أو كبيراً أن يدرك ما في النص من جمال، وأن تنتقل إليه تجربة الأديب الحية من خلال النص، والفرق بين أدب الأطفال وغيره يظهر في المستوى اللغوي والأسلوبي، وفي الموضوعات التي يتطرق إليها، أو القضايا التي يدور حولها.

وهذا يحتِّم على الكاتب أن يتعرف على عالم الأطفال، ويحدد المرحلة التي سيكتب لها، ويعرف قدرات الأطفال وخبراتهم فيها، ولا يحول ذلك أبداً دون تمتع ما يكتبه لأي سنة من سنوات الطفولة بالمميزات الفنية المتمثلة في جمال الأسلوب، وسمو الفكرة، وطرافة الخيال، شريطة أن يكون ذلك في حدود الطاقات الذهنية والنفسية للأطفال الذين يكتب لهم، وفي حدود خبراتهم ومهاراتهم التي يعرفونها.

وعند تحقق ذلك، يمكن للأديب أن يكتب في موضوعات كثيرة ما دام الأمر لا يتعلق بنوع الموضوع إلى حد كبير، وإنما يتعلق بالمستوى اللغوي والأسلوبي والفكري في عرض الموضوع[2] وما دام خاضعاً للشروط الفنية، مع الحرص على تصوير الأفكار والإحساسات والأخيلة

---

(١) أدب الأطفال ـ دراسة وتطبيق: عبد الفتاح أبو معال/ ١٦.

(٢) أدب الأطفال ـ فلسفته، فنونه ووسائطه: الهيتي/ ٧٢.

التي تتفق ومدارك الأطفال[١].

بل إن الكاتب يحرص على أن يصور للطفل الحياة الإنسانية كلها من خلال التصور الإسلامي، وفي حدود قدراته، ليساعده على النمو السوي، مع استغلال الطاقات الكامنة، وتفتيح المواهب والقدرات المخبوءة. ولقد توجه (مكسيم غوركي) الأديب الروسي الشهير برسالة مفتوحة يسأل فيها الأطفال عما يرغبون قراءته، وجاءه الرد في أكثر من ألفي رسالة يقول: «كل شيء»[٢].

وما دام الكاتب المسلم يعلم أن ما يكتبه سيسهم في بناء الطفل، وإعداده للحياة، إعداده ليكون مسلماً، يعرف منهجه، ومنهج الحياة. يعرف قدر الإنسان في هذه الحياة، وعلاقته بالكون وبخالق الكون عز وجل، ويعرف طبيعة الوشائج التي تربطه بالإنسانية بكل صورها وأشكالها، يعرف رسالته، ويعرف كل شيء حوله؛ ما دام الكاتب يعلم ذلك ويقدره، فإنه يختار موضوعاته من الحياة الإنسانية، من الحاضر والماضي، من الواقع والتاريخ، من المجتمع والأسرة، من عالم الإنسان وعالم الحيوان وعالم النبات وعالم الجمادات، من أحداث الحياة الدنيا، وصور الآخرة.. كل ذلك يدخل في مضمون أدبه شريطة ألا ينسى قدرات الطفل وإمكاناته وفطرته التي فطره الله عليها..

---

(١) المصدر السابق/ ٨٧.

(٢) يرى بعض الباحثين تقسيم مجالات كتب الأطفال إلى ما يلي: (النواحي الثقافية، والنواحي الخلقية، والنواحي الروحية، والنواحي الاجتماعية، والنواحي القومية، والنواحي العقلية، والنواحي الجمالية، والنواحي الترويحية)، أدب الأطفال مبادئه ومقوماته الأساسية: محمد محمود رضوان وأحمد نجيب، وزارة التربية/ ١٢.

أهم الموضوعات لأدب الأطفال

ولكنني مع هذا سأتوقف عند بعض الموضوعات التي أراها أكثر أهمية من غيرها في أدب الأطفال.

١ ـ الموضوعات التوجيهية التربوية:

وتضم الموضوعات التي تدور حول أمور العقيدة، والقرآن الكريم وتفسيره، والحديث الشريف وشرحه، والآداب الإسلامية، والعلاقات الاجتماعية، وبعض الأمور المتعلقة بالسيرة والتاريخ.

وقبل الحديث عن هذه الموضوعات بشيء من التفصيل أود التوقف عند هاتين الملحوظتين:

أ ـ لم أستخدم مصطلح (الموضوعات الدينية) لأن ذلك قائم على فكرة الفصل بين الدين والحياة، فكأننا نطبع في أذهان الأطفال والناس أن الدين لا علاقة له بالحياة! هناك أمور خاصة تتعلق بالدين، وللدين رأيه فيها، وهناك الحياة ولنا رأينا فيها. ويدهي أن الحياة ـ كما يصورها بعضهم ـ هي الحياة التي تعرفها أوربا وأمريكا وروسيا.

وهذا مفهوم كنسي علماني غربي بعيد عن ديننا وحياتنا، فالإسلام ليس معتقداً باطنياً، أو فلسفة فكرية، الإسلام منهج حياة متكامل يدخل في أدق خلجات الفرد، وينتهي بأكبر قضايا الإنسانية وعلاقات الأمم، ويأخذ أكبر ما يمكن تصوره من المساحة الزمنية ابتداء من كون الإنسان مخلوقاً في طيات الغيب، إلى عالم الآخرة. ولذلك فكل موضوعاتنا

تنطلق من الإسلام، وإذا أفردنا القرآن الكريم والحديث الشريف بفقرات خاصة، فلأنها تدخل في باب التخصص، أو الاطلاع على أساسيات لا بد منها من المصدرين الأساسيين لمنهجنا وحياتنا، وأي موضوع من هذه الموضوعات أو غيرها يعرض من خلال التصور الإسلامي يصبح أدباً إسلامياً. ولهذا فإن كل الموضوعات تدخل في نطاق المصطلح الإسلامي ما دامت تتوافق أو لا تتعارض مع التصور الإسلامي للحياة.

ب ـ قد يبدو أن هناك شيئاً من التداخل بين الموضوعات، والفنون الأدبية، والأهداف، والحقيقة أنه لا تعارض بين ذلك كله، وإنما ترابط وتشابك، وطرْقٌ للموضوع من شتى الجوانب لتكتمل الصورة وتتضح بالقدر الممكن.

ونعود إلى الموضوعات التوجيهية التربوية حيث تضم أموراً كثيرة أساسية، نكتفي بالتوقف عند بعضها ـ إن شاء الله تعالى ـ.

ولقد أطلقت عليها صفة (توجيهية وتربوية) لأن أهم أهدافها هي التوجيه والتربية، ولأنها تهتم ببناء الأساس العقدي والسلوكي عند الطفل، وغرس القيم والأخلاق لانتهاج السبيل المناسب والأسلوب الأمثل في الحياة.

وما دام الأدب وسيلة ـ عند المسلم ـ من الوسائل المهمة التي تساعد على تربية النشء وتوجيههم لممارسة الحياة الإسلامية، فإن هذه الموضوعات مهمة، تحتاج إلى جهود جادة من الأدباء، ومواهب متمكِّنة لتقدم للأطفال أدباً ناجحاً جميلاً مؤثراً، يَتَّسِمُ بالأصالة، والعمق، وشِدَّةِ التأثير؛ ليرفد الحياة الإسلامية ويدعم الصحوة المباركة.

والأدب الذي نود أن يبدعه الأدباء هو الذي يصاحب الطفل في مراحل نموه، ويلبي حاجاته الفكرية والعاطفية والسلوكية، ويوفِّر له المتعة والفائدة، ويترك في نفسه كل يوم أثراً من الآثار الإيجابية البنَّاءة في شتى النواحي والمجالات، ليسهم في إعداد الجيل ليكون لبنة بناءة في المجتمع المسلم.

وتضم موضوعات هذا القسم كثيراً من الجوانب التربوية الأساسية التي يحتاجها الطفل ومنها:

أ ـ موضوعات بناء العقيدة وتأسيسها ـ وتعميق مفهوم الإِيمان المرتبط بالوعي في نفس الطفل:

ويمكن تحقيق هذا بشتى الأساليب والأنواع الأدبية، في الشعر والقصة، والتراجم والسير والمقالة، والحوارية، كل هذه الأنواع تصلح لاستيعاب هذه الموضوعات، وتحقيق الغاية منها، ولقد أسهم عدد كبير من الأدباء في مثل هذه الموضوعات[1].

والمهم أن تنال هذه الموضوعات عناية خاصة من الأدباء في طريقة عرضها، وأسلوب تناولها، لكي يتسنى للطفل فهم عقيدته، وتمثلها في حياته. ولا يتحقق ذلك إلا إذا أحاط الأديب بموضوعه، وفَهِمَهُ فهْماً عميقاً واضحاً، مع درايته بما يناسب الطفل وما يتلاءم مع المرحلة التي يكتب لها، فضلاً عن فهمه للفطرة الإنسانية كما خلقها الله عز وجل، مزودة بالحواس والملكات والوسائل التي تمكنه من معرفة عقيدته **﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾**[2].

والطفل بفطرته يتلهَّفُ للّجوء والركون إلى قوة عظيمة تشد أزره وتوجهه، وتفسر له كثيراً من ألغاز الحياة، أي بفطرته مهيأ لفهم عقيدته التي تَصِلُهُ بِربِّه ـ عز وجل ـ وتجعله مطمئناً واثقاً في حياته.

---

(١) لقد كتب عدد كبير من الكتاب والشعراء الإسلاميين للأطفال في هذا المجال، نذكر منهم على سبيل المثال «عبد الودود يوسف، محمود أبو الوفا، إبراهيم أبو عبادة، يوسف العظم، عبد التواب يوسف، محمد موفق سليمة، عبد القادر حداد، محمد أحمد برانق، يحيى الحاج يحيى، محمد عدنان غنام، وغيرهم».

(٢) النحل الآية: ٧٨.

ولا يصل الطفل إلى العقيدة بالاستدلال المنطقي، أو بفحص الوقائع التي ترد إليه عن طريق حواسه، وإنما يتمثلها فيما يتمثل من أحكام وأفكار ومشاعر عن طريق والديه وأهله وأساتذته وعشيرته ومجتمعه، والطفل قادر على امتصاص كثير من العواطف والمشاعر والمعارف من هذه البيئات المحيطة به[1]، والكتابُ وسيلة مؤثرة في حياة الطفل يستعين بها الوالدان والأساتذة والمجتمع لتصوير العقيدة، ولتقديم النماذج والصور التي تمنح الطفل هذه المشاعر والمعارف لبناء عقيدته. ولا سيما أن عاطفة التدين في الطفولة مظهر من مظاهر الخلق عند الأطفال، وما يبذر في نفس الطفل في مراحله المبكرة سيظهر أثره في حياته، والعقيدة تترسخ شيئاً فشيئاً من خلال هذه الصور، وتختلط في أعماق الوجدان مع كينونة الإنسان منذ أيام الطفولة[2].

وتنمية الإيمان في نفوس الأطفال لا تحتاج إلى تعقيدات المصطلحات وتقسيمات أصحاب الجدل، وإنما تحتاج إلى الأسلوب القرآني الواضح الدقيق، الذي يثير في وجدان الطفل وفكره ذلك التطلع الواعي إلى قدرة الله عز وجل، ويربط بين مظاهر الكون وعظمة الله وعلمه وحكمته وقدرته، ويفتح منافذ الوعي لمعرفة الله عز وجل[3].

ومهمة الأديب شاقة حين يتصدى للكتابة من أجل الأطفال في هذه الموضوعات، لأنه مكلف بتحقيق المزية الفنية فيما يكتب ليكون أدباً، مع مراعاة مستوى الأطفال وقدراتهم ومدى خبراتهم، وتحقيق أهداف الموضوعات التي يختارها ليكون ما يكتبه واضحاً ذا قيمة، قادراً على التفاعل مع تفكير الأطفال ووجدانهم.

---

(١) الكتاب السنوي للجمعية المصرية، للدراسات النفسية: د/ سمية أحمد فهمي، وحدة لتنمية الشعور الديني عند الأطفال/ ٥٣.

(٢) التربية وطرق التدريس: د/ عبد الكريم عثمان رحمه الله.

(٣) هموم داعية: للشيخ محمد الغزالي/ ٥١.

والأمر الأهم أن يكون على بيِّنة ووضوح لأمور العقيدة، وموضوعات الإيمان: أركانها وأطرافها، حتى لا تصبح كتابته ترداداً لكلمات أو مصطلحات مما أُغْرِمَ به كثير من ضيِّقي النظر، من حفظة المصطلحات ومحبي الجدل، ولن يتحقق ذلك للأديب إلا باطلاعه الواسع على كتاب الله ـ عز وجل ـ مع فهم لما ورد في تفسير الآيات الدالة على العقيدة، المثيرة لوجدان الطفل لكي يرتوي من معينها. والأديب أيضاً بحاجة للاطلاع على ما ورد في حديث رسول الله ﷺ، ثم في أقوال الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ والتابعين حول موضوع العقيدة، ليكون في وسعه اختيار ما يراه مناسباً لكل سن ومرحلة من مراحل الطفولة، ولا يكفي الأديب في هذا الشأن ما ورثه أو حفظه من بعض الآيات، أو ما يمكن أن يستخلصه من التأمل الفكري في بعض السور القرآنية كما يفعل بعضهم.

ويمكن أن تدور هذه الموضوعات حول معاني بعض الآيات أو السور القصيرة التي لها صلة بجانب من جوانب العقيدة، أو حول حديث شريف، فيكون له صلة بالتفسير أو شرح الحديث.

ويمكن اختيار حوادث من السيرة النبوية أو التاريخ الإسلامي فيكون للموضوع صلة بالتاريخ أيضاً.

ويمكن أن يكون للموضوع صلة بمظهر من مظاهر الكون: من نجوم وكواكب وشمس وقمر وليل ونهار وبرق ورعد، ورياح ونبات وحيوان.. إلخ. أو بصورة من صور الاكتشافات والإبداعات العلمية الحديثة والقديمة.

وأما طريقة عرض هذه الموضوعات فإنه يخضع لاختيار الكاتب وتقديره لما يناسب الفكرة والمستوى الذي يريد الكتابة له.

ب ـ موضوعات قرآنية:

وهي الموضوعات التي تهدف لربط الطفل المسلم بكتاب الله ـ عز

وجل ـ وتذوق الأسلوب القرآني، والاتصال العملي بأجلى صور الفصاحة العربية، مع فهم معاني السور، ومراميها بما يناسب سن الطفل، وخاصة السور والآيات التي يحفظها الطفل في هذا السن ويرددها في صلواته.

وإذا كان التفسير مصدراً لمثل هذه الموضوعات، فإن الأديب يحتاج إلى قدرة خاصة لاستيعاب معاني الآيات وعرضها بصورة ملائمة[١]. ومن الموضوعات القرآنية، عرض سير الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام[٢] ـ من خلال الآيات التي تحدثت عنهم، وعرض قصص الأمم السابقة والحضارات المندثرة.

ومن الموضوعات القرآنية كثير من الموضوعات الخاصة بالمجتمع والآداب والسلوك والعادات الاجتماعية، من خلال قصص وحواريات وغير ذلك، مثل «أصحاب القرية» «صاحب الجنتين» «قابيل وهابيل»[٣]. ولا ننسى مرة ثانية التأكيد على المستوى الفني، والتعبير الأدبي، والعرض

---

(١) أشير هنا إلى محاولة بهذا الشأن لعرض معاني عدد من السور القصيرة وبعض الآيات القرآنية شعراً تحت عنوان (أنا أقرأ وأفهم كتاب الله) للأستاذ محمد موفق سليمة.

(٢) هناك كتب كثيرة في هذا الموضوع وأهمها قصص النبيين لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي.

(٣) أشير هنا إلى ما كتبه الشهيد سيد قطب، وعبد الحميد جودة السحار منذ أكثر من ثلاثين سنة، ثم صدرت الطبعات الأخيرة باسم السحار وحده ومنها (آدم وحواء) و (قابيل وهابيل) و (إرم ذات العماد) و (ناقة صالح) و (فداء إسماعيل) و (يوسف الصديق) و (تحقيق الرؤيا) و (مدين وشعيب) و (موسى والعصا) و (موسى والألواح) و (موسى والرجل الصالح) و (داود) و (سليمان وبلقيس) و (عيسى بن مريم) و (أهل الكهف) و (قدرة الله) وهناك كتب كثيرة أخذت موضوعاتها من كتاب الله، ليس هنا مجال لحصرها، ومنها «حكايات عن القرآن الكريم»؛ بحلقات كثيرة جمعت بأربعة أجزاء ومؤلفها عبد الودود يوسف. وكذلك ما ينشر باسم (كتاب المسلم الصغير) عدد من الأجزاء من إنتاج وحدة ثقافة الطفل بشركة سفير بمصر.

المؤثر الذي يجعل من هذه الموضوعات أدباً، فضلاً عن وضوح الهدف لتعميق الإيمان بالله وبرسله وكتبه واليوم الآخر، مع غرس محبة الله ورسوله، والإقبال على كتابه، والخوف من عذابه، والإقبال على طاعته.

جـ ـ موضوعات من الحديث الشريف:

وفي الحديث الشريف كنز لا ينضب لأدب الأطفال، يمدُّ الكاتب بشتى الموضوعات في العقيدة والآداب، والعلوم الكونية المختلفة والسيرة والشعائر التعبدية، وقصص الماضين.

وهذا الكنز يحتاج لمن يبحث فيه وينقب ليختار الموضوعات الملائمة لشتى المستويات، والاختصاصات.

والحديث مليء ـ كما يقول الشيخ أبو الحسن الندوي ـ «بالأدب الطبيعي الجميل القوي». وكُتبُ الحديث «تشتمل على معجزات بيانية وقطع أدبية ساحرة تخلو منها مكتبة الأدب العربي ـ على سعتها وغناها. وهي الكتب التي حفظت لنا مناهج كلام العرب الأولين، وأساليب بيانهم».

«وهي تشتمل على روايات قصيرة وطويلة، وكلها أمثلة جميلة للغة العرب العرباء، ويجد فيها دارس الأدب العربي من البلاغة العربية والقدرة البيانية، والوصف الدقيق، والتعبير الرقيق، وعدم التكلف والصناعة ما يقف أمامه خاشعاً معترفاً للرواة بالبلاغة والتحري في صحة النقل والرواية، وللغة العربية بالسعة والجمال»[1].

ولكن هذا الكنز الأدبي، البياني المعجز[2] بحاجة إلى جهد جاد

---

(١) انظر كتاب الأدب: لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي، منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية/ ٢٢ ـ ٢٣، ط ١.

(٢) انظر: وحي القلم: مصطفى صادق الرافعي جـ ٣ ص ٣ السمو الروحي والجمال الفني في البلاغة النبوية دار الكتاب العربي.

صادق من الأدباء والدارسين لاختيار الموضوعات، وإبراز هذه الروائع الجميلة. ولا ننسى الإشارة إلى حاجة الأديب هنا ـ عند الأخذ من الحديث الشريف ـ إلى معرفة بعض الأمور الأساسية عن علوم الحديث، ليكون عمله واختياره قائماً على أساس وثيق، وليعرف موضع الحديث ومكانته ومناسبته ودلالاته المختلفة، فضلاً عن توثيقه وتخريجه وصلته بالأحكام والسنن والآداب. وحين يلتفت الأدباء للحديث الشريف سيظفرون بمئات الموضوعات ومئات الصور، والقصص، والمواقف التي تثري أدب الطفل.

وكذلك لا بد من تأكيد الهدف ووضوحه لغرس العقيدة أولاً، ولمحبة الله ورسوله في نفوس الأطفال ثانياً، من حديث رسول الله ﷺ: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله»[1].

وفي الحديث الشريف مجال واسع لإكساب الطفل السلوك القويم، وتربيته التربية الإسلامية الصحيحة بشتى الأساليب والطرق من خلال العرض المناسب والأسلوب المشوق.. وهذا ما يشير إليه حديث رسول الله ﷺ: «ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»[2].

بل كان رسول الله ﷺ بأسلوبه اللطيف، وأحاديثه العذبة، وتوجيهه المؤثر يؤدب الصغار ويربيهم.

عن عمر بن أبي سلمة ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنت غلاماً في حِجْرِ رسول الله ﷺ: فكانت يدي تطيشُ في الصحْفَةِ فقال رسول الله ﷺ: «يا غلامُ، سمّ اللّهِ تعالى، وكُلْ بيمينك، وكل مما

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه ابن ماجه ـ كتاب الآداب، باب بر الوالدين والإحسان إلى البنات ٢ ـ ١٢١١.

يليك»[1]. فمعالجة الآداب الإسلامية، والسلوك الاجتماعي، والتعامل مع الآخرين وكل مسائل التربية يمكن أن تطرح بأسلوب أدبي من خلال هذه الموضوعات.

فهل يستطيع الأدباء المسلمون تحقيق ذلك بالأسلوب المناسب؟ وهل يستطيع كتاب أدب الطفل المسلم أن يعيدوا ـ من خلال إبداعهم ـ ربط الصلة الحقيقية بين أطفالنا وناشئتنا وبين كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله ﷺ؟

إن المهمة شاقة، وسط الضجيج الماكر في الأوساط الأدبية التي تهيمن عليها العلمانية، وإن المهمة صعبة إن لم يتجرد لها أدباء أخلصوا لله نياتهم وجهدهم، وحققوا شرط الإحسان والإجادة في عملهم. ومن لم يعش مع كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله فكراً وسلوكاً، ومن لم يتذوق أسلوب القرآن بكينونته كلها، ويتمثله قدر طاقته بسلوكه، لا يستطيع أن ينصب للنشء جسراً يعبرون عليه إلى عالم القرآن الكريم، وحياة رسول الله ﷺ.

والذين يتحرجون من تقديم موضوعات من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف لأسباب ومبررات، قد يكونون ممن لم يستطيعوا أن يستظلوا بظل القرآن، أو أن يتذوقوا هذا السمو الجمالي الخالد، أو أن يتعرفوا على هذا النوع الأشْرَف من التعبير الأدبي الأَصْفَىٰ، ولكن ذلك ليس مبرراً للقعود.

والأجيال بحاجة شديدة إلى تذوق التعبير القرآني، وتعبير الحديث الشريف، ومعرفة أوجه الجمال. وصور الحياة مع هذه الآيات الجمالية، حتى لا تأخذهم أمواج التغريب، مرة باسم المذاهب الأدبية، ومرة باسم الحداثة، ومرة باسم التطور، ومرة.. ومرة.. فتتسع الهوة بين الأجيال

(١) رواه ابن ماجه ـ كتاب الأطعمة، باب الأكل باليمين.

وكتاب الله وسنة رسوله، وتراث الأجداد، وتغدو أذواقهم غير تلك الأذواق، وجمالياتهم غير تلك الجماليات، وصبغتهم غير صبغة الله التي أرادها لعباده المسلمين!! وبالتالي يختفي ذاك السحر الذي يهزُّهم عندما يتلون كتاب الله ـ عز وجل ـ ولعل ذلك هو الهدف الرئيسي الأبْعَدُ لسدنةِ الحداثة، ورواد العلمانية، وأصحاب التغريب.

ومهمة الأدب الإسلامي أن يشكل أذواق الأجيال القادمة كما يقتضيها الإسلام، أذواقاً مرتبطة بالمنهج الشامل للإسلام، وأن يعيدها إلى دنياواتها النظيفة، إلى عالم الفطرة السليمة، والسلوك الصحيح، والأخلاق الفاضلة.

ومهمة الأدباء أن يضعوا قدراتهم ومواهبهم الإبداعية لتحقيق هذا الهدف مع الأهداف الأخرى، ولتقديم الصور الأخاذة والموضوعات المؤثرة من معين كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.

جاء في طبقات ابن سعد أن أبا عبد الرحمن السلمي قال:

«إنا أخذنا هذا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، ويعملوا بهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وإنه سيرث القرآن بعدنا قومٌ يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم، بل لا يجاوز حلوقهم».

ونخشى أن تصبح الأجيال المسلمة من هؤلاء الذين تحدث عنهم هذا الراوي.. فماذا يقول الأدباء؟

د ـ موضوعات السيرة النبوية:

يذكر سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي أن في كتب السيرة والتاريخ كنوزاً أدبية، ولكنها تكاد تكون ضائعة وتحتاج إلى من يبحث عنها، ويستعرضها من جديد[1].

---

(١) نظرات في الأدب/ ٣٤.

وهذه الحقيقة يدركها كل من قرأ في «كتب السيرة، والتاريخ، وكتب الطبقات والتراجم والرحلات، وفي الكتب التي أُلِّفت في الإصلاح والدين والأخلاق والاجتماع. وفي كتب الوعظ والتصوف، وفي الكتب التي سجل فيها المؤلفون خواطرهم وتجارب حياتهم، وملاحظاتهم وانطباعاتهم ورووا فيها قصة حياتهم»[1].

ومن يتمعن في كثير من النصوص في هذه الكتب يتذوق جمال القطع الأدبية التي تزخر بها، فضلاً عما فيها من أحداث وأخبار ومشاهد وصور من تاريخنا تسهم في تربية أطفالنا وتنشئة أجيالنا[2].

وأذكر على سبيل المثال تلك الرواية التي حدثنا فيها الصحابي الكريم كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن تخلفه في موقعة تبوك مع صاحبيه[3] ثم ما تبع ذلك من مقاطعة رسول الله ﷺ والمسلمين لهم حتى نزول آية التوبة[4]. والرواية قطعة أدبية رائعة، ولوحة فنية جميلة، وقصة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أليس من الغريب والسذاجة أن نقبل من المستغربين والعلمانيين استخدام الأساطير، والروايات الخرافية التي امتلأت بها كتبهم وتاريخهم، وأن نعد ما ينسجون حول هذه الأساطير من خرافات وأوهام، نوعاً من الأدب والفكر، وسمة من سمات الإبداع، وأن تؤلف الكتب للبحث عن أثر ذلك في الإبداع، بينما يخجل بعض المهزومين من العودة إلى كتاب الله ـ عز وجل ـ وإلى حديث رسول الله ﷺ، أو الأخذ من تراثنا الحي، ويعد ذلك نوعاً من التخلف والرجعية، ويهتمون بدلاً من ذلك بكتب الأساطير الشعبية، أو الكتب التي تركها أصحابها لتشويه صورة المسلمين ومحاربة الدولة الإسلامية مثل (ألف ليلة وليلة).

(٣) الثلاثة الذين تخلفوا وتاب الله عليهم هم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي.

(٤) رويت قصة التخلف والتوبة في كتب الحديث (صحيح البخاري وصحيح مسلم من حديث الزهري ومسند الإمام أحمد والترمذي والنسائي، وأبو داود، وفي السيرة والمغازي وكتب التفسير والتاريخ).

واقعية مؤثرة[1]، ولو وردت هذه الرواية في كتب الأمم الأخرى لبرزت من عيون الأدب العالمي الذي يتحدث عن همسات النفوس، وخلجات المشاعر، ووساوس الأعماق وصراع النفس.

فالسيرة العطرة معين عذب للأدب العالمي بعامة، والأدب الإسلامي بخاصة، وفيها ما يخص الكبار وما يصلح للصغار. وفيها ما يخص الرجل والمرأة، وما يهم كل الناس وكل الأمزجة وكل المجتمعات. وهي تصور حياة واقعية، تزخر بالمشاهد والمآثر، وهي لا تزال إلى اليوم وستبقى تحمل ذلك النبض الإنساني الصادق، والصورة البشرية المؤثرة، إنها وقائع وأحداث، وصور ومناهج وأحكام، وأوصاف وحوارات، وتاريخ يتحرك بصدق وحرارة.

معين زاخر بشتى الموضوعات والأغراض والأنواع والأساليب، ومع ذلك ما تزال هذه الكنوز رهينة الكتب، والروايات.. وإذا بدأنا نرى بعض الكتابات التي استمدت موضوعاتها من السيرة، فإنه ما يزال هناك مجالات كثيرة للكتابة فيها ولعرض صور جديدة منها، وما يزال هناك بعد كبير عن الصورة التي نتطلع إليها في عرض السيرة بالأسلوب الملائم، والطرائق المناسبة لمراحل العمر المختلفة.

وإن أدباءنا ما زالوا بعيدين عن استغلال السيرة والاستفادة منها، وإخراج مكنوناتها في إبداعاتهم المختلفة. لا عن طريق السرد والنظم والحكايات، وإنما عن طريق تمثّل هذه الأحداث وفهمها ثم الأخذ من معينها لإبداعاتهم المختلفة.

والأطفال أكثر حاجة من الكبار لفهم سيرة الرسول ﷺ، ومعرفة

---

(١) كعب بن مالك الأنصاري، الصحابي الشاعر الأديب: للدكتور محمد علي الهاشمي ط ١/ ٣٦٩ ـ ٣٨٩. وقد كتب عنها الأديب محمد موفق سليمة في ثلاثياته.

جزئيات حياته وحياة صحابته؛ لكي تصبح هذه السيرة قدوة ونبراساً لهم، ولكن هذه الحاجة لا يشبعها سرد الوقائع واستعراض الأحداث، وإنما تحتاج إلى أديب ينقل هؤلاء الأطفال إلى تلك الحياة، ليعيشوا وسطها، وليتفاعلوا معها، أو من ينقل تلك الحياة إليهم لكي يمعنوا فيها، ويتملّوا منها، ويقبسوا منها ما ينير لهم طريق حياتهم[1].

إن المعين طيب وغزير ولكنه يحتاج إلى الإبداعات المتميزة والأساليب المبتكرة، والأخذ الحسن لتقديمه للأطفال بصورة مناسبة.

هـ ـ موضوعات تاريخية:

وفي تاريخنا الإسلامي موضوعات كثيرة عن المجتمع الإسلامي، والدعوة الإسلامية، وعن أحداث ومعارك، عن تاريخ الدعوة وخطواتها، وعن سِيَرِ الدعاة والعلماء والقضاة والأدباء وبطولات المجاهدين والفاتحين، وصدق العاملين في سبيل الله.

وإذا كان التركيز في كتابة التاريخ المدرسي على الوقائع والأحداث المتعلقة بالحكم والحكام، فإنه من الحق أن نبسط حقائق التاريخ الإسلامي بكل أبعاده ـ كحضارة أقامها منهج شامل ـ منهج إلٰهي حوَّل أشتاتاً من البشر الأميين إلى أمة حضارية، فكان هذا التاريخ الممتد وقائع، وعلوماً، وفنوناً، ومجتمعات، وحضارة تظلل مساحات شاسعة من العالم، ظلت ممتدة إلى نهاية القرن الماضي تقريباً.

فتاريخ الإسلام ليس تاريخ الخلافات والصراعات والمعارك والأمراء، والقادة كما يصوره البعض، وإنما هو هذا الجزء مع تاريخ الأمة التي صنعتها الرسالة، فحملت الدعوة للإنسانية، وتاريخ الدعوة والدعاة والعلماء والحكماء.

---

(١) انظر ما كتبه الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه (في الطريق إلى المدينة) عن أثر السيرة الحية في نفوس الصغار، فصل (الكتاب الذي لا أنسى فضله).

وكم في مثل هذه المساحات الشاسعة من هذا التاريخ من أحداث وأمور تجري على يد البسطاء الذين أصبحت كلماتهم نورانية تضيء دروب الأمة، وأعمالهم ثمرات من فيء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومثل هذه المساحات تستحق أن تبرز وتنقل للأجيال، وتبسط أمام الأطفال، والناشئة حتى يتعرفوا إلى أبعاد تاريخهم الذي صنعه الإسلام، وحتى لا يحاصروا من قبل الخبثاء بالأحداث المتصلة بالحكم، أو بالحوادث التي تتعلق بالخلافات والحروب.

وكذلك في الغزوات والمعارك والفتوحات قصص لأعمال بطولية ذات وجوه متعددة تصلح للملاحم، والروايات، وتصلح لكي تضيء صورة هذا التاريخ وتكشف عن حقائق هذه الحضارة.

وفي كتب الأدب والتراجم والسير والأمالي والأخبار من القصص الواقعية معين ثرٌّ لأدب الطفل المسلم.

و ـ الموضوعات الاجتماعية:

وبعضها من التاريخ، وبعضها من الواقع، وكلها تسهم برسم صورة الطفل الذي نريد، وبناء فكره وسلوكه من خلال ما يبسط له من الصور الحية الناطقة بشتى الفضائل، والأعمال، والتي تريه صورة الحياة الإسلامية الناطقة من خلال هذه الموضوعات التي تغطي شتى الجوانب السلوكية والاجتماعية.

وينبغي أن تغطي هذه الموضوعات مساحة كبيرة من الآداب والعادات والسلوك الاجتماعي الذي نريده للطفل من خلال تصوير الأدب لما نريده بالحكايات والقصص، وبرسم الشخصيات، وتمثيل الأحداث من خلال بسط المواقف، ونقل العبر، فتنتقل هذه الصور إلى الطفل بطريقة سهلة، وتتمثل في ذاته الأخلاق والآداب والعادات التي نريدها بدون عناء، بل نقضي على كثير من الأمور السلبية التي تعاني منها مجتمعاتنا بهذه الطريقة أيضاً، عندما يعيش الأديب في مجتمعه، ويعرف كيف ينقل للطفل

ما يريد ليقرأ ويتفاعل، ويشعر بالتواصل والمحبة بينه وبين الحياة التي يراها حية متحركة في كتاب الطفل. وفي كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله ﷺ وفي السيرة وكتب التاريخ معين لا ينضب لموضوعات الحياة الاجتماعية المناسبة للطفل.

٢ ـ الموضوعات المتعلقة بالعلوم التطبيقية:

لقد وجه القرآن الكريم أنظار الإنسان إلى ما حوله من كائنات ومخلوقات لأنها تدل على قدرته وعظمته سبحانه وتعالى، ولأن استخلاف الإنسان في الأرض يقتضي أن يتعرف إلى ما يحيط به، وما يتعلق بحياته، وما يحمله من عوالم لكي يتسنى له تسخير ما لديه للقيام بمهمة الاستخلاف.

﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾[١].

﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[٢].

﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾[٣].

وفي العلوم التطبيقية، وما وصلت إليه من اختراعات واكتشافات، مجالات واسعة لاختيار موضوعات لأدب الأطفال، تضيف إليهم بعداً في التفكير، وتحفزهم للعمل والبحث، وتطلق لأخيلتهم العنان لارتياد

---

(١) سورة ق: الآية ٦، ٧.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٢١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩٠، ١٩١.

المستقبل بوعي، وتضعهم في طريق البحث والتفكير العملي المثمر، فضلاً عما تحدثه من عمق في الإيمان بعظمة الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ عند التعرف على هذه النواميس الكونية الدقيقة التي تنتظم الخلق والكون كله . .

ففي عالم الإنسان، وعالم الحيوان، وعالم النبات. وفي الآلات، والمخترعات مجال لأدب الأطفال.

والأديب يستطيع أن يستفيد من موضوعات العلوم التطبيقية المختلفة، وعلوم الحياة، وأن يعرض صوراً وتجارب ورحلات واستطلاعات واكتشافات بطريقة تناسب مراحل الطفولة، وهناك أمثلة على ذلك مما نشر تحت عنوان: «من أقاصيص الطبيعة» وهي «سلسلة من الكتيبات العلمية أعدت خصيصاً للأطفال ما بين السابعة والثانية عشرة من العمر، وغايتها تقديم المادة العلمية بلغة قصصية شيقة مع الرسوم الملونة الجميلة»[١].

وتتناول هذه السلسلة علوم الحياة، والعلوم الطبيعية العامة؛ يتعلم منها الطفل بكل يُسر خصائص صنوف من الحيوان والنبات وغير ذلك مما هو مُسخر للبشر من طاقات الطبيعة وفوائدها جميعاً للإنسان. وتحرص هذه السلسلة على إغناء لغة الطفل بحيث يكتسب من هذه السلسلة أكثر من ألفي كلمة جديدة تعبر عن خمسمائة فكرة أو مفهوم على الأقل[٢].

---

(١) من مقدمة هذه السلسلة، انظر مثلاً «حكاية نحلة» دار دلفين للنشر ط ١٩٨٢/٢ م بإشراف الدكتور/ محمد هيثم الخياط. وهو أستاذ جامعي مختص.

(٢) المصدر السابق وتضم السلسلة المؤلفة من (١٦) قصة ما يلي: «حكاية نحلة، قطرة الماء، أقصوصة التفاح، ناسجة الحرير، الزهرة الغريبة، أسرار الطاقة، الدولاب العجوز، بكرة الخيوط، الخضروات، حوار النار، البيضة المسروقة، النجم السعيد، حكم المباراة، النملة المنقذة، موسم الحصاد» وهذه المحاولة الناجحة صورة عملية لعرض مختلف الموضوعات العلمية بطريقة أدبية مفيدة وهادفة.

ومثل هذه الموضوعات تحتاج من الأديب إلى أمرين:

١ ـ فهم الموضوع الذي سيكتب عنه للأطفال، والإحاطة به من الناحية العلمية الاختصاصية بشكل يسمح له بالتصرف في عرض المعلومات واختيار المناسب منها بشكل يتلاءم مع السن والمرحلة والهدف.

٢ ـ القدرة على اختيار الأسلوب السهل الواضح، والمفردات العلمية المناسبة، والطريقة التي تجعل الموضوع مشوقاً مستساغاً مفهوماً من الطفل.

وكل ما يتعلق بعالم الحيوان والنبات، ومظاهر الحياة والبيئة ينضوي تحت هذا القسم ويخدم الأهداف المحددة لأدب الأطفال، كما يمكن ـ في هذا القسم ـ استخدام الخيال العلمي للوصول إلى المطلوب[١].

وفي مثل هذه الموضوعات فائدتان أساسيتان:

الأولى: زيادة خبرة الطفل العلمية، وزيادة ثروته من المعرفة لمختلف العلوم، مع بذر بذور الملاحظة والتجربة والبحث والتنقيب والاستنتاج لدى الطفل.

والثانية: تعميق إيمانه، وزيادة وعيه، وربط هذا الإيمان بالمظاهر التي ترسخ هذا الاعتقاد، وتزيده وعياً وثباتاً، لا سيما إذا أحسن الأديب ـ بطريقة غير مباشرة ـ الربط بين هذه العلوم والخلاّق العظيم، وتفسير هذه النواميس الدقيقة التفسير الإسلامي الصحيح، والإشارة إلى علاقة الإنسان بالكون، وأن من تكريم الخالق ـ عز وجل ـ له استخلافه في الأرض، وتسخير هذه المخلوقات له، ومنحه القدرة على فهم هذه النواميس واستخدامها. . إلخ.

---

(١) للمؤلف محاولة في هذا الباب تحت عنوان «المعمل العجيب» براعم الإيمان العدد/ ١٦٠/ شوال ١٤٠٨ هـ (يونيو) حزيران ١٩٨٨ م.

وهي مهمة تحتاج إلى قدرة من الوعي والإبداع، ولكنها ستعطي أعظم النتائج التربوية في عالم الأطفال، إضافة إلى الفوائد الأخرى كزيادة الثروة اللغوية وغيرها من الفوائد.

فنون أدب الأطفال

أدب الطفل عمل إبداعي[1] هادف يحتاج إلى موهبة مدربة، تستعين بالعلم والدراسة، وتعرف قواعد هذا العمل الذي تمارسه، مع وضوح الهدف الذي تسعى إليه.

وهناك فنون كثيرة في أدب الأطفال. منها القصة، والشعر، والمقالة، والحوارية (المسرحية) والسيرة وغير ذلك من الأشكال الأدبية، وسوف نستعرض في هذا الفصل أهم هذه الفنون.

القصة في أدب الأطفال:

القصة من الأشكال الفنية المحببة للطفل، لأنها تتميز بالمتعة والتشويق، مع السهولة والوضوح.

وللقصة أهداف كثيرة: عقدية، وتربوية، وتعليمية، وترفيهية.. شريطة نجاحها أسلوباً ومضموناً في كسب شغف الطفل واهتمامه، وإثارة التفكير والبحث عنده، ولهذا فإن المسلمين قد اعتنوا بالقصة، واستخدموها في مجال التربية والتعليم[2].

يحكي المقريزي أن علياً ـ رضي الله عنه ـ صلى بالناس مرة فقنت ودعا على قوم من أهل حربه، فلما بلغ معاوية أمر قصَّاصاً ليجلس للناس بعد صلاة الفجر، وبين صلاتي المغرب والعشاء ليدعو له ولأهل الشام

---

(١) أدب الطفل في ضوء الإسلام: د/ نجيب الكيلاني/ ٤١.

(٢) الخطط للمقريزي: ٢/ ٢٥٣.

بواسطة القصص[1].

وبدأ القصص منذ سنة ٣٨ هـ في مصر، حيث يرى أحد الباحثين أن فن القصة فن قديم عرفته العربية قبل الإسلام وبعده، إذ أن «حركة التاريخ والقصص كانت واحدة من الحركات الفنية والعلمية التي نبعت كضرورة حتمية لمحاولة فهم القرآن وشرح آياته والتعرف على أحكامه»[2].

ويرى أن ما عُرف في العربية من قصص في الجاهلية والإسلام أقدم مما عرفته أوربا، وأنه يدخل في مفهوم فن القصة، ولكنه نشأ في بيئة إسلامية واتخذ منهجاً بذاته، كما اتخذ هذا الفن في أوروبا منهجاً مغايراً، وأن كل مرحلة من المراحل كانت تتخذ للفن ذاته منهجاً يغاير ما يتخذه في مرحلة أخرى كما حدث في أوربا من تطور لقواعد فن القصة منذ بدايات القرن التاسع عشر إلى اليوم[3].

والقصة تساعد ـ بما فيها من أشخاص وأحداث ـ على تقريب المفاهيم المجردة التي تهتم بها التربية، ويحرص عليها الدين الحنيف لتبرزها بصورة مجسدة حية[4]، فهي من العوامل التربوية العقلية التي تساعد على تقديم العقيدة الإسلامية، والخلق السليم بأسلوب قصصي بما يتناسب ومستوى الإدراك الطفولي بصورة متدرجة نامية[5] من خلال سرد القصص المناسبة للموقف، ولا سيما قصص الأنبياء التي تتمثل فيها نماذج رائعة للتربية بجميع أنواعها، وهذا لن يتأتى للكاتب ما لم تكن له معرفة

---

(١) موسوعة الحضارة، التربية والتعليم: د/ أحمد شلبي/ ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٢) الرواية العربية: فاروق خورشيد، ط ٣، ١٤٠٢ هـ، دار الشروق/ ٧٧.

(٣) المصدر السابق/ ٢٢٥.

(٤) الرسول العربي المربي: د/ عبد الحميد الهاشمي ط ١، ٢٤٦، دار الثقافة للجميع ـ دمشق.

(٥) دور الأم في تربية الطفل المسلم/ ١١٨. ط ٢، ١٤٠٦ هـ دار المجتمع جدة. وانظر قصص الأطفال المروية وأهميتها لنمو الطفل: شريفة الشملان ـ المجلة العربية العدد ٨٩ جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ ص ١٠٦.

واسعة بقصص الأنبياء وصحابتهم، ومثال على ذلك:

طاعة الله وامتثال أمره (قصة أم موسى وأخته) وكيف استجابت الأم لأمر الله ـ عز وجل ـ ووضعت طفلها بالتابوت ثم ألقته في اليم.

الصبر (قصة سيدنا أيوب) مع الرضاء بقدر الله والصبر على أنواع الابتلاءات[1].

ولا ينحصر تأثير القصة في نفوس الأطفال من خلال سردها أو قراءتها بل إنهم كثيراً ما يقلدون أقوال ما يجري في القصة وما فيها من أحداث وسلوك وأخلاق. والقصة تحرر السامع من واقعه وحدوده إلى عوالم أخرى فسيحة يرى ويسمع ويشاهد بيئات وصنوفاً كثيرة من الناس الذين يرى الطفل فيهم المثل والقدوة، فمثلاً يمكنه بواسطة القصة الناجحة أن يعيش مجالس النبوة، ويحضر أحداث السيرة[2].

ولقد داخل القصة كثير من المفاهيم الخاطئة كما داخل عدداً من الفنون الأدبية الأخرى، إذ ادّعى كثيرون أنها فن جديد عرف عند الغرب في القرنين الأخيرين، وأن له قواعد وأصولاً محددة، هذه القواعد هي، التي تعارف عليها الغرب، وادعى أنها تحدد حدود هذا الفن، وسار أكثر الأدباء العرب على ذلك، ورددوا ما قيل عن القصة الغربية، وأخذوا قواعدها، وساروا على منوالها، ثم أنكروا على أحد أن يقول بغير ما قاله الغربيون مع العلم بأن القواعد التي يدعون إلى احترامها ليست ثابتة، فما كان منها «في القرن التاسع عشر قد تغير تغيراً كاملاً، بل ولعله تحطّم على أيدي الكثيرين من رواد القصة وكتابها في نهايات القرن العشرين التي نشهدها هذه الأيام، فلا يستطيع أحد أن يقول: إن منهج (ديستوفيسكي) في الرواية هو نفسه منهج (هوجو)، أو هو ذاته منهج (كامي)، أو هو

---

(١) المصدر السابق/ ١١٩.

(٢) الرسول العربي المربي/ ٢٤٧.

منهج كتّاب الموجة الجديدة في فرنسا وإنجلترا مثلاً، إن الشكل يتغيَّر بتغيُّرِ الإنسان المتلقي، والإنسان الكاتب وبتغيُّرِ روح العصر، ومتطلبات روح العصر، ومتطلبات العصر»[١].

ولهذا فليس لنا أن نسلم بقواعد هذا الفن، أو نُخضع دراساتنا لمقولات الغربيين وأتباعهم، ولنا على ضوء أهدافنا، ومتطلبات واقعنا، وحقائق الفطرة ونواميس الكون، والثوابت في حياتنا أن نصنع قواعد فنوننا، نأخذ من هنا ومن هناك، ثم نخضع كل ذلك لأصولنا وعلومنا وأذواقنا، لنخرج عصارة صافية، بعد أن تصفّت من الخبث والجراثيم، والروح الغربية المريضة. ولنا مثل سامق في القصص القرآني، الذي سبق كل ما عرف من قصص مكتوبة، هذا القصص يمثل النموذج الإسلامي الكامل في الأداء الفني للقصة، مع المحافظة على الهدف النفسي والعقيدي والتربوي والحركي لهذا النموذج[٢].

وفي القرآن الكريم عدد كبير من القصص القرآني. القصير الذي يشبه الومضة إلى الطويل الذي يستغرق سورة كاملة (سورة يوسف). ووردت الألفاظ الدالة على القصة والقصص في كتاب الله مرات كثيرة جداً وفي عدد كبير من السور القرآنية (النساء، الأنعام، الأعراف، هود، يوسف، الكهف، طه، النمل، القصص، غافر) بينما وردت القصص في سور كثيرة جداً وفي كل أجزاء القرآن الكريم.

وقصة يوسف تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة، والمعرض المتخصص في عرض هذا المنهج من الناحية الفنية للأداء[٣].

---

(١) الرواية العربية: فاروق خورشيد/ ٢٢٥.

(٢) في ظلال القرآن: للشهيد سيد قطب جـ ١٢، ١٩٥١، ط دار الشروق ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م.

(٣) المصدر السابق/ ١٩١٥ جـ ٢ سورة يوسف.

«فهي تعرض شخصية يوسف ـ عليه السلام ـ وهي الشخصية الرئيسة في القصة عرضاً كاملاً في كل مجالات حياتها، بكل جوانب هذه الحياة، وبكل استجابات هذه الشخصية في هذه الجوانب وتلك المجالات».

«وإلى جانب عرض الشخصية الرئيسة تعرض الشخصيات المحيطة بدرجات متفاوتة من التركيز، وفي مساحات متناسبة من رقعة الأرض» «وتتعامل القصة مع النفس البشرية في واقعيتها الكاملة، متمثلة في نماذج متنوعة».

«وهي تمثل هذا المنهج الفني الإسلامي الصادق الرائع بصدقه العميق وواقعيته السليمة، المنهج الذي لا يهمل خلجة بشرية واقعية واحدة، وفي الوقت ذاته لا ينشىء مستنقعاً من الوحل يُسميه الواقعية، كالمستنقع الذي أنشأته الواقعية الغربية الجاهلية».

«وظلت القصة صورة نظيفة للأداء الواقعي الكامل مع تنوع الشخصيات وتنوع المواقف»[1].

«والواقعية الصادقة الأمينة النظيفة السليمة في الوقت نفسه لا تقف عند واقعية الشخصيات الإنسانية التي تحفل بها القصة في هذا المجال الواسع على هذه المستوى الرائع، ولكنها تتجلى كذلك في واقعية الأحداث والسرد والعرض وصدقها، وطبيعتها في مكانها وزمانها، وفي بيئتها وملابساتها»[2].

«والقصة ترسم ظلال الفترة التاريخية التي تجري فيها أحداث القصة وتتحرك فيها شخصياتها الكثيرة، وتسجل سماتها العامة»[3] «وعلى وجه الإجمال فإن القصة غنية بالعناصر الفنية، غنية كذلك بالعنصر الإنساني، حافلة بالانفعال والحركة، وطريقة الأداء، تبرز هذه العناصر إبرازاً قوياً،

---

(١) المصدر السابق/ ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤.
(٢) المصدر السابق/ ١٩٥٩.
(٣) المصدر السابق/ ١٩٥٩.

فضلاً على خصائص التعبير القرآنية الموحية المؤثرة ذات الإيقاع الموسيقي المناسب لكل جو من الأجواء التي يصورها السياق»[1].

قصة الأطفال شكل من أشكال الأدب الذي تحبه نفوس الأطفال لأن فيه متعة وفائدة وجمالاً لهم، ولهذا الفن عناصر أساسية هي:

١ ـ الموضوع.

٢ ـ والبناء والحبكة.

٣ ـ والشخصيات.

٤ ـ والأسلوب.

وهذه العناصر هي التي يجمع عليها أكثر الدارسين لأدب الأطفال[2] استناداً إلى فن القصة العام، وعناصره الأساسية التي يعرفها الدارسون، ولا بد من التوقف قليلاً عند هذه العناصر، مع الإشارة إلى عناصر أخرى تدخل ضمن ما سبق أو تضاف إليه.

١ ـ الموضوع:

وهو يتعلق بالفكرة الرئيسة التي تبنى عليها القصة، وتمثل العمود

---

(١) المصدر السابق/ ١٩٦٢، وهذه المقتطفات مما كتبه الشهيد سيد قطب في مطلع تفسيره لسورة يوسف لا تغني عن قراءة هذه الصفحات الرائعة في قصة سيدنا يوسف عليه السلام، لتبين ملامح مهمة من ملامح القصة الإسلامية، وللالتفات إلى القصة القرآنية ثم القصة في الحديث الشريف لدراستها، واستخلاص قواعد إسلامية ذاتية لهذا الفن. وانظر كتاب القصص في الحديث النبوي للدكتور محمد بن حسن الزير. وكتاب (بناء الشخصية في القرآن الكريم) للدكتور مصطفى عليان. و (قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح) لإحمد موسى سالم.

(٢) انظر مثلاً: أدب الأطفال ومكتباتهم/ ٧٦ وما بعدها، وفي أدب الأطفال: د/ الحديدي / ١١٥ ـ ١٣٠ ،وأدب الأطفال: هادي نعمان الهيتي/ ١٣٦ ـ ١٤٧، وأدب الأطفال دراسة وتطبيق/ ٣٠، وأدب الأطفال في ضوء الإسلام/ ٥٩ ـ ٧٨، وأدب الأطفال مبادئه ومقوماته/ ٢٧ ـ ٢٩.

الفقري لها، ويرى بعضهم أنها تشبه الجنين الذي تضمه النبتة الكاملة[١]، والأديب الناجح هو الذي يعرف كيف يختار موضوعه، ويكتشف الفكرة المناسبة التي تتضمنها قصته، ولا ننسى في هذا المجال أن أدب الأطفال ـ أكثر من غيره ـ مرتبط بأهداف وغايات، ومن هنا تأتي أهمية تحديد الفكرة، واختيارها، لأنها تكشف هدف المؤلف وغايته، وتحقق ما يريده من القصة. أما القصة التي تخلو من موضوع وهدف، فإنها ضارة للطفل.

والفكرة الجيدة هي التي تهتم بالأمور الأساسية التي نهدف إليها في تربية الطفل، فضلاً عن إثارة انتباهه، وجذب اهتمامه للقصة، ومن المهم أن تتسم الفكرة بالصدق الذي يترك أثره في الطفل خلال قراءته أو سماعه لها.

والفكرة ليست أمراً غائماً، وإنما هي مما يتعلق بمستوى الطفل، ويلائم خبراته واهتماماته، مع الحذر من إقحام الموضوعات أو الأفكار بشكل مفتعل، أو استخدام طريقة التلميح الذي يؤدي إلى الغموض[٢]. بل يلجأ الكاتب إلى مراعاة قدرات الطفل العقلية في ذلك كله، واستخدام الطريقة المناسبة في عرض الفكرة بحيث تستثير عند الطفل التفكير، وتدفعه لتلمس الحلول، واستنباط الحكمة[٣].

ويمكن أن تدور الفكرة حول موضوعات كثيرة ما دام الهدف واضحاً عند الكاتب، فقد تكون من الموضوعات المأخوذة من كتاب الله عز وجل، أو حديث رسول الله ﷺ، أو من الموضوعات المستمدة من السيرة النبوية، أو التاريخ الإسلامي، أو من الموضوعات الخاصة بالقضايا الاجتماعية والسلوكية كالتعاون والأثرة، والأخوة والإخلاص وحب العمل، والأنانية.. إلخ.

---

(١) أدب الأطفال للهيتي/ ١٣٦.

(٢) المصدر السابق/ ١٣٩.

(٣) أدب الأطفال في ضوء الإسلام/ ٧٢.

وقد تدور حول تصرفات الإنسان أو الحيوان أو النبات[1]. أو حول موضوع علمي، أو قصة اختراع، أو حول بلدة من البلدان.

وقد تدور حول موضوعات شعبية أو غيرها[2].

وأياً كان الموضوع، فالأطفال يستفيدون منه ما دام هادفاً يمتاز بمادة مثيرة ومؤثرة، ويتسم بالصدق والوضوح، ويتناسب مع اهتمامات الطفل ومدركاته المختلفة[3].

٢ ـ البناء والحبكة:

بعد اختيار الموضوع وتحديد الفكرة، لا بد من صنع سلسلة من الحوادث التي تشكل بنية القصة، وهذه الحوادث ترابط وتتسلسل بشكل يؤدي إلى الوصول للنتائج من خلال الأسباب التي تأتي كما ترسمها الحوادث، والحبكة بمعنى آخر هي إحكام بناء القصة بطريقة منطقية مقنعة[4]. أي أن تكون الحوادث والشخصيات مرتبطة ارتباطاً منطقياً يجعل من مجموعها وحدة متماسكة الأجزاء[5].

ولتسلسل الأحداث عدة طرق، منها أن تتوالى توالياً عضوياً، ويرتبط بعضها ببعض تمام الارتباط، ومنها ما يكون مرتبطاً بالشخصية الرئيسية في القصة في ترابط الأحداث ومسيرتها من البداية للنهاية[6].

وحبكة القصة الناجحة هي التي تقوم على تخطيط جيد للأحداث يبدأ من البداية، وتتنامى الأحداث، ويتأجج الصراع حتى القمة، ويكون

---

(١) قصص الأطفال في سورية/ ٤٠.
(٢) الكتاب والأطفال/ ٧٦.
(٣) أدب الأطفال ومكتباتهم/ ٥١.
(٤) فن الكتابة للأطفال: أحمد بهجت/ ٧٥.
(٥) المصدر السابق.
(٦) أدب الأطفال في ضوء الإسلام/ ٦٣.

هذا النمو إما عن طريق الصراع، أو التناقض في الأحداث والمواقف، أو التكرار، أو التضاد[1].

وتبدأ الحوادث عادة بمقدمة مناسبة وهي البداية للقصة، شريطة أن تكون موجزة موضحة لما سيتبعها من أحداث، ثم تأتي العقدة التي تنمو فيها الحوادث، ويزداد الصراع حتى يصل إلى القمة، ثم الحل الذي يكون نهاية القصة، عندما تبدأ الأمور بالتكشف، وتأتي لحظة التنوير[2].

ويمكن لقصة الأطفال أن تعتمد على حادثة واحدة أو حوادث مترابطة، ويمكن للخبر أن يكون نواة لقصة إذا استطاع الكاتب أن يسرد تفاصيله بشكل مترابط ومؤثر.

وبوجه عام ينبغي عدم الإكثار من الحوادث في قصة الأطفال[3] مع اختيار الحوادث التي تتلاءم مع بيئة الطفل، وتفكيره، والابتعاد عن شطط الخيال الذي لا يفيد شيئاً، وقد يدفع بالطفل لتخيل أمور غير منطقية، والتصرف بطريقة خاطئة خطرة.

٣ ـ الشخصيات:

هذا العنصر مهم جداً في القصة، وهو بعدٌ مهم من أبعاد أية قصة، بل ربما يكون المحور الأساسي في معظم قصص الأطفال، ولذا لا بد من بذل الجهد المبدع لرسم شخصيات القصة بعناية، بحيث تحقق أهداف القصة، وتتناسب مع الأحداث، تتصرف وتتحرك وفق ما تقتضيه طبيعة الحياة الواقعية، والطفل بحاجة لرؤية الشخصية أمامه في القصة حية مجسمة، وأن يسمعها تتكلم بصدق وحرارة وإخلاص، حتى يرى فيها النموذج الذي يحتذيه فتترك أثرها فيه سلباً أو إيجاباً.

---

(١) أدب الأطفال: د/ الحديدي/ ١١٧. وأدب الأطفال في ضوء الإسلام/ ٦٣.

(٢) فن الكتابة للأطفال/ ٧٦.

(٣) أدب الأطفال ـ فلسفته ومبادئه/ ١٤١.

والقصة الجيدة هي التي تدفع الطفل لمشاركة أبطال القصة مواقفهم ويتفاعل معهم، فيتعاطف مع هذا، أو يتقزز من ذاك، ويحب هذا ويكره ذاك، ويقتدي بواحد وينفر من الآخر[1]، ويحكم على هذا أو ذاك من خلال أفعالهم.

وهذا يشير إلى نقطة مهمة في رسم الشخصية وهي كونها تتسم بالوضوح، والصدق والتشويق والتميز[2] ولا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا التزمت هذه القصة ببيئة الطفل، وحملت قيم المجتمع وأفكاره، ولذا فإن القصص المترجمة سوف تكون بعيدة عن هذه المميزات الأساسية للشخصية، فضلاً عن أثرها المدمر في تمزيق شخصيته، وتفتيت عناصر التلاؤم والتوحد داخلها، وتضعه في موضع التناقض والحيرة وفقدان الثقة مع واقعه.

وقد تتنوع الشخصيات، فبعضها يؤخذ من التاريخ، وبعضها من المجتمع المعاصر، وبعضها من عالم الطفل ذاته.

وقد تكون الشخصية حقيقية أو رمزاً قريباً من الحقيقة، وقد تكون من عالم الإنسان وقد تكون من عالم الحيوان أو عالم النبات، فالكون كله مجال رحب لاختيار الشخصيات. وإذا كانت قصة الكبار تمتاز بأنواع كثيرة من الشخصيات، وبطرق مختلفة لرسم هذه الشخصيات، فإن قصة الصغار لا تحتاج إلى مثل هذا التقيد، بل للأديب أن يدرس موضوعه بعناية، ويرسم الشخصيات بطريقة حية مؤثرة تؤدي أغراض القصة. ولا يخفى على القارىء ما للقصة من تأثير على الأطفال، ولذلك فإن العناية برسم الشخصية التي يتفاعل معها الطفل، ومعرفة حجم هذا التأثير وقوته أمر مهم قبل اختيار القصة أو رسم شخصياتها، وقبل اختيار نوعها ومعرفة ملامحها وأخلاقها، وقبل تحديد عددها ودور كل واحد منها.

---

(١) أدب الأطفال: د/ الحديدي/ ١٢٢.

(٢) فن الكتابة للأطفال/ ٧٩ ـ ٨٠.

٤ ـ الأسلوب:

ما دامت الكتابة للأطفال وهم ليسوا جمهوراً واحداً بل لهم مراحل وأعمار مختلفة، لذا لا بد للكاتب من اختيار الأسلوب المناسب الذي يتفق مع مستوى الأطفال، وقدراتهم وخبراتهم وهو بحاجة إلى التعرف على قاموس الأطفال في كل سن من سنوات عمرهم لاستخدام ألفاظه فيما يكتبه لهم، بل لمعرفة ما ينبغي إضافته لهذا القاموس من المفردات والألفاظ التي يحسن التعرف عليها من قبلهم، أو إضافتها لقاموسهم وخبراتهم.

ولقد أحسنت منظمة التربية حين أصدرت (قاموس الألفاظ الشائعة بين أطفال المدرسة الابتدائية)[1].

ولكن هذا لا يكفي، إذ نحن بحاجة إلى معرفة القاموس اللغوي بالمنظار الإسلامي العام لمختلف الأعمار، من سن الثالثة إلى سن الخامسة عشرة، ولا يمكن لمثل هذا العمل أن يقوم به فرد أو أفراد، بل يحتاج إلى مؤسسة تنهض به على أسس علمية، لجمع مفردات هذا القاموس، لأن أكثر الذين يعتنون بقضايا الطفولة يركزون على القضايا الحياتية والمادية، ولا يعطون الأمور التربوية والإسلامية الاهتمام المطلوب. وحين نحقق ذلك نتوصل إلى تطوير هذا القاموس، وإغنائه بما ينبغي أن يلم به الأطفال في كل مرحلة من مراحل العمر.

ومن شروط الأسلوب في مرحلة الطفولة البعد عن الألفاظ الغريبة والصعبة، التي لا تتناسب مع الطفل الموجه إليه العمل الأدبي، ولكن ذلك لا يمنع من استعمال بعض المفردات الصعبة ـ نسبياً ـ وسط سياق

(١) أطلق على هذا القاموس اسم (الرصيد اللغوي العربي لتلاميذ الصفوف الستة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ١٩٨٩ م، وانظر: (مشكلة قصص الأطفال في سورية) فصل البنية اللغوية/ ٥٥.

يسمح للطفل بفهم معناها، واكتساب خبرة جديدة بواسطتها، وزيادة ثروته اللغوية باستمرار من خلال القراءة.

وكذلك ينبغي عدم استعمال الألفاظ ذات الدلالات العامة، والتجريدية، إلا بالشروط السابقة التي تجعلها مفهومة من خلال السياق الذي وضعت فيه.

والقاعدة في ذلك أن يكون استعمال أي لفظ صعب أو جديد أو ذي دلالة معنوية تجريدية، خاضعاً للطريقة التي يستعمل فيها، بحيث يصبح مفهوماً للطفل ضمن سياق التركيب الواضح السهل المناسب للطفل.

ومن المهم جداً الحرص على استعمال الألفاظ الصحيحة الفصيحة، وعدم استعمال الكلمات العامية أو الأجنبية مهما كانت المبررات، لأن في ذلك تشويهاً لبناء المعرفة اللغوية، ولجمالية اللفظ العربي وسلامته، فضلاً عن تشويه مخارج اللفظ حينما تختلط مخارج الحروف العربية بغيرها، ويصبح جهاز النطق عند الطفل موزعاً بين التعود في الحركة على مخارج الحروف العربية بطريقة صحيحة سليمة، والتعود على مخارج الحروف الأجنبية[1].

وعلى الكاتب أن يختار أيضاً الأسلوب الواضح المناسب للطفل،

---

(١) وأشير هنا إلى مخاطر تعليم اللغات الأجنبية في مرحلة التعليم الابتدائي، إذ تشوه مخارج الحروف العربية، وتخلط هذه المخارج مع مخارج الحروف الأجنبية. وهذا يؤثر - أكثر ما يؤثر - على تلاوة كتاب الله عز وجل تلاوة صحيحة، فضلاً عن الأضرار الأخرى التي تفوق كثيراً ما يظن من فوائد في تعليم اللغات، ولا سيما في مجال الأفكار والعادات، والسلوك، والقيم، وأسلوب التعامل. ولو كان في تعلّم اللغة الأجنبية فوائد حقيقية، لما حرصت عليه دول الغرب، ولمنعت أبناء العالم الإسلامي من تعلم لغاتهم كما تفعل في كل فائدة يمكن حصولها من التعلم. ولكن اليقين بأن تعليم لغاتهم يجر أبناء المسلمين إلى متابعتهم، هو الذي دفعهم إلى تبني تعليم لغاتهم للمسلمين، وعمل البرامج والدورات، وتقديم الخدمات لهذا الغرض.

حسب المرحلة والعمر الذي يكتب له، فلا يلجأ إلى التعقيد، والغموض والتراكيب الطويلة، والتقديم والتأخير، واستخدام الضمائر الكثيرة التي يصعب فهمها من قبل الطفل.

فضلاً عن هذا فإن اختيار أسلوب العرض الذي يتسم بالوضوح والحيوية والصدق والإشراق سوف يدفع الطفل للإقبال على القصة، وفهمها، والتأثر بها.

وهناك طرائق وأساليب مختلفة، فيحسن استخدام التنوع لتزويد الطفل بخبرات جديدة، وتدريبه على معرفة شتى الأساليب وفهمها، شريطة عدم الوقوع في الأمور الشكلية التي تبتعد عن روح اللغة، وشرف المعنى، وأهمية تحقيق الأهداف المطلوبة من العمل الأدبي. وفي كل مرحلة من مراحل العمر يرى الكاتب طريقة أكثر تلاؤماً مع الطفل؛ ففي مرحلة يرى السرد المباشر أفضل، وفي أخرى قد يجد استخدام طريقة السرد الذاتي، أو استخدام الوثائق[1]. ولاختيار الكاتب لطريقة من هذه الطرق، أو للمزج بينها علاقة بالقصة والحبكة ونوع الشخصيات، لأن الإبداع عملية متكاملة، وإن ذلك يعتمد على دراسات ما زلنا بحاجة إليها لمعرفة النمط اللغوي المناسب لكل مرحلة. وعلى العموم فإن التزام النمط اللغوي ذي الاتساع المتوسط والتنوع القليل يلازم الوضوح[2]، وإن التجارب تدل على أن استخدام أسلوب الحوار يجذب اهتمام الأطفال أكثر من غيره.

وإذا تحقق عنصرا الانسجام والتناسق في القصة، اللذان يربطان بين عناصرها المختلفة من حبكة فنية متينة، وموضوع جديد مهم للأطفال، وأفكار مترابطة ومناسبة، وعقدة مثيرة، وشخصيات مقنعة وحيوية، وجو

---

(١) أدب الأطفال في ضوء الإسلام/ ٦٢، وفن الكتابة للأطفال/ ٧٧.

(٢) مشكلات قصص الأطفال في سورية/ ٦٥.

صادق، وأسلوب أدبي ملائم[1]، فإن القصة تنجح في تحقيق أهدافها، ويقبل عليها الأطفال بشغف.

وهذا يقتضي من الأديب أن يكون ملماً بتجارب الأطفال، وعارفاً بانفعالاتهم ونفسياتهم واهتماماتهم[2]، وأن يتمتع أسلوبه بالوضوح والقوة والجمال[3].

وبصورة مختصرة: فإن الأسلوب لا يقل أهمية عن المضمون في تحقيق أهداف أدب الطفل، لأن الطفل يتعلم من الأسلوب أشياء كثيرة، ابتداءً من مفردات اللغة، والتعود على النطق السليم، إلى التراكيب والأساليب، والصور الجمالية المختلفة.

إن كتاب الله العزيز هو الذروة التي يرنو إليها الكاتب المسلم في اختيار المناسب الجميل المفيد، وإن أحاديث رسول الله ﷺ الصورة التطبيقية التي يفهمها الصغار والكبار، وإننا في تطلعنا إلى أدب الطفل المسلم نأمل أن يستوعب الأدباء ذلك، ويتعمقوا بدراسة خصائص الأسلوب العربي من هذين المصدرين بالدرجة الأولى قبل النظر إلى أي أمر آخر[4].

● ● ●

بعد استعراض أهم عناصر القصة لا بد من الإشارة إلى أنواع القصة

---

(١) في أدب الأطفال: د. الحديدي/ ١٢٧.

(٢) أدب الأطفال ومكتباتهم/ ٥٠.

(٣) أدب الأطفال ـ فلسفته ـ فنونه وسائطه/ ١٤٤.

(٤) أشير بمناسبة الأسلوب إلى الدراسة الخاصة (لمشكلات قصص الأطفال في سورية) ولا سيما فصل: البنية اللغوية (٥٥ ـ ٦٥) لفهم الظواهر اللغوية، والأنماط اللغوية المستعملة، وكذلك إلى الكتاب المدرسي: أدب الطفل ـ مبادئه ومقوماته الأساسية، فصل: خصائص لغة الطفل (٥٤ ـ ٥٩)، عناصر السهولة والصعوبة في المادة اللغوية (٦٠ ـ ٦٨).

والقصة الفكاهية، والقصة الشعرية، والقصة المترجمة[1].

وهذا التنوع ينتج إما عن الموضوعات، أو عن الهدف، أو عن طبيعة الشخصيات أو الحبكة.

وللأدب الإسلامي ـ كما أسلفنا ـ أهدافه الشاملة المتميزة، لذلك لا نرى بأساً بأخذ أي موضوع ليكون مداراً للقصة، ما دام الهدف واضحاً والأسلوب صحيحاً، وهذا بالتالي ينبهنا إلى القصص المترجمة التي تتعارض في أكثر أركانها مع أهدافنا وبيئتنا، وكما أشارت كثير من الدراسات في هذا الموضوع، فإن (المنقول من هذه القصص لا يمت إلى بيئتنا بصلة، ولا إلى اهتماماتنا بصلة، إن القيم التي تحملها مثل هذه القصص تجرد الطفل عن الانتماء الاجتماعي والمعاناة الاجتماعية، وتخلق بدورها هوة بينه وبين الواقع، وهي قيم تبعد الطفل عن واقعه، وعن الاندماج والالتزام بهذا الواقع، بالإضافة إلى الفردية الشديدة التي تحملها هذه القصص وأحياناً السلبية... وهذه الحكايات وما تتركه من آثار تقمع الطفل وتكبحه وتشوش نموه، وتعرقل اندفاعه نحو الإبداع والعطاء)[2].

فضلاً عما تفتقده هذه القصص من أساسيات تخص العقيدة والأخلاق والآداب الاجتماعية، وشتى القيم التي يدعو إليها الإسلام. وكذلك يحرص عدد من المهتمين بأدب الطفل على القصص الخيالية التي

---

(١) انظر: فن الكتابة للأطفال/ ٨٢، وأدب الأطفال في ضوء الإسلام/ ٧٨، وانظر: الشكل الفني لقصة الطفل في سورية: سمر روحي الفيصل مجلة الموقف الأدبي (٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ ٢١٠) ص ٥٠ عن القصص المأخوذة من العلوم وأدب الأطفال، الفصل الثالث: الأجناس الأدبية ومقابيسها في أدب الأطفال (١١٥ ـ ١٩٢) وأدب الأطفال ـ فلسفته ـ فنونه وسائطه، الباب الثالث/ ١٣١ ـ ٢٠٧.

(٢) الاتجاهات الجديدة في ثقافة الأطفال / ١٥.

تعتمد على الأساطير القديمة والمعتقدات الباطلة... حتى أصبح كثير من هذه القصص المترجمة مُتداولاً بين يدي أطفالنا بما تحمل من أمور تخالف معتقداتنا، وتخالف قواعد العقل، وأخلاق المجتمع، وتتنافى مع أهداف التربية التي نريدها لأطفالنا.

والغريب أن دعاة هذا النوع من القصص يعارضون إدخال أية صورة من الصور التي تخص عالم الغيب، كالعذاب في الآخرة، ويعدون ذلك خطراً على الطفل[1] بينما لا يرون بأساً في عرض الخوارق والأساطير للأطفال، ولو أدى ذلك إلى جنوحهم وانحرافهم، وبعدهم عن الواقع[2] ويعدون ذلك من المفاخر التي يحرص عليها الغرب، لأن بعض الحكايات الخاصة بالجان والخوارق مأخوذة من أساطير وحكايات عربية[3] ولكي يساعدوا على ترويج هذه الحكايات والأساطير، يخلعون عليها كثيراً من صفات القداسة والفلسفة، كما يقول الدكتور الحديدي عنها: «والنظرة الفاحصة لحكايات الجان تبين أنها أثر من آثار العالم القديم، ويدل أكثرها على أنه وجد في حضارة راقية، وفي نوع من التنظيم الاجتماعي قد يوصف بأي وصف إلا البدائية»[4].

«ولا يستطيع أحد في عصرنا الحديث أن يفكر في طفل وحكاية دون أن يفكر في قصص الجان والحكايات الخرافية»[5].

ويقول: «وحكايات الجان تلائم عصرنا، عصر الأقمار الصناعية،

---

(١) أدب الأطفال ـ فلسفته فنونه وسائطه ص ٩٨. حيث يقول الكاتب: «لم يعد أدب الأطفال تقديم كلام منمق.. إلخ، ولم يعد أداة تخويف الأطفال وإرهابهم من العقاب في الدنيا والآخرة، ولم يعد عبراً ومواعظ تقال في عبارات جافة جامدة..».

(٢) المصدر السابق/ ١٦١ ـ ١٦٥.

(٣) أدب الأطفال/ ١٣٨.

(٤) المصدر السابق/ ١٤٢.

(٥) المصدر السابق/ ١٤٣.

وتلبي كثيراً من احتياجاتهم الخيالية والعاطفية وسط عالم طغت عليه المادية كما كانت بالنسبة لأطفال الأجيال السابقة حتى بدء الحياة»[1].

«والحقائق الأولية لقانون الأخلاق وتجارب الإنسان المختلفة تعرض في قصص الجنيات من خلال الخيالات»[2].

ويمضي الكاتب وغيره في تعداد فوائد مثل هذه القصص في تركيز بالغ، ثم ينتقل إلى الأساطير أيضاً ويعرفها قائلاً: «هي الحكاية التي يفسر بها الإنسان الأول ظاهرة طبيعية، أو القصة التي تختص بالآلهة وأفعالهم، ومغامراتهم حين لم يكن الإنسان يبحث عن الآلهة لذاتها، ولكن بوصفها القوى الغيبية التي تسيطر على الظواهر الكونية وتنظيمها أو القصة التي أنشأها الإنسان الأول لتصور ما وعته ذاكرة شعب أو نسجه خيال شاعر حول حادث حقيقي، كان له من الأهمية ما جعله يعيش في أعماق ذلك الشعب صحيحاً أو مُحرَّفاً تمتزج به تفاصيل خرافية»[3].

وهذه الأساطير كانت مدار بحث طويل عند فلاسفة الغرب، لأنها جزء مهم من معتقداتهم، ومصدر من مصادر فلسفاتهم ودياناتهم وإلهاماتهم الفنية عموماً، بعدما فقدوا الدين الحقيقي الذي يطمئنون إليه، وثاروا على الكنيسة ورجال الدين، وحصروها في أماكن العبادة (الكنائس)، ومن خلال طقوس محددة، واختاروا أن ينبذوها من حياتهم العملية للفضائح والمظالم التي اكتشفوها[4]، فلا عجب وهم يحملون للإسلام الكراهية والحقد أن

---

(١) المصدر السابق/ ١٤٤.

(٢) المصدر السابق/ ١٤٤. وانظر: (التفسير الإعلامي لأدب الأطفال): د/ عبد العزيز شرف ـ مجلة الفيصل العدد (١١١) رمضان ١٤٠٦ هـ أيار وحزيران (مايو ويونيو) ١٩٨٦ م ص ٢٧.

(٣) المصدر السابق/ ١٤٧، وانظر (أساطير اليونان): للدكتور محمد صقر خفاجة، والأساطير: للدكتور أحمد كمال زكي، والحكاية الخرافية: ترجمة د/ نبيلة إبراهيم.

(٤) انظر (واقعنا المعاصر): للأستاذ محمد قطب مؤسسة المدينة للصحافة، ط=

يحاولوا إيجاد جذور فلسفية لمعتقداتهم ومذاهبهم، وأن ينشروا ذلك في العالم، وأن يربوا أطفالهم على هذا، بل وأن ينقلوا هذه الأساطير وهذه المعتقدات إلى العالم الإسلامي.

لقد جاء الإسلام ليحارب هذه الأساطير ويبطلها، يقول الله عز وجل ـ منددا بالمشركين الذين يصفون ما يتلى عليهم من آيات الله بأنها من الأساطير ـ: **﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾**[1].

﴿ولقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾[2].

﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾[3].

وكان كثير من دعاة التغريب والعلمانية يحرصون على إدخال الأساطير ورموزها إلى الآداب العربية، وإلى أدب الطفل بالذات، ويحاولون ربطها ببعض الأساطير العربية، ويروّجون ما يتلاءم مع هذه الأساطير والخرافات من كتب في العربية مثل «ألف ليلة وليلة» (وابن طفيل) وغيرها..

ويدافع بعض الكتاب عن الأسطورة العربية كمظهر من مظاهر الحضارة والتقدم والفكر الخلاّق[4] ويرون أن يستفاد من مختلف الأساطير في كتب الأطفال لتغذية خيال الطفل ولا سيما في المرحلة الأولى، وهذا

= للكاتب نفسه (ومذاهب فكرية معاصرة)، الغزو الفكري ص ٩٥ هـ ١٤٠٧، ١، فصل (الدين والكنيسة من ٩ ـ ٧٨) وفيه نقولات مهمة عن مؤرخي هذا العصر من الأوربيين، وكتاب (العلمانية) سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ولا سيما الفصل الأول منه.

(١) سورة الفرقان: الآية ٥.

(٢) سورة النمل: الآية ٦٨.

(٣) سورة القلم: الآية ١٥، وسورة المطففين: الآية ١٣.

(٤) أدب الأطفال/ ١٥٤، بينما يرى صاحب كتاب: أدب الأطفال ـ فلسفته ـ فنونه وسائطه/ ١٩٣ أن الأساطير لا تناسب الأطفال، مع أنه يخالف في كثير من فصوله التفسير الإسلامي والمنهج الإسلامي للحياة، وانظر الفيصل (١١١) ص ٢٧.

خلاف الحقيقة والواقع. هذا رأي كثير من الكتاب في الخرافات والأساطير في الوقت الذي ينكرون التحدث للأطفال عن الآخرة، والجنة والنار، وعن عالم الغيب، وبالتالي يخوفون الأطفال من كتاب الله الذي يقرأ فيه الطفل منذ سنواته الأولى المعوذتين وغيرهما، ويتعرف على عالم الإنس والجن، ويسمع بالجنة والنار، والثواب والعقاب، والدنيا والآخرة.

إنه تناقض غريب يتعارض مع المنطق، وحقائق الحياة.. ولكن الهدف واضح وهو إبعاد الأطفال عن الإسلام، وتنشئتهم على الأفكار العلمانية المنافية للدين. فكل ما يتعلق بالخيالات الفارغة، والمعتقدات القديمة، والأساطير الوثنية التي تقوم على عقائد باطلة من الأمور التي يعدونها مناسبة للطفل، ومنشطة لذهنه وخياله، ومربية لعواطفه وأخلاقه، يقيمون لها المهرجانات والدراسات، ويخلعون عليها القداسات والألقاب والأفكار.

إن الأدب الإسلامي يتحمل مسؤولية تصحيح هذه المغالطات وتقويم المسيرة، وكشف الشبهات، وتنقية الأدب ـ عامة، وأدب الأطفال خاصة ـ من هذه الخرافات والأساطير والوثنيات وكل المعتقدات الباطلة.

والأدب الإسلامي مدعو ـ من خلال الإبداع أولاً، والنقد ثانياً ـ لتصحيح مسار أدب الطفل عن طريق القصة الإسلامية المناسبة التي تقدم للطفل قيماً سامية، وحقائق ثابتة، ومتعة نظيفة وفائدة شاملة، بعد أن تعيش في حوزة التصور الإسلامي، وللقصة الإسلامية مجالات ومصادر ودنياوات واسعة كثيرة. فهناك كتاب الله عز وجل الذي يمد الأدب بالفكرة والموضوع والحوادث في مجالات عديدة، وتتيح له الفرص لكتابة قصص رائعة ذات أهداف سامية، وموضوعات متنوعة مهمة[1].

---

(١) لقد كتب عدد من الأدباء قصصاً استمدت موضوعاتها من كتاب الله، أشرنا إلى بعضها سابقاً، ومن الذين كتبوا في هذا المجال «محمد موفق سليمة، وعبد الودود =

فمثلاً فكرة الصراع الأبدي بين الحق والباطل، أو الصراع بين الإنسان والشيطان، أو بين الخير والشر، أو بين الفضيلة والرذيلة.. وحب المال الذي يؤدي إلى العمى والضلال، والحسد الذي يضلل الإنسان، وحب الشهرة، أو الشهوة.. كل ذلك نجد له في القرآن الكريم مصدراً ملهماً يمد الكاتب بأبعادٍ إنسانية كبيرة، وحقائق تتصل بالنفس البشرية، والفطرة الإنسانية، ويتيح له ابتكار كثير من الموضوعات التي تصلح للقصة.

وكذلك فهناك قصص الأنبياء جميعاً، التي تمثل نماذج إنسانية متنوعة، وتجارب بشرية رائدة، وقيماً ثابتة، كل ذلك يمد الأديب بزاد كبير من موضوعات القصة، كقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، وقصة إبراهيم مع النمروذ، وقضية الإيمان بالخالق عز وجل، وقصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام مع الشيطان، وقصة أم إسماعيل وصبرها ورضاها بقضاء الله وإذعانها لإرادته، وقصة موسى مع قومه، ومع فرعون، وقصة أم موسى، وقصة موسى وهارون، وقصة أيوب، وقصة يونس، وقصة يوسف، وقصة مريم، وقصة عيسى، وقصة لقمان، وقصة موسى والرجل الصالح، وقصة صاحب الجنتين، وقصة أصحاب الفيل، وقصة الرسول والأعمى، وقصص كثيرة مما ورد في كتاب الله ـ عز وجل ـ عن الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله، وكلها غنية بالتجارب والأحداث والقيم التي لا نجد لها مثيلاً. وإن مثل هذه الموضوعات بحاجة إلى دراسة متأنية من

= يوسف، وعبد التواب يوسف، وأحمد بهجت، والشيخ أبو الحسن الندوي، ومحمد أحمد برانق، وعبد الرزاق نوفل، وعبد السلام محمد بدوي، ومحمد رجب، وإبراهيم عزوز، والسيد شحاته، وأحمد عيسى عاشور، وفايد العمروسي، ومحمد علي قطب، ومرزوق هلال، وصفي آل وصفي، وآخرون. وينظر في كتاب (قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح لأحمد محمد سالم، فلقد كتب فصولاً جيدة عن موضوع الخيال والأساطير واعتماد القصة الغربية على ذلك، وأوضح الأسباب التي تدفع الغربيين لهذا الأمر.

الأدباء، واطلاع واسع لما ورد حولها في التفاسير من النصوص المأثورة، لكي تستخلص منها القصص المناسبة لمراحل الطفولة المختلفة، بشكل يحقق الأهداف المحددة لأدب الطفل، وتترك أثرها الجميل الطيب في الأطفال.

وفي الحديث الشريف وفي السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي[1] وفي أخبار المجتمعات الإسلامية منابع كثيرة تمد الأديب بموضوعات مختلفة لقصص الأطفال.

ولكن ذلك يحتاج إلى الأديب المسلم الجاد الذي ينفض عن كاهله الكسل، وينهض لكي يجاهد في هذه الثغرة المهمة، بهمّة الباحث الصبور وإخلاص العابد التقي، وحماسة الداعية المجاهد، لا بهمة التاجر، أو الساحر، أو الملفق الذي يبتغي أول ما يبتغي الكسب والشهرة واقتناص الفرص.

لقد حان الوقت لكي نتخلص من أسر التقليد والانبهار لكل ما يأتي من الغرب، مرة باسم التقدم والحضارة، ومرة باسم الحداثة والتطور، ومرة باسم الأطر الفنية والقواعد الأدبية، ومرة باسم الحكمة والفلسفة، ومرة... مرة.. ونبقى في دائرة الغرب بآدابنا وأذواقنا وأفكارنا وأسلوب عيشنا، أسرى طائعين، بل أتباعاً مخدوعين، نستسلم لهذا، ونهدر طاقاتنا قبل أن نعرف ذاتنا، ومقومات حياتنا، وثرواتنا الحقيقية، وقبل أن نتبين ما نريد.

إن مسؤولية الأديب إزاء الطفل مسؤولية عظيمة كبيرة، كمسؤولية الأب نحو ابنه: (يهوّده أو يمجسه أو ينصره) وهذه المسؤولية هي التي

---

(١) في الحديث عن القصة التاريخية في كتاب (ادب الاطفال فلسفته فنونه وسائطه) اشار الكاتب الى تاريخنا إشارات سيئة مستمدة من الرؤية الماركسية الحاقدة على كل الاديان ولا سيما الإسلام. انظر ص ١٧٢ وما بعدها.

تدفعنا للبحث عن مسار هذا الأدب ضمن تصوراتنا وأهدافنا غير عابثين بما يثيره حلفاء الشيطان عنا وعن طريقنا. وطريق الرسل والأنبياء والدعاة والمصلحين والصالحين لم يرض عنه - أبداً - أتباع الشيطان وعبدة الأوثان، ولم يكن هذا الطريق في يوم من الأيام بلا عناء أو ابتلاء[1] لأنه طريق الخير والبناء، طريق الإنسانية التي تلتمس الخير والكرامة والرشد. تلتمس الصلاح والإحسان، وفي سعيها هذا سيقوم ألف اعتراض وألف معترض، من داخل النفس، وداخل الصف، وخارج الحدود، كلٌّ يتكلم بلهجة خاصة ولكنهم جميعاً يلتقون عند هدف واحد.

إن هذا الكلام لا يعني طرح ما لدى الآخرين من صلاح وخير، وصد الأصوات الغريبة أيّاً كانت، فهذا محض افتراء من الآخرين، لأن الإسلام، والإسلام وحده هو الذي فتح المنافذ لكل بني البشر لكي تسهم في الصلاح، وتقول رأيها، وهو وحده الذي أصغى لكل الناس، واستفاد من كل خير، ووظف كل هذا في سبيل الإنسانية.. نحن لا نصدّ عن الحق، وإنما ندعو لمعرفة هذا الحق من طريق الله، وليس من طريق الشيطان.

---

(١) يقول الله عز وجل: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ [العنكبوت: ١].
وحين يقرأ المتبصر في بعض ما يكتبه أدباء ونقاد إسلاميون عن ضرورة الإلتزام بالقواعد الفنية، والأصول والشروط الأدبية للأنواع الأدبية المختلفة، يصل إلى اقتناع تام بأن الخروج عن حدود الشرع والدين أهون من الإخلال بهذه الشروط الغربية، وهذه مغالطة ينبغي التخلص منها وكشفها، وإبراز الإبداع الذاتي الذي يعبر عن أذواقنا وقيمنا.

الشعر في أدب الأطفال

لقد اهتم العرب قبل الإسلام وبعده بشعر الأطفال، فهم يغنون للأطفال ويترنمون لهم بشعر جميل منذ أن يكونوا في المهد لتنويمهم أو مداعبتهم[1]، ورددوا في ذلك أشعاراً كثيرة[2].

ولقد اعتنى المسلمون بالأطفال عناية كبيرة، واهتموا بالشعر الذي يتعلمه الأطفال أثناء نموهم المختلف، وأوصوا بذلك، ولقد ورد في وصية هشام بن عبد الملك لمعلم ابنه أن يعلمه كتاب الله ثم يُرَوِّيَه «من الشعر أحسنه، ثم تخلَّل به في أحياء العرب فخذ من صالح شعرهم هجاءً ومديحاً»[3].

وكان الفاروق ـ رضي الله عنه ـ قد أوصى أن يُعنى المربون بتعليم الأطفال الشعر «أرووا من الشعر أعفّه، ومن الحديث أحسنه، ومن النسب ما تواصلون عليه»[4]، وجاء في كتب بعض الأقلمين ما يفيد بأهمية الشعر، وضرورة رواية الأطفال له، بعد اختيار المناسب لأعمارهم، والمؤثر في تربيتهم[5].

---

(١) أغاني ترقيص الأطفال عند العرب: أحمد أبو سعد، دار العلم للملايين ص/ ١٠.

(٢) الأطفال ودور المربين: د/ هدى محمد قناوي ـ مجلة التربية ـ الإمارات العدد/ ٦٥. حزيران (يوليو) ١٩٨٨ م ص/ ٥٣.

(٣) التربية والتعليم في الإسلام: سعيد الديوه جي/ ٢٤.

(٤) المصدر السابق/ ١٩.

(٥) المصدر السابق/ ٣١.

وأوصى أكثر المربين برواية الشعر، وبينوا أهميته للأطفال، كالغزالي[1] وابن حزم وغيرهم[2].

والشعر بالنسبة للأطفال مهم، لأنه يثري الخبرات ويزيد من التجربة، ويربي الإحساس والذوق[3] ويضفي كثيراً من الصور الجميلة والرؤى العذبة على صور التعبير، وينشط خيال الطفل ويساعده على اكتشاف جمال المنظر والتعمق في الإحساس به[4].

والطفل يميل فطرياً للشعر، والغناء، ولذلك ينبغي استغلال هذه الظاهرة لصقل ملكات الطفل، وتقوية الحس الجمالي عنده[5] وتربيته على شتى الاتجاهات الحميدة والآداب الفاضلة، مع تلبية جانب من حاجاتهم العاطفية، ويسهم في نموهم العقلي والأدبي والنفسي والاجتماعي والأخلاقي.

وموضوعات شعر الأطفال كثيرة ومتعددة شريطة ألا تتحول إلى نظم بارد يقرر بعض الحقائق، ويقدم بعض المعلومات فقط. والمهم في ذلك أن يأخذ الشاعر عند اختيار موضوعاته احتياجات الأطفال واهتماماتهم، وأن يكون مناسباً لهم من حيث الموضوع والمزاج والأسلوب، ومما له صلة بتراثهم وقيمهم، بحيث يؤدي دوره في تربيتهم عقدياً وخلقياً وسلوكياً وفكرياً، ويفتح أذهانهم على الكون وعظمة الخلق، وعلى الحياة

---

(١) التربية والتعليم: د/ أحمد شلبي/ ٢٩٣.

(٢) (ابن حزم الأندلسي) د/ حسان محمد حسان ـ دار الفكر العربي ص ١٣١ وإحياء علوم الدين/ ٣ ـ ٧٠، وحدة لتنمية الشعور الديني عند الأطفال ص/ ٢٥.

(٣) في أدب الأطفال/ ١٩٧.

(٤) المصدر السابق/ ٢٠٠.

(٥) الشعر للأطفال: فاطمة شنون، المجلة العربية العدد (٤) رمضان ١٤٠٠ ص/ ٨١، وأدب الأطفال ـ فلسفته، فنونه وسائطه/ ٢٠٧.

وتنوعها، وإلى ما يهم الطفل من علاقات أسرية واجتماعية، وأن يساعده على عقد صلة المودة والألفة مع البيئة من حوله بما فيها من حيوانات ونباتات وجمادات، بعد أن يدرك بالحس الوجداني طبيعة هذا الود القائم بينه وبينها، وكونها مخلوقات سخرها الله له، واستخلفه عليها[١].

ومن أهم شروط هذا الشعر في مضمونه أن يحقق الأهداف المحددة لتربية الأطفال في كل مرحلة من مراحل حياتهم[٢] لأن هذه السن سن تنشئة وتربية وبناء، وكل كلمة تنقش أثراً لها في نفس الطفل وذهنه وفي ذوقه أو سلوكه.

وأما من الناحية الأسلوبية، فينبغي أن يكون هذا الشعر ملائماً لذهن الطفل، متناسباً مع ما يحسه ويتذوقه ويألفه، ويتيح له أن يتفاعل معه، بوجدانه وذهنه معاً، وأن يدخل البهجة إلى نفسه، ويزوده بفائدة جديدة، وينمي مدركاته ويزيد في خبراته ويثري لغته ومفرداته، ويزيد من قدرة الطفل على تذوق اللغة ومحبتها، وإدراك جمال النظم الصحيح والعبارة الموحية.

ومن المهم أيضاً أن يلتزم بالفصحى ـ أياً كانت الموضوعات ـ مع مراعاة مرحلة الطفولة التي يكتب لها هذا الشعر.

والشاعر مكلف بفهم عالم الطفل، ومدركاته، واهتماماته قبل أن يكتب إليه حتى يتسنى له اختيار الألفاظ والعبارات والأفكار والموضوعات والإيقاع المناسب[٣].

والشعر بعد هذا يساعد على نمو حركة الطفل عن طريق مصاحبة

---

(١) أدب الأطفال/ ٢٠٢ ـ ٢٠٤. ومفاهيم واتجاهات حديثة في تعليم أطفال المدرسة الابتدائية.

(٢) وأشار إلى ذلك كل المربين المسلمين كالغزالي وابن سينا وابن حزم وابن عبد البر وابن جماعة وغيرهم..

(٣) أدب الأطفال في ضوء الإسلام/ ٨٩.

الشعر الغنائي ببعض الحركات والألعاب الخاصة بالأطفال[1].

ويذهب بعض الكتاب للتركيز على الجانب الإيقاعي والفني للشعر، ويعتمد في ذلك على دراسات الفلاسفة والمربين الغربيين الذين يرون في الموسيقى والغناء ـ خاصة ـ والفنون ـ عامة ـ وسائل للتعبير عن الروح، بحيث يربطون بين حاجات الإنسان الروحية، وميله للتدين والسمو، وبين هذه الفنون. ومبعث ذلك تنكرهم للدين، وتشويه فكرة الدين عندهم، واقتران الدين بالاستغلال والشعوذة، ولذلك يضعون الفنون ـ عموماً ـ بديلاً عن الدين في التعبير عن وجدان الإنسان، وملء الجوانب الروحية، وينكرون كل هدف جاد: تعليمي أو تربوي للشعر خاصة، أو للأدب عامة.. فالشعر قرين اللعب، والتمثيل التلقائي، والغناء.. إلخ.

بل يصل الأمر ببعضهم أن يجعل الفنون عامة من الضروريات «إن الأمة التي تعتبر الموسيقى والشعر والرسم والفنون بأنواعها من الكماليات لا يحق لها أن تنتظر رقياً، ما دامت قد حالت بين أبنائها وبين أسس التحضر والرقي في القدرة على التذوق والإبداع»[2].

بينما يرمون كل اتجاه تربوي حقيقي بتهمة الوعظ، وكأن الوعظ سبة عار ومفسدة عظيمة، ووباء ينبغي الحذر منه «وتتزايد حدة الاتجاه الوعظي وتعلو نبرته في كتب الأطفال كلما زاد حظ المجتمع من التخلف، وبعده عن واحات التحضر»[3].

ولا غرابة في هذا فلقد كانت اتجاهات الأدب والفكر والتربية في أكثرها اتجاهات غربية علمانية، ونشأ على ذلك الكتاب والمربون، وظلت

---

(١) الشعر للأطفال: فاطمة شنون، المجلة العربية (٤)، صفحة ٨٢.

(٢) المصدر السابق/ ٨٣، وتمضي الكاتبة في التحدث عن الموسيقى الشعرية، والموسيقى بشكل عام وما تتركه من أثر في تربية الأطفال وكأنها تقول: يكفي أن نربي الطفل على ذلك ليكون ناشئاً كما تريد.

(٣) المصدر السابق/ ٨٢.

المؤلفات ترى وهي تأخذ مما يسمونه علوم التربية والنفس، والنقد، والأدب، والفلسفة، وكلها تقوم على أسس وثنية أو أسطورية، أو معتقدات بعيدة عن حقائق الدين.

إنها المتابعة الكاملة لمفاهيم الغرب الفكرية والتربوية، والأدبية. هذه المفاهيم التي تتصل بمعتقدات وثنية فلسفية، تقوم على تنحية الدين من حياة الناس، وإبعاده عن التأثير، وجعله حلية يلبسونها في مواسم محددة، ويتركونها بقية الوقت.

وهكذا تصبح الفنون ـ كما يقولون ـ وسيلة تربوية. وأية فنون هذه؟

الغناء، والموسيقى، والرقص، والرسم وغيرها. إنها الأداة التي يستعملونها لتربية الروح، وصقل الموهبة، وتهذيب الذوق، وغرس العادات والأخلاق. أليس هذا عجيباً؟.

أما إذا كان الأمر يتعلق بالعربية، وتراثها فإن الأمر يختلف ـ ويصبح البعد عن هذا التراث هو الأساس في التطور، وبناء أدب جديد، وتربية الأطفال على أسس علمية.

أننا بحاجة اليوم للتوقف عن هذا التقليد والمتابعة الشائنة لمقولات الغربيين وأتباعهم. المسلمون هم رواد الحضارة الإنسانية الحقيقية. وهم رعاة الطفولة الحقة.

والإسلام ـ الإسلام وحده ـ هو الذي يكفل للطفل حياة سعيدة، يرعاه ويربيه، ويخطط له المستقبل على أسس قويمة صحيحة متوازنة، وغير الإسلام يخبط خبط عشواء، ويبتز الأطفال ويقامر بمصير الأجيال، ويستغل حاجات الناس لينشىء الأطفال على كره الدين، وإنكار الإيمان، ومحاربة الفضيلة.

ولكن الصحوة الحاضرة بدأت تدرك ذلك، وتعرف أساليب التأثير، والخداع باسم العلم، والأدب والفن.

وأدب الطفل المسلم مدعو لكي يأخذ طريقه وسط هذه الصحوة على أسس قويمة، وصلاً لتراثنا، وعناية أجدادنا بهذا اللون عامة وبالشعر خاصة. وكما بدأ في هذا العصر أحمد شوقي والهراوي بالكتابة للأطفال، واختيار الأناشيد والأشعار التي تهذب نفوسهم، وتثري معارفهم، فكذلك سار على هذا الدرب كثيرون، وتركوا للأطفال عدداً كبيراً من الدواوين الشعرية والمجموعات والأناشيد المنوعة[١] ولكن كثيراً من هذه الأشعار غير معروفة، وأذكر على سبيل المثال (محمد موفق سليمة، ومحمد علي الرباوي، ويحيى الحاج يحيى، ومحمد عدنان غنام، ويوسف العظم، ومحمود أبو الوفا، وأحمد محمد الصديق، وكمال رشيد، وعبد القادر حداد، وإبراهيم أبو عبادة) وغيرهم كثيرون ممن اهتم بشعر الأطفال.

ونردِّد أخيراً مع الدكتور نجيب الكيلاني بأن يظل شعر الأطفال شعراً ملتزماً بقيم الإسلام وتصوراته[٢]، بل أن ينهض بمسؤولياته نحو الطفل المسلم الذي تتناوشه أيدي الانحرافات، وتمتد إليه سهام المغرضين من كل صوب. والشاعر مسؤول ومؤتمن، وعليه أن يدرك خطورة ما يقدم، وأهمية ما يكتب لهذا الجيل والأجيال التي تأتي من بعده ليقود هذه الأمة إلى بعث حضارتها الإسلامية من جديد، وتسلم قيادة العالم باسم المنهج الرباني وليس ذلك على الله بعزيز.

---

(١) نذكر في هذا الصدد (محمد عثمان جلال) ١٨٣٨ م - ١٨٩٨م الذي سبق شوقياً وكتب (العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ) ولكنه أخذ مواعظه من أمثال (لافونتين)، وهذه صورة من التأثر بالغرب وكذلك كتب (إبراهيم العرب) المتوفى ١٩٢٧ م تسعاً وتسعين قصة شعرية على لسان الحيوانات بديوانه (آداب العرب). وأصدر (جبران النحاس) ديوان (تطريب العندليب) عام ١٩٤٠ م ثم جاء محمد الهراوي فترك ستة أجزاء تحت عنوان (سمير الأطفال للبنين) و (سمير الأطفال للبنات) و (أغاني الأطفال) في أربعة أجزاء. وكتب غيرهم مثل الرصافي والصاوي ومحمد شعلان. ثم ترك سليمان العيسى كتابة الشعر ليتفرغ لشعر الأطفال، وأصدر عدداً من الدواوين الشعرية.

(٢) أدب الأطفال في ضوء الإسلام/ ٩٣.

ألوان أخرى
من أدب الطفل

هناك ألوان أخرى من أدب الطفل غير القصة والشعر، يغفلها الكتاب الآخرون مع جدارتها بالاهتمام والرعاية، وأذكر منها:

كتابة السير التاريخية والاجتماعية المختلفة[1]:

وهذا اللون يحتاج إلى دراسة منفردة تستعرض هذا الفن من القديم إلى الحديث، وتدرس النماذج التي ألفت في هذا العصر، وهناك محاولات كثيرة في هذا الشأن، كثير منها أُخِذَت موضوعاته إما من السيرة النبوية أو التاريخ الإسلامي أو التاريخ المعاصر.

الموضوعات الأدبية:

التي تشبه المقالات ولكنها تلائم مستوى الطفل، أو الطرائف الأدبية والاجتماعية، أو الأمثال.. إلخ.

الحواريات المختلفة والمسرحيات المخصصة للأطفال:

وهي من الألوان المهمة والمؤثرة التي أخذت طريقها إلى وسائل الإعلام المختلفة، وأصبح تأثيرها على الأطفال بالغاً، وارتبط هذا التأثير

---

(١) أذكر في هذا المجال الكتابة المتميزة للمرحوم عبد الرحمن رأفت الباشا والتي خصصها لليافعين والشباب من الفتيان والفتيات (صور من حياة الصحابة) و (صور من حياة التابعين) وهي نماذج رائعة تصل عبر جسر من الإبداع الفني والأداء المناسب بين ماضينا وحاضرنا.

بالرائي (التلفاز) بشكل كبير، و (الفيديو) والإذاعة، والأشرطة المسجلة بشكل أصغر.

والذي قلناه ـ من حيث الشروط ـ عن القصة ينطبق إلى حد كبير على الحواريات تقريباً مع بعض الفوارق التي تميز هذا اللون عن القصة.

وإن موضوع المسرح ـ عموماً ـ ومسرح الأطفال ـ بشكل خاص ـ يحتاج إلى دراسة متأنية، تتحرر من ضغوط الواقع، وعدوى المدنية الحديثة، وتتحرر أيضاً من المخاوف وردود الأفعال.

هذه الدراسة تحتاج إلى رصد لبدايات هذا الفن وبواعثه، وبيئاته المختلفة، والمنطلقات والفلسفات التي استند إليها، ثم إلى تطوره في أوروبا، وانتقاله إلى خارجها.

وتحتاج إلى وقفات دقيقة موثقة إلى قصة دخوله إلى العالم العربي ـ بخاصة ـ والإسلامي ـ بعامة ـ وإلى الفترة التاريخية التي ظهر فيها، وإلى الذين بدؤوا في حمل هذا اللون إلى العالم العربي، وإلى الأفكار والموضوعات التي طرحها، وما زال.

وكذلك نحن بحاجة إلى دراسة شمولية حول تصور المجتمع الإسلامي بأهدافه ووسائله، بالضروريات والكماليات، بالبواعث والنتائج، بالربط بين عالم المادة وعالم الروح، والربط بين الدنيا والآخرة، والربط بين الحقيقة والخيال، والربط بين المقدمات والنتائج لكي يتبين لنا موقع هذا اللون ومدى ضرورته أو عدمها في حياتنا.

وإن كل الدراسات التي قدمت في هذا المجال تقوم على مبرر واحد هو الواقع، وتأثير هذا اللون في هذا الواقع. وهو مبرر مرفوض، عقدياً وعقلياً وواقعياً.

ولذلك لا سبيل إلى التحدث عن فن المسرح بالتفصيل كأمر واقع، ونكتفي بالإشارة إليه، أو الإشارة إلى الحواريات بمعنى أدق، ريثما تتاح

للأدب الإسلامي دراسات جادة ومسؤولة بعيدة عما قلنا من محاذير.

وإنه لأمر خطير أن يصبح الطفل المسلم نهبة لتأثير المترجمات من المسلسلات والأفلام الخاصة بالأطفال التي تقوم على تصورات غربية وعلمانية، وآداب بعيدة عنا وعن أذواقنا وأخلاقنا وعقيدتنا، باسم الواقع والمعاصرة. وهذا يدعونا لدراسة هذه الوسيلة الإعلامية (الرائي) وملحقاته أيضاً جنباً إلى جنب مع دراسة المسرح، لمعرفة الطريقة الصحيحة في استخدام هذه الوسائل[١].

(١) انظر كتاب (قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح) وفيه دراسة مستفيضة عن القصة والمسرح في مفهومهما الغربي، والعربي، مع معلومات مهمة عن دخول المسرح إلى الوطن العربي.

خاتمة

وبعد:

فإن الاهتمام بأدب الأطفال هو جزء من الاهتمام بالأطفال، وضرورة من ضرورات تربيتهم وتنشئتهم بشكل صحيح على العقيدة السليمة، والخلق الإسلامي والآداب السامية.

وإذا كانت الشعوب الأخرى قد تنبهت إلى أهمية الطفل وإلى أدب الطفل حديثاً، ثم سارت في هذا الطريق شوطاً كبيراً خلال القرنين الأخيرين، فإن المسلمين الذين علمهم الإسلام ذلك منذ أن نزل في كتاب الله ـ عز وجل ـ آيات تخاطب الطفل **﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم..﴾** إن المسلمين لَهُمْ أَوْلَى الناس بهذا في هذا العصر وغيره، وأجدر الأمم لأن يولوا الطفل أهميته الحقيقية، وأن يعتنوا بكل وسيلة تؤدي إلى خيره في الدنيا والآخرة، لأن ذلك جزء من مسؤوليتهم المنوطة بهم من الله ـ عز وجل ـ وسبيل من سبل حفظ أبنائهم ووقايتهم من النار.

والاهتمام بأدب الطفل ـ أيضاً ـ جزء من الاهتمام بالأدب الإسلامي الذي يشمل جوانب الحياة ونشاطاتها المختلفة، الذي يوجه للناس كافة، ويسلك أحسن السبل ليكون مؤثراً مفيداً.

وإن من مسؤولية الأديب المسلم إزاء أدب الأطفال أن يسهم بإبداعاته في الكتابة للأطفال على أسس سليمة، وبأسلوب مناسب، مع البحث الجاد عن سمات هذا الأدب ومميزاته من خلال التجربة الفعلية،

والعيش مع تطلعات الأطفال وهمومهم، والدخول إلى عالمهم الداخلي. ومثل هذه التجربة تستوجب معرفة نفسية الطفل في كافة المراحل، معرفة قائمة على فهم الطبيعة الإنسانية، والفطرة البشرية كما خلقها الله عز وجل، ومعرفة سماتها، ومنازعها ودوافعها وغرائزها، والمؤثرات التي تترك بصماتها عليها. من خلال دراسة الإسلام، ودراسة ما ورد في ذلك عن النفس والحواس، والطفولة والأولاد، وهناك قدر كبير من النصوص، والدراسات التي تحتاج إلى الدارس المخلص البصير، لتمده بمعرفة قويمة تساعده على اكتشاف السبل الصحيحة للتعامل مع الطفل من خلال الكلمة المبدعة.

وكذلك يستوجب أدب الطفل، والكتابة للأطفال من الأديب معرفة التصور الإسلامي الشامل للحياة، معرفة صحيحة موثّقة، تعتمد على النصوص الصحيحة، والوقائع الثابتة، والأحكام الشرعية من مظانها الموثقة.

ويحتاج الأديب إلى معرفة مميزات المجتمع الإسلامي التي تمنحه هذه الصفة، وتجعله أهلاً لحمل الأمانة والنهوض بالمسؤولية، وكذلك معرفة أساسيات التربية الإسلامية، ووسائلها وأهدافها.

إن الدعوات المستغربة كثيرة، وكلها تحاول إقناع الأديب أنه لا سبيل إلى هذه الألوان أو تلك من الآداب، أو العلوم، إلا بالأخذ عن الغرب والتسليم لنظرياته، إما عن اقتناع ومعرفة، أو عن جهل أو ضعف، وهي تدعو أيضاً للتقليد والنهج وفق ما ترى تلك الدعوات والعقائد الباطلة، وكلها تحاول خداع المسلم، وتدخل في نفسه متسللة عبر البحث عن الحكمة، والتقاط المسلم لها، أو عبر الاستفادة من التجربة الطويلة، والدراسات العلمية التي يدّعيها أصحاب هذه الاتجاهات. ولكن المسلم الذي لا يرفض الاستفادة من كل خير، والأخذ من تجارب الآخرين، والتماس الحكمة في كل صقع، والتعاون مع كل مخلص، إن المسلم

الحريص على كل هذا لا يقبل أن يُقلِّد الآخرين، أو يكون مسخاً لأحد، ولا يقبل أن يأخذ من الوثنيات مهما كانت التسميات والمبررات ولا يسير على منوال الآخرين قبل أن يستوثق بأن ذلك لا يتعارض مع عقيدته وأحكام دينه وأخلاقه وقِيَمِهِ.

إن المسلم لا يتمكن من الحكم على ما عند الآخرين قبل فهم دينه، والتمكن من معرفة أصوله.

وهو ـ لهذا ـ لا يأبه لأية دعوة أو مهاجمة، ولا يرضخ للضغوط التي تحاول أن تحرفه عن الطريق، وتجرفه مع السيول الجارفة، وهو الذي يحدد مساره بوضوح وقوة، يحدد مساره على ضوء تصوره المتميز، وأهدافه الواضحة التي تسعى لخير الإنسانية جمعاء.

وهو بهذا لا يتعصب، ولا يميل إلى هوى، لأن الذي ينحاز له ويتمسك به هو شرع الله، لا شرع عصبة أو قوم أو لغة، والذي يحرص عليه هو المنهج الذي ارتضاه الخالق العليم لعباده أجمعين، وبهذا يمضي الأديب المسلم لبناء أدب للطفل، أدب يقدر المسؤولية ويحدد الأهداف، ويلتزم بأمانة الكلمة عند الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

أصل البحث في ٢٩ من ذي الحجة ١٤٠٩ هـ

١ آب ـ (أغسطس) ١٩٨٩ م

كوك شدرة ـ تركيا

تمت مراجعته وإعادة صياغته في ١٢/ ١٠/ ١٤١٠ هـ

٧/ ٥/ ١٩٩٠ م

المراجع والمصادر

أولاً: المراجع العامة:

١ - **القرآن الكريم**.

٢ - **سنن ابن ماجه**: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٣ - **سنن الترمذي**: (معارف السنن في شرح سنن الترمذي): المكتبة البنورية - كراتشي.

٤ - **صحيح البخاري**: المكتب الإسلامي - استانبول.

٥ - **صحيح الجامع الصغير**: للألباني - المكتب الإسلامي ط ١، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م.

٦ - **صحيح مسلم**: تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي - دار إحياء التراث العربي.

٧ - **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** (علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري). تحقيق مؤسسة الرسالة ط ٥، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٨ - **المستدرك على الصحيحين للحاكم**: دار الكتاب العربي.

٩ - **مسند الإمام أحمد** (الفتح الرباني): دار الشهاب القاهرة.

١٠ - **أساس البلاغة**: دار بيروت للطباعة والنشر.

١١ - **خلق الإنسان**: أبو محمد ثابت بن أبي ثابت - تحقيق عبد الستار فراج ط ٢، ١٩٨٥ الكويت.

١٢ - **الصحاح للجوهري**: تحقيق أحمد عبدالغفور عطار - دار العلم للملايين ط ٢، ١٣٩٩ هـ - ١٩٨٩ م بيروت.

١٣ - **لسان العرب**: ابن منظور - دار صادر بيروت.

١٤ ـ **مجمل اللغة**: أحمد بن فارس ـ تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ـ مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤٠٤ هـ.

١٥ ـ **المعجم الوسيط**: (١ ـ ٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ المكتبة الإسلامية استانبول.

١٦ ـ **المغرب في ترتيب المعرب**: أبو الفتح ناصر الدين المطرّزي ـ تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ـ مكتبة أسامة بن زيد حلب ط ١، ١٣٩٩ هـ.

ثانياً: قائمة بأسماء المصادر:

١ ـ **أنباه نجباء الأبناء**: محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر المكي الصقلي ـ دار الآفاق الجديدة بيروت ط ١، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.
ابن حزم الأندلسي ـ د/ حسان محمد حسان ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة الاتجاهات الجديدة في ثقافة الأطفال ـ النادي الثقافي العربي ـ بيروت.

٢ ـ **أدب الأطفال**: دراسة وتطبيق ـ عبد المتعال أبو معال دار الشروق للنشر والتوزيع ـ عمان ط ١، ١٩٨٤ م.

٣ ـ **أدب الأطفال**: فلسفته، فنونه، وسائطه، هادي نعمان الهيتي. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ دار الشؤون الثقافية ببغداد.

٤ ـ **أدب الأطفال في ضوء الإسلام** ـ د/ نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة بيروت ط ١، ١٤٠٦ هـ.

٥ ـ **أدب الأطفال ومكتباتهم**: سعيد أحمد حسن ـ مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة ـ عمان، ط ١.

٦ ـ **أدب الأطفال ومكتباتهم**: هيفاء شريحة ـ المطبعة الوطنية ومكتبتها عمان ط ٢، ١٩٨٣ م.

٧ ـ **أدب الأطفال**: مبادئه ومقوماته الأساسية ج ١ + ج ٢ ـ محمد محمود رضوان، وأحمد نجيب وزارة التربية والتعليم بمصر ط، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م للصف الرابع والصف الخامس بدور المعلمين والمعلمات.

٨ ـ **الإعلام المرئي الموجه للطفل العربي**: د/ عاطف عدلي العبد ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة.

٩ ـ **أغاني ترقيص الأطفال عند العرب**: أحمد أبو سعد ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ط ٢، ١٩٨٢ م.
١٠ ـ **برامج الأطفال التلفزيونية**: د/ عدلي العبد ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة بصمات على ولدي ـ طيبة اليحيى ـ مكتبة المنار الإسلامية الكويت ط ٣، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م.
١١ ـ **تاريخ الطبري**: دار المعارف تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
١٢ ـ **تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين**: ابن عبد ربه الأندلسي ـ تحقيق محمد إبراهيم سليم ـ مكتبة القرآن ـ القاهرة، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥ م.
١٣ ـ **تثقيف الطفل ـ فلسفته وأهدافه ومصادره ووسائله**: د/ فاروق عبد الحميد اللقاني ـ منشأة المعارف بالإسكندرية.
١٤ ـ **تحفة المودود بأحكام المولود**: ابن قيم الجوزية ـ المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.
١٥ ـ **تذكرة الآباء (الدراري)**: ابن العديم الحلبي ـ تحقيق علاء عبد الوهاب محمد، مكتبة التوعية الإسلامية ـ القاهرة ط ١، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.
١٦ ـ **تربية الأولاد في الإسلام**: الشيخ عبد الله علوان ـ دار السلام للطباعة والنشر حلب الطبعة الثالثة المزيدة، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.
١٧ ـ **التربية الإسلامية للطفل المراهق**: اللواء الركن محمد جمال الدين علي محفوظ ـ دار الاعتصام ـ القاهرة، ١٩٨٦ م.
١٨ ـ **التربية الجمالية في الإسلام**: صالح أحمد الشامي ـ المكتب الإسلامي. بيروت ط ١، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.
١٩ ـ **التربية عبر التاريخ**: د/ عبد الله عبد الدايم ـ دار العلم للملايين/ بيروت ط ٦، ١٩٨٧ م.
٢٠ ـ **التربية والتعليم في الإسلام**: د/ أحمد شلبي ـ مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط ٨، ١٩٨٧ م.
٢١ ـ **التربية والتعليم في الإسلام**: سعيد الديوه جي ـ مكتب التراث العربي الموصل ـ ١٤٠٢ هـ.
٢٢ ـ **ثقافة الطفل العربي**: جمال أبو رية ـ دار المعارف ١٩٧٨ م.
٢٣ ـ **ثقافة المجتمع وعلاقتها بمضمون كتب الأطفال**: د/ عواطف إبراهيم محمد، دار المطبوعات الجديدة ـ طنطا ١٩٨٤ م.

٢٤ ـ **جامع أحكام الصغار**: محمد بن محمود الأسروشي ـ تحقيق عبد الحميد عبد الخالق البيزلي بغداد ط ١، ١٩٨٢ م.

٢٥ ـ **جوانب التربية الإسلامية الأساسية**: د/ مقداد يالجن ـ الرياض ط ١، ١٤٠٦ هـ.

٢٦ ـ **حكايات عن القرآن الكريم (١ ـ ٤)**: عبد الودود يوسف ـ دار الرشيد ـ دمشق.

٢٧ ـ **خصائص التصور الإسلامي**: سيد قطب ـ دار الشروق.

٢٨ ـ **دائرة المعارف الإسلامية**: عدد من المستشرقين، إعداد إبراهيم خورشيد، وأحمد الشنتناوي و د/ عبد الحميد يونس ـ كتاب الشعب ط ٢.

٢٩ ـ **دراسات في أناشيد الأطفال**: عبد الفتاح أبو معال ـ دار الشروق للنشر.

٣٠ ـ **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**: محمد بن علان الصديقي ـ دار الفكر بيروت، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠.

٣١ ـ **دور الأم في تربية الطفل المسلم**: خيرية حسن طه صابر ـ دار المجتمع للنشر والتوزيع ـ جدة ط ٢، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

٣٢ ـ **رحمة الإسلام بالنساء**: الشيخ محمد الحامد.

٣٣ ـ **الرصيد اللغوي للأطفال**: في مرحلة الدراسة الابتدائية من مرحلة التعليم الأساسي ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٩٨٩ م.

٣٤ ـ **الرسول العربي المربي**: د/ عبد الحميد الهاشمي ـ دار الثقافة للجميع ـ دمشق ط ١، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

٣٥ ـ **رعاية الطفولة في الإسلام**: د/ أحمد ماهر البقري ـ مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

٣٦ ـ **الرواية العربية**: فاروق خورشيد، دار الشروق ط ٣، ١٤٠٢ هـ.

٣٧ ـ **سلسلة البراعم السمعية**: محمد موفق سليمة ـ مكتبة الحرمين ـ ودار الهدى ١٤١٠ هـ، الرياض.

٣٨ ـ **الشوقيات**: أحمد شوقي ـ دار الكتاب العربي ـ لبنان.

٣٩ ـ **الطريق إلى المدينة**: الشيخ أبو الحسن الندوي، من مطبوعات المجمع الإسلامي العالمي الهند ـ لكنو، ط ٥، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

٤٠ ـ **طفلك وفنه**: فكتور لونيفلد ـ ترجمة سامي علي الجمال ـ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ـ القاهرة.
٤١ ـ **الطفل المثالي في الإسلام**: أحمد الخطيب ـ المكتب الإسلامي ١٤٠٠ هـ، ط ١.
٤٢ ـ **الطفل والشعر (ديوان كامل كيلاني)**: عبد التواب يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨ م.
٤٣ ـ **الظاهرة الجمالية في الإسلام**: صالح أحمد الشامي ـ المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.
٤٤ ـ **دراسات في أدب الطفولة**: عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م.
٤٥ ـ **الطفولة في الشعر العربي الحديث**: د/ إبراهيم محمد صبيح. دار الثقافة ـ الدوحة ط ١، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.
٤٦ ـ **العلمانية**: سفر بن عبد الرحمن الحوالي ـ مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ـ جامعة أم القرى ط ١، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.
٤٧ ـ **الغناء للأطفال عند العرب**: د/ أحمد عيسى ـ مطبوعات ج م ت العالمية الغناء للأطفال عند العرب في السيرة النبوية العطرة.
٤٨ ـ **في أدب الأطفال**: د/ علي الحديدي ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ط ٥، ١٩٨٩ م.
٤٩ ـ **فن الكتابة للأطفال**: أحمد نجيب ط ٢، ١٩٨٣ م، دار اقرأ ـ بيروت.
٥٠ ـ **في ظلال القرآن**: سيد قطب ـ دار الشروق، ط ٢، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م.
٥١ ـ **قائمة كتب الأطفال المصرية ١٩٧٦ ـ ١٩٨٦ م**: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٥٢ ـ **قائمة كتب الأطفال المصرية ١٩٨٦ م**: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٥٣ ـ **قبسات من الرسول**: محمد قطب.
٥٤ ـ **القصص الديني**: عبد الحميد جودة السحار، مكتبة مصر القاهرة.

٥٥ ـ **قواعد البناء في المجتمع الإسلامي**: د/ محمد السيد الوكيل، دار الوفاء، ط ١، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م مصر.
٥٦ ـ **القيم التربوية في ثقافة الطفل**: الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ١٩٨٥ م الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م.
٥٧ ـ **الكتاب والأطفال**: محمد بسام ملص ـ منشورات دار ثقيف ـ الرباط، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
٥٨ ـ **الكتاب السنوي للجمعية المصرية للدراسات النفسية.**
٥٩ ـ **كتب الأطفال في عالمنا المعاصر**: عبد التواب يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٦٠ ـ **كعب بن مالك الأنصاري**: حياته، شعره، أدبه، د/ محمد علي الهاشمي. ط ١، ١٤٠٥ هـ.
٦١ ـ **كيف تكتب للأطفال**: جون الكين ـ ترجمة.
٦٢ ـ **ماذا يريد التربويون من الإعلاميين (١ ـ ٣)**: مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية. وقائع ندوة ماذا يريد التربويون من الإعلاميين.
٦٣ ـ **مجالس ثعلب.**
٦٤ ـ **مدخل إلى التربية**: عبد الرحمن البياني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ط ١.
٦٥ ـ **مذاهب فكرية معاصرة**: محمد قطب، دار الشروق ط ٣، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.
٦٦ ـ **مذهب إسلامي في الأدب والنقد**: د/ عبد الرحمن رأفت الباشا ـ ط ١ من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض.
٦٧ ـ **المرأة المسلمة الداعية**: محمد حسن بريغش ـ مكتبة المنار ـ الزرقاء ط ٥، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.
٦٨ ـ **المرشد التربوي لمعلمات رياض الأطفال بدول الخليج العربية**: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٧ هـ.
٦٩ ـ **المسلم الصغير**: سفير ـ القاهرة (١ ـ ٣).
٧٠ ـ **مشكلات قصص الأطفال في سورية**: سمر روحي الفيصل ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق ١٩٨١ م.

٧١ ـ **مقال في تصور التربية الإسلامية**: محمد بن محمد الأمين الأنصاري، دار حراء للنشر والتوزيع ـ مكة المكرمة ط ١، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م.
٧٢ ـ **من أقاصيص الطبيعة (١ ـ ١٦)**: دار دلفين للنشر ـ ميلانو إيطاليا ط ١، ١٩٨١ م بإشراف الدكتور محمد هيثم الخياط.
٧٣ ـ **المنمق في أخبار قريش**: ابن حبيب ـ حيدر آباد.
٧٤ ـ **منهج التربية النبوية للطفل**: محمد نور سويد ط ٢، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.
٧٥ ـ **ميادين الجمال في الظاهرة القرآنية**: صالح أحمد الشامي ـ المكتب الإسلامي بيروت ط ١، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.
٧٦ ـ **نزهة المتقين شرح رياض الصالحين**: د/ مصطفى الخن وآخرون ـ مؤسسة الرسالة بيروت ط ١، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.
٧٧ ـ **نظرات في الأدب**: الشيخ أبو الحسن الندوي ـ دار القلم.
٧٨ ـ **النظرة النبوية في نقد الشعر**: د/ وليد قصاب ـ المكتبة الحديثة ـ العين ط ١.
٧٩ ـ **نظرية الأدب**: رينيه ويليك وأستن دارين ـ ترجمة محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط ٣، ١٩٨٥ م.
٨٠ ـ **هذا الدين**: سيد قطب، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ١٣٩٨ هـ.
٨١ ـ **هموم داعية**: محمد الغزالي.
٨٢ ـ **واقعنا المعاصر**: محمد قطب ـ مؤسسة المدينة للصحافة ط ١، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م.
٨٣ ـ **وحلة لتنمية الشعور الديني عند الأطفال**: د/ عواطف إبراهيم محمد ـ دار المجتمع جدة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.
٨٤ ـ **وحي القلم (١ ـ ٣)**: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي ـ لبنان ط ٨.

ثالثاً: المجلات:

١ ـ **الأمة (قطر)**، الأعداد (٣٨، ٤٣، ٤٩) محرم ١٤٠٥ هـ، تشرين أول (أكتوبر) ١٩٨٤م، من ص ٦٤ ـ ٦٧.

٢ ـ **البعث الإسلامي**، العدد (٢) المجلد (٣٥) شوال ١٤١٠ هـ الموافق أيار (مايو) ١٩٩٠ م.

٣ ـ **التربية** (الإمارات العربية المتحدة)، العدد (٦٥) حزيران (يوليو) ١٩٨٨ م، ص ٤٨ ـ ٥٦.

٤ ـ **التربية** (العراق)، العدد (٦٠) رجب ١٤٠٨ هـ، شباط (فبراير) ١٩٨٨ م ص ٤٢ ـ ٤٥.

٥ ـ **الفيصل** (السعودية)، العدد (١٥) رجب ١٣٩٩ هـ الموافق حزيران (يونيو) ١٩٧٩ م، ص ٢٥ ـ ٣٠.

والعدد (٣١) ندوة الشهر محرم ١٤٠٠ هـ الموافق كانون أول (ديسمبر) ١٩٧٩ م، الصفحة ٨٠ ـ ٨٢.

والعدد (٤٢) جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ الموافق أيار (مايو) ١٩٧٩ م، ص ٧٣ ـ ٧٧.

والعدد (٦٤) شوال ١٤٠٢ هـ، آب (أغسطس) ١٩٨٢ م، ص ٨٣ ـ ٨٨.

والعدد (٧٤) شعبان ١٤٠٣ هـ الموافق أيار وحزيران (مايو ويونيو) ١٩٨٦ م، ص ١١٨ ـ ١٢١.

العدد (١٥٢)، ص ٩٧ ـ ١٠٣.

٦ ـ **مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر**، العدد الرابع ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

٧ ـ **المجلة العربية**: العدد (٤) رمضان ١٤٠٠ هـ الموافق تموز ١٩٨٠ م، ص ٨١ ـ ٨٤.

والعدد (١٠) ربيع أول ١٤٠١ هـ الموافق كانون أول ١٩٨١ م، ص ٩٠ ـ ٩٣.

والعدد (٨٩) جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ.

والعدد (١٢٤) جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ، كانون ثاني (يناير) ١٩٨٨ م، ص ٨٢ ـ ٨٣.

العدد (١٣٦) جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٩ م.

٨ ـ **مجلة منار الإسلام** (الإمارات العربية المتحدة، العدد (٢) السنة ٢٤ صفر ١٤٠٩ هـ، أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨ م.

٩ ـ **المنهل** (السعودية)، العدد (٤٣٤) جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ، شباط وآذار (فبراير ومارس) ١٩٨٥ م، ص ١٩٣ ـ ١٩٧.
والعدد (٤٤١) ربيع الأول والآخر ١٤٠٦ هـ، تشرين ثاني وكانون أول ١٩٨٦ م، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٦.
والعدد (٤٤٣) جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ، شباط (فبراير) ١٩٨٦ م، ص ١٥٨ ـ ١٦١.
والعدد (٤٤٦) ذو القعدة وذو الحجة ١٤٠٦ هـ، تموز وآب (يوليو وأغسطس) ١٩٨٦ م، ص ١٦٤ ـ ١٧١.
١٠ ـ **الموقف الأدبي** (سوريا)، العدد الممتاز (٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠) تشرين أول ١٩٨٨ م، ص (١٨، ٢٠، ٣٦، ٣٨).

رابعاً: بحوث مخطوطة:

١ ـ **أدب الطفل المسلم**: سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي.
٢ ـ **أدب الطفل في الهند بين النظرية والتطبيق**: د/ محسن العثماني.
٣ ـ **أدب الأطفال الإسلامي واقعه وهمومه**: د/ عبد الباسط بدر.
٤ ـ **الأستاذ الشيخ أبو الحسن الندوي**: الشيخ سعيد الأعظمي كرائد الأدب الإسلامي للأطفال.
٥ ـ **الاتجاهات الأدبية بمستوى الطفل في بنغلاديش**: محمد سلطان ذوق.
٦ ـ **عناصر أدب الأطفال الإسلامي**: د/ سيد إبراهيم الندوي.
٧ ـ **ورقة عمل مقترحة إلى لجنة ثقافة الطفل**: في إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الفهرس